

اعلام الهداية (فاطمة الزهراء سيّدة النّساء)

اعلام الهداية (فاطمة الزهراء سيّدة النّساء)

مقدمة المجمع

الباب الأوّل

الزهراء في سطور

انطباعات عن شخصية الزهراء

الزهراء في آيات الذكر الحكيم

الزهراء كوثر الرسالة :

الزهراء في سورة الدهر :

الزهراء في آية التطهير :

مودّة الزهراء أجر الرسالة :

الزهراء في آية المباهلة :

الزهراء عند سيد المرسلين

الزهراء عند الأئمة و الصحابة و المؤرّخين

مظاهر من شخصية الزهراء

علمها و معرفتها :

مكارم أخلاقها :

جودها و ايثارها :

ايمانها و تعيّدتها لله :

حنوّها و شفقتها :

جهادها المتواصل :

الباب الثاني

نشأة الزهراء فاطمة

شخصية السيدة خديجة «أمّ فاطمة» :

نشاطها التجاري

زواج النبي بخديجة :

مكانة خديجة لدى النبي

الأمر الإلهي في خلق فاطمة :

أنس خديجة بفاطمة :

فاطمة الوليدة :

تاريخ الولادة :

مراحل حياة الزهراء

الزهراء مع أبيها رسول الله

فاطمة في مرحلة الطفولة

وفاة السيدة خديجة و عام الحزن :

فاطمة الممتحنة :

الزهراء مع أبيها حتى بيت الزوجية

هجرتها إلى المدينة :

محاولات خطبتها :

على يتقدم لخطبه الزهراء :

أمر زواجها من السماء :

خطبة العقد :

مهرها و جهازها :

مقدمات الزفاف و وليمة العرس :

مراسم ليلة الزفاف :

زيارة النبي للزهراء في صبيحة عرسها :

تاريخ الزواج :

مميزات زواج الزهراء بعلی

فاطمة من الزواج إلى وفاة الرسول

الزهراء في بيت الزوجية :

إدارة شؤون البيت و الحياة الشاقة :

طيب معاشرتها للإمام على :

فاطمة في دور الأم :

الزهراء مع النبي في تثبيت دعائم الدولة :

الزهراء قبل فتح مكة :

الزهراء في فتح مكة :

حجة الوداع و الأيام الأخيرة :

وصايا الرسول في ساعة الوداع :

الباب الثالث

الزهراء بعد أبيها

حدث السقيفة :

نتائج السقيفة :

خيارات السلطة الحاكمة

الخيار الأول: انتزاع القوة المالية للإمام على

الخيار الثاني: مواجهة معارضة الإمام

الخطوات العملية الأخرى لمواجهة آل محمد باعتبارهم زعماء المعارضة

فدك بين النبي و الزهراء :

اعتصاب فدك :

خطبه الزهراء في مسجد النبي :

رد فعل الخليفة على خطاب الزهراء :

دفاع أم سلمة عن حق الزهراء :

شكواها إلى الإمام عليّ :
إعلان المقاطعة :
المعنى الرمزي والسياسي لفدك :
خيارات الإمام عليّ تجاه الوضع الجديد :
الهجوم على دار الزهراء :
المواجهة مع الزهراء :
كلامها في حق الإمامة و ظلامة أهل البيت :
السيدة فاطمة في أيامها الأخيرة
مرض الزهراء و استنساخها
فاطمة على فراش المرض :
عيادة النساء للسيدة فاطمة :
خطبتها الثانية :
عيادة أبي بكر و عمر بن الخطاب للزهراء :
الساعات الأخيرة قبل الرحيل :
وصية الزهراء للإمام عليّ :
أول نعش أحدث في الإسلام :
لحظات عمرها الأخيرة :
مراسم التشييع و الدفن :
تأبين الإمام عليّ للزهراء :
محاولة نبش القبر :
تأريخ شهادتها :
تراث الزهراء
مصحف فاطمة
نماذج مختارة من مسند فاطمة
اهتمامها بالعلم و تدوين السنة :
التعريف بأهل البيت :
مصادر التشريع الإسلامي و فلسفته و أصوله :
الأخلاق و الآداب والسلوك :
الحكم و السياسة و التاريخ :
نماذج من أدعيتها
أدب السيدة فاطمة الزهراء
الرواة و المحدثون عن فاطمة الزهراء

اعلام الهداية (فاطمة الزهراء سيّدة النساء)

مقدمة المجمع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداهً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيّد الرسل و الأصفياء أبوالقاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و آله) و على آله الميامين النجباء .
لقد خلق الله الإنسان و زوده بعنصري العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحق و يميزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحاً له و محققاً لأغراضه و أهدافه .
و قد جعل الله العقل المميز حجّةً له على خلقه، وأعانها بما أفاض على العقول من معين هدايته، فإنّه هو الذي علّم الإنسان مالم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرفه الغاية التي خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها .
و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربانية و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بين لنا عللها و أسبابها من جهة، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهةٍ أخرى .
قال تعالى :
(قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ اللَّهُ هُوَ الْهُدَى) (الانعام:6) : 71 .
(و الله يهدي من يشاء إلى صراطٍ المستقيم) (البقرة :2) : 213 .
(و الله يقول الحقّ و هو يهدي السبيل) (الاحزاب :33) : 4 .
(و من يعتصم بالله فقد هدي إلى صراطٍ مستقيم) (آل عمران :3) : 101 .
(قل الله يهدي للحقّ أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون) (يونس :10) : 35 .
(و يرى الذين أنزلنا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحقّ و يهدي إلى صراط العزيز الحميد) (سبا :34) : 6 .
(و من أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله) (القصص :28) : 50 .
فإنّ الله تعالى هو مصدر الهداية . و هدايته هي الهداية الحقيقية، و هو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحقّ القويم .
و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدركها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم . و لقد أودع الله في فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم من عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمة التعرف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى : و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدوني) (الذاريات :51) : 56 . و حيث لا تتحقق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة و العبادة طريقاً منحصراً و هدفاً و غايةً موصلةً إلى قمة الكمال .
و بعد أن زود الله الإنسان بطاقتي الغضب و الشهوة ليحقق له و قود الحركة نحو الكمال، لم يؤمّن عليه من سيطرة الغضب و الشهوة؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الإنسان - بالإضافة إلى عقله و سائر أدوات المعرفة- ما يضمن له سلامة البصيرة و الرؤية؛ كي تتم عليه الحجة، و تكمل نعمة الهداية، و تتوفر لديه كل الأسباب التي تجعله يختار

طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرف والشفاء بملء إرادته .

ومني هنا اقتضت سنة الهداية الربانية أن يسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الالهي، و من خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولي مسؤوليه هداية العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة و إعطاء الارشادات اللازمة لكل مرافق الحياة .
وقد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهداية الربانية منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون، و لم يترك الله عباده مهملين دون حجة هادية و علم مرشد و نور مضيء، كما أفصحت نصوص الوحي- مؤيدة لدلائل العقل- بأن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجة، فالحجة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، ولو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة، و صرح القرآن -بشكل لا يقبل الريب- قائلاً :
(إنما أنت منذر و لكل قوم هاد) (الرعد (13): 7 .)

و يتولى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداة المهديون مهمة الهداية بجميع مراتبها، و التي تتلخص في :
1- تلقي الوحي بشكل كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. و هذه المرحلة تتطلب الاستعداد التام لتلقي الرسالة، و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (الأنعام (6): 124) و (الله يجتبي من رسله من يشاء) (آل عمران (3): 179 .)

2-إبلاغ الرسالة الإلهية إلى البشرية و لمن أرسلوا إليه، و يتوقف الإبلاغ على الكفاءة التامة التي تتمثل في «الاستيعاب و الإحاطة اللازمة» بتفاصيل

الرسالة و أهدافها و متطلباتها، و «العصمة» عن الخطأ و الانحراف معاً، قال تعالى: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين و أنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) (البقرة (2): 213 .)

3-تكوين أمة مؤمنة بالرسالة الإلهية، و إعدادها لدعم القيادة الهادية
من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها في الحياة، و قد صرحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: (يزكهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة) (الجمعة (62): 2) و التزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. و تتطلب التربية القدوة الصالحة التي تتمتع بكل عناصر الكمال، كما قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (الاحزاب: (33): 21 .)

4-صيانة الرسالة من الزيغ و التحريف و الضياع في الفترة المقررة لها، و هذه المهمة أيضاً تتطلب الكفاءة العلمية و النفسية، و التي تسمى بالعصمة .

5-العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية و تثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرية و ذلك بتنفيذ الأطروحة الربانية، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيان سياسي يتولى إدارة شؤون الأمة على أساس الرسالة الربانية للبشرية، و يتطلب التنفيذ قيادةً حكيمةً، و شجاعةً فائقةً، و صموداً كبيراً، و معرفةً تامةً بالنفوس و طبقات المجتمع و التيارات الفكرية و السياسية و الاجتماعية و قوانين الإدارة و التربية و سنن الحياة، و نلخصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على مسيرة القيادة و انقياد الأمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة و أغراضها .

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، و اقتحموا سبيل التربية الشاق، و تحملوا في سبيل أداء المهام الرسالية كل صعب، و قدموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كل ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفاني في مدينته و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظة، و لم يتلذذوا طرفة عين .

و قد توج الله جهودهم و جهادهم المستمر على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله و حمّله الأمانة الكبرى و مسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) في هذا الطريق الوعر خطواتٍ مدهشة، و حقق في أقصر فترةٍ زمنيةٍ أكبر نتاج ممكن في حساب الدعوات التغييرية و الرسالات الثورية، و كانت حصيلة جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي :

1-تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء .

2-تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف .

3-تكوين أمة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدئاً، و بالرسول قائداً، و بالشريعة قانوناً للحياة .

4-تأسيس دولة إسلامية و كيانٍ سياسيٍ يحمل لواء الإسلام و يطبق شريعة السماء .

5-تقديم الوجه المشرق للقيادة الربانية الحكيمة المتمثلة في

قيادته (صلى الله عليه و آله) .

و لتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضروري :

أ- أن تستمر القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر .

ب- أن تستمر عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍ كفوء علمياً و نفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق و السلوك كالرسول (صلى الله عليه و آله)، يستوعب الرسالة و يجسدها في كل حركاته و سكناته .

و من هنا كان التخطيط الإلهي يحتمل على الرسول (صلى الله عليه و آله) إعداد الصفوة من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلم مقاليد الحركة النبوية العظيمة و الهداية الربانية الخالدة بأمر من الله سبحانه و صيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربية للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعة المباركة التي تولوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مر العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها .

و تجلّى هذا التخطيط الرباني في ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه و آله) بقوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .»

و كان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) بأمر من الله تعالى لقيادة الأمة من بعده .

إن سيرة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تتمثل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه و آله) و دراسة حياتهم بشكلٍ مستوعبٍ تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشق طريقه إلى أعماق الأمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه و آله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الأمة و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرسالي للشريعة ولحركة الرسول (صلى الله عليه و آله) و ثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكم في سلوك القيادة و الأمة جمعاء .

و تبلورت حياة الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الأمة عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهداية و مصابيح لإنارة درب السالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرين في أمر الله، و التامين في محبته، و الذائنين في الشوق إليه، و السائقين إلى تسليق قمم الكمال الإنساني المنشود .

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعة الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختار و الشهادة مع العز على الحياة مع الذل، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير .

و لا يستطيع المؤرخون و الكتاب أن يلموا بجميع زوايا حياتهم العطرة و يدعووا دراستها بشكلٍ كامل، و من هنا فإن محاولتنا هذه إنما هي إعطاء قيساتٍ من حياتهم، و لقطاتٍ من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دونها المؤرخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنه وليّ التوفيق .

إن دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدأ برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله) و تنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن

العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعده .

و يختص هذا الكتاب بدراسة حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تلك المرأة الأسوة، و هي المعصوم الثالث من أعلام الهداية، و التي تمثلت في حياتها كل جوانب الشريعة روحاً و عملاً و سلوكاً، إنَّها التي سماها النبي (صلى الله عليه و آله) «سيدة نساء العالمين»، فكانت مثلاً أعلى، و نبراساً مضيئاً، يشعُّ إيماناً و طهراً و نقاءً .
و لا بد لنا من تقديم الشكر إلى كلِّ الاخوة الأعزَّاء الذين بذلوا جهداً وافرأ و شاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجِه إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى .
و لا يسعنا إلا أن نتهل إلى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا و نعم النصير .
المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)
قم المقدسة

الباب الأوّل

فيه فصول :

الفصل الأوّل :

الزهراء (عليها السلام) في سطور

الفصل الثاني: انطباعات عن شخصيّة الزهراء (عليها السلام)

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيّة الزهراء (عليها السلام)

الزهراء في سطور

الزهراء فاطمة هي بنت محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله) و خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .
ولدت من أكرم أبوين عرفهما التاريخ البشري، و لم يكن لأحد في تاريخ الإنسانية ما لأبيها من الأثر التي غيرت وجه التاريخ، و دفعت بالإنسان أشواطاً بعيدة نحو الأمام في بضع سنوات معدودات، و لم يحدث التاريخ عن أمِّ كأمها و قد وهبت كل ما لديها لزوجها العظيم و مبدئه الحكيم، مقابل ما > عطاها من هداية و نور .
في ظل هذين الأبوين العظيمين درجت فاطمة البتول، و نشأت في دار يغمرها حنان أبيها الذي حمل عبء النبوة و تحمل في سبيلها ما تنوء به الجبال، فأنتى اتجاهه و أين ذهب كان يرى قريبشاً و غلمانها له بالمرصاد، و فاطمة الزهراء (عليها السلام) على صغر سنّها ترى كل ذلك، و تساهم مع أمها في التخفيف من وقع ذلك في نفسه فكانت تتلوى من الألم لما كان يلقي من فادح الأذى و تتجرع ما كان يكايده المسلمون الأولون من اضطهاد مرير .
لقد عاشت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) محن تبليغ الرسالة الإلهية منذ نعومة أظفارها، و حوصرت مع أبيها و أمها و سائر بني هاشم في الشعب

و لم تبلغ - في بدء الحصار- من العمر سوى سنتين .

و ما أن رفع الحصار بعد سنوات ثلاث عجاف، حتى واجهت محنة وفاة أمها الحنون و عمّ أبيها و هي في بداية عامها السادس، فكانت سلوة أبيها في تحمل الأعباء و مواجهة الصعوبات و الشدائد، تؤنسه في وحدته و تؤازره على ما يلم به من طغاة قريش و عناتهم .

و هاجرت مع ابن عمها و الفواطم، إلى المدينة المنورة في الثامنة من عمرها الشريف، و بقيت إلى جنب أبيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) حتى اقتربت بالإمام على بن ابي طالب (عليه السلام) فكانت أشرف بيت في الإسلام بعد بيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) إذ أصبحت الوعاء الطاهر للسلالة النبوية الطاهرة و الكوثر المعطاء لعتره رسول الله (صلى الله عليه و آله) الميامين .

لقد قدّمت الزهراء (عليها السلام) أروع مثل للزوجة النموذج و للأوممة العالية، في أخرج لحظات التاريخ الإسلامي الذي كان يريد أن يختط طريق الخلود و العلى في بيئة جاهلية و أعراف قبلية، ترفض إنسانية المرأة و تعد البنت عاراً و سناً، فكان على مثل الزهراء - و هي بنت الرسالة المحمدية الغراء و وليدة النهضة الإلهية الفريدة- أن تضرب بسلوكها الفردي و الزوجي و الاجتماعي مثلاً حقيقياً و عملياً يجسد مفاهيم الرسالة و قيمها تجسيدا واقعياً .

و قد أثبتت الزهراء للعالم الإنساني أجمع أنها الإنسان الكامل الذي استطاع أن يحمل طابع الأنوثة، فيكون آبه إلهيه كى على قدرة الله البالغة و إبداعه العجيب، إذ أعطى للزهراء فاطمة أوفر حظ من العظمة و أوفى نصيب من الجلالة و البهاء .

أنجبت الزهراء البتول لعلي المرتضى: سيدي شباب أهل الجنة

و ابني رسول الله «الحسن و الحسين» الإمامين العظيمين، و السيدتين و الكريمتين» زينب الكبرى و ام كلثوم» المجاهدتين الصابرتين، و أسقطت خامس أبنائها «المحسن» بعد وفاة أبيها في أحداث الاعتداء على بيتها (بيت الرسالة)، فكان أول قربان أهدته هذه الأم المجاهدة الشهيدة، بعد أبيها من أجل صيانة رسالة أبيها من التردّي و الانحراف .

لقد شاركت الزهراء (عليها السلام) أباهها و بعلمها صلوات الله عليهما في أخرج اللحظات و في أنواع الأزمات، فنصرت الإسلام بجهودها و جهادها و بيانها و تربيتها لأهل بيت الرسالة الذين استودعهم الرسول (صلى الله عليه و آله) مهمة نصره الإسلام بعد وفاته، فكانت أول أهل بيته لحوقاً به بعد جهاد مرير، توزع في سوح الجهاد مع المشركين و القضاء على خطط و مؤامرات المنافقين، و تجلّى في تنقيف نساء المسلمين كما تجلّى في الوقوف أمام المنحرفين، فكانت بحق رمز البطولة و الجهاد و الصبر و الشهادة و التضحية و الايثار، حتى فاقت في كل هذه المعاني سادات الأولين و الآخرين في أقصر فترة زمنية يمكن أن يقطعها الإنسان نحو أعلى قمم الكمال الشاهقة .

فسلام عليها يوم ولدت و يوم استشهدت و يوم تبعث حيّة و هي تحمل كلّ أوسمة الشرف و السمو و عليها حلل الكرامة .

انطباعات عن شخصيّة الزهراء

الزهراء فاطمة ابنة أعظم نبي و زوجة أول إمام و بطل، و أم أربع بزغتين في تأريخ الإمامة، إنَّها الوجه المشرق الوضّاء للرسالة الخاتمة، و إنَّها سيدة نساء العالمين، و هي الوعاء الطاهر للسلالة الطاهرة و المنبت الطيب لعتره رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين .

لقد افتقر تاريخها بتأريخ الرسالة، إذ ولدت قبل الهجرة بثمان سنوات و توفّيت بعد الرسول (صلى الله عليه و آله) بعدة أشهر .
و قد أشاد النبي الكريم بعظيم منزلة الزهراء الطاهرة، و بما بلغته من موقع ريادي في خط الرسالة محتدياً خطى القرآن الكريم فيما صرح به من فضائل و مكرّمات لأهل بيت الوحي (عليهم السلام) بشكل عام و للزهراء (عليها السلام) بشكل خاص .

الزهراء في آيات الذكر الحكيم

لقد مدح القرآن الكريم أناساً خلّدها بآياتٍ تتلى أثناء الليل و أطراف النهار، إكباراً لمواقفهم و لثباتهم في سبيل الحقّ . و ممن خصهم الله تعالى بالذكر الجلى و أشاد بمواقفهم و فضائلهم أهل بيت النبي (صلى الله عليه و آله)، و قد روى المؤرخون و المفسرون نزول آيات كثيرة في مدحهم، كما خصهم بالثناء في سور شتى تقريراً لسلامة خطهم و اعترافاً بحسن سمتهم و دعوة للاقتداء بهم .

الزهراء كوثر الرسالة :

ان الكوثر هو الخير الكثير، و هو يتناول بظاهره جميع نعم الله على النبي محمد) صلى الله عليه و آله) ولكن ما ذكره في أسباب النزول بالإضافة إلى الآية الأخيرة من سورة الكوثر يشير إلى أن هذا الخير يرتبط بكرة النسل و دوامه، و قد عرف العالم كله أن نبيل رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد استمر من خلال ابنته الزهراء البتول كما صرحت بذلك جملة من أحاديث الرسول (صلى الله عليه و آله).

و مما رواه المفسرون في هذا الصدد أنّ العاص بن وائل كان يقول لصناديد قريش: إنّ محمداً أبتّر لا ابن له [و ذلك بعد أن مات ابنه عبدالله من خديجة فلم يبق له أحد من الذكور]. يقوم مقامه بعده، فإذا مات انقطع ذكره و استرحتم منه. و هذا قول ابن عباس و عامة أهل التفسير،

[التفسير الكبير: 32 / 132]. و بالرغم مما ذكره الفخر الرازي من اختلاف المفسرين في معنى الكوثر هنا فإنه قد صرح قائلاً: «و القول الثالث: الكوثر أولاده... لأن هذه السورة إنما نزلت رداً على من عاب (عليه السلام) بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان (ثم قال): فانظر، كم قتل من أهل البيت؟! ثم العالم ممتلئ من بني أمية في الدنيا أحد يعاب به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر و الصادق و الكاظم و الرضا (عليهم السلام) و النفس الزكية و أمثالهم.»

[التفسير الكبير: 32 / 124].

و تدل آية المباهلة

[سورة آل عمران (3): 61]. على أن الحسين و الحسين ابنا رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما دلت النصوص المتضاربة عن الرسول (صلى الله عليه و آله) على أنّ الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه و جعل ذرية الرسول الخاتم (صلى الله عليه و آله) في صلب علي بن أبي طالب (عليه السلام)

[إرجاع تاريخ بغداد: 1 / 316، و الرياض النضرة: 2 / 168، و كنز العمال: 11 الحديث رقم: 32892]. و روت الصحاح عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال للحسن بن علي (عليهما السلام): «إنّ ابني هذا سيد، و لعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين.» [إرجاع صحيح البخاري في كتاب الصلح، و صحيح الترمذي: 5 الحديث 3773 طبعة دار إحياء التراث، و مسند أحمد: 5 / 44 و تاريخ بغداد: 3 / 215، و كنز العمال: 12 و 13: الأحاديث 34304 و 34301 و 37654].

الزهراء في سورة الدهر :

مرض الحسن و الحسين فعادهما رسول الله (صلى الله عليه و آله) في نايب معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت علي ولديك، فنذر علي و فاطمة و فضة (و هي جارية لهما (إن برئنا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفينا و ما معهم شيء، فاستقرض علي (عليه السلام) من شمعون الخيري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحن فاطمة (عليها السلام) صاعاً و اختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطمعوني أطمعكم الله من موائد الجنة، فأثروه و باتوا لم يدفوا إلا الماء و أصبحوا صياماً، فلما أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه، و وقف عليهم أسير في الثالثة

ففعوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي (رضى الله عنه) بيد الحسن و الحسين و أقبلوا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فلما أبصرهم و هم يرتعشون كالفرخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم! وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها و غارت عيناها فسأه ذلك، فنزل جبرئيل ثم قال: خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة .

[سورة الدهر أو الإنسان أو أهل أتى].

فالزهراء ممن شهد الله لها بأنها من الأبرار الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، و ممن يوفون بالندى و يخافون يوماً كان شره مستطيراً، و ممن يطعمون الطعام على حبه، و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة و أنهم إنما يعطمون لوجه الله لا يربدون منهم جزءاً و لا شكوراً، و أنهم ممن صبروا في ذات الله... و أنهم ممن و قاهم الله شر ذلك اليوم العبوس القمطير... و لقاها نضرة و سروراً، و جزاهم بما صبروا جنةً و حريراً .

[إرجاع الكشاف للزمخشري و التعلبي في تفسيره الكبير و أسد الغابة: 5 / 530 و التفسير الكبير للفخر الرازي].

الزهراء في آية التطهير :

لقد نزل الوحي بآية التطهير على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و هو في بيت أم سلمة- رضي الله عنها- و ذلك حينما كان قد ضم سبطيه- الحسن و الحسين- و أباهما و أمهما إليه ثم غشاهم و نفسه بالكساء تمييزاً لهم عن الآخرين و النساء، فنزلت الآية: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً)

[سورة الأحزاب (33): 33]. و هم على تلك الحال، و لم يقتصر (صلى الله عليه و آله) علي هذا المقدار من

توضيح اختصاص الآية بهم حتى أخرج يده من تحت الكساء فألوى بها إلى السماء فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، يكرر ذلك و أم سلمة تسمع و ترى، و جاءت لتدخل تحت الكساء قائلة: و أنا معكم يا رسول الله، فجزبها من يدها و قال: لا، إنك على خير .

[راجع صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، و مستدرک الصحیحین: 3/ 147 و الدر المنثور في تفسير آية التطهير، و تفسير الطبري: 5/ 22، و صحيح الترمذی 5/ الحديث 3787، و مسند أحمد: 6/ 292 و 304، و أسد الغابة: 4/ 29، و تهذيب التهذيب: 2/ 258.]

و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعد نزول الآية كلما خرج إلى الفجر يمر ببيت فاطمة فيقول: الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً، مستمراً على هذه السيرة ستة أو ثمانية أشهر [راجع الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء: 192 قال السيد عبدالحسين شرف الدين: أخرجه الإمام أحمد في ص 259 من الجزء 3. وأخرجه الحاكم و صححه الترمذی و حسنه ابن أبي شيبة و ابن جرير و ابن المنذر و ابن مردويه و الطبراني و غيرهم]. و دلت الآية المباركة على عصمة أهل البيت من الذنوب فإن الرجس هو الذنب، و قد صدرت الآية بأداة الحصر فأفادت أن إرادة الله في أمرهم مقصورة على إذهاب الذنوب عنهم و تطهيرهم منها، و هذا هو كنه العصمة و حقيقتها، و قد أورد النبهاني عن تفسير الطبري هذا المعنى بشكل صريح . [راجع الكلمة الغراء: 200].

مودّة الزهراء أجر الرسالة :

و روى جابر (رضى الله عنه) أنّ أعرابياً جاء إلى النبي (صلى الله عليه و آله) فقال: يا محمد أعرض على الإسلام، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمداً عبده و رسوله، قال: تسألني عليه أجزاً؟ قال: لا إلا المودة في القربى، قال: قرباي أو قرباك؟ قال: قرباي، قال: هات أبياعك، فعلى من لا يحبك و لا يحب قرباك لعنه الله، قال (صلى الله عليه و آله): آمين . [حلية الأولياء: 3/ 201، و تفسير الطبري: 25/ 16 و 17، و الدر المنثور في تفسير الآية 3 من سورة الشورى، و الصواعق المحرقة: 261، و أسد الغابة: 5/ 367].

و فسر مجاهد هذه المودة بالاتباع و التصديق لرسول الله و صلة رحمه، و فسرها ابن عباس بحفظه في قرابته [راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة: 1/ 307].

و ذكر الرمخشري أن هذه الآية لما نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: على و فاطمة و ابناهما . [راجع الكشاف في تفسير الآية و التفسير الكبير للفخر الرازي و الدر المنثور للسيوطي و ذخائر و العقبي: 35، و قد ذكر العلامة الأميني خمسة و أربعين مصدراً لنزول الآية في شأن على و فاطمة و الحسن و الحسين، فراجع الجزء الثالث من الغدير.]

الزهراء في آية المباهلة :

أجمع أهل القبلة حتى الخوارج منهم على أنّ النبي (صلى الله عليه و آله) لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعة الزهراء و من الأبناء سوى سبطيه و ريحانتيه الحسن و الحسين (عليهما السلام) و من الأنفس الا أخاه علياً (عليه السلام) الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، فهؤلاء أصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها لم يشاركهم فيها أحد من العالمين، كما هو بديهي لكم من ألم بتاريخ المسلمين، و بهم خاصة نزلت لا بسواهم . [راجع الكلمة الغراء: 181].

لقد باهل النبي (صلى الله عليه و آله) بهم خصومه من أهل نجران فانصرف عليهم، و امهات المومنين كن حينئذ في حجراته (صلى الله عليه و آله) فلم يدع واحداً منهم، و لم يدع صفيّة و هي شقيقة أبيه، و لا أم هانئ و هي كريمة عمه، و لا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة و غيرهم من المهاجرين و الأنصار . كما أنه لم يدع مع سيدي شباب أهل الجنة أحداً من أبناء الهاشميين و لا أحداً من أبناء الصحابة، و كذلك لم يدع مع علي أحداً من عشيرته الأقربين و لا واحداً من السابقين الأولين، و إنما خرج و عليه مرط من شعر أسود- كما يقول الرازي في تفسيره - و قد احتضن الحسين و أخذ بيد الحسن و فاطمة تمشي خلفه و علي خلفها و هو يقول: إذا أنا دعوت فأمنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إنني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا، و لا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة .

[قال السيد عبدالحسين شرف الدين: ذكر هذا الحديث المفسرون و المحدثون و كل من أرخ حوادث السنه العاشرة للهجرة و هي سنة المباهلة، و راجع كذلك صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، و الكشاف للرمخشري في تفسير الآية 61 من سورة آل عمران].

قال الرازي بعد نقل هذا الحدث: هذه الآية دالة على أن الحسن و الحسين (عليهما السلام) كانا ابني رسول الله (صلى الله عليه و آله) و (آله) و عد أن يدعو ابنائه فدعا ابنه و الحسين (عليهما السلام) فوجب أن يكونا ابنيه [راجع التفسير الكبير: ذيل تفسير الآية، و الصواعق المحرقة: 238، و أسباب النزول للواحدی: 75].

الزهراء عند سيد المرسلين

«إنّ الله ليغضب لغضب فاطمة و يرضى لرضاها» [راجع كنز العمال: 12/ 111، و مستدرک الصحیحین: 3/ 154، و ميزان الاعتدال: 2/ 535].

«فاطمة بضعة مني من أذاها فقد أذاني و من أحبها فقد أحبني.» [راجع الصواعق المحرقة: 289، الإمامة و السياسة ص 31، و كنز العمال: 12/ 111، و خصائص النساء: 35، و صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة].

«فاطمة قلبی و روحی التي بين جنبيّ» [راجع فرائد السمطين: 2/ 66].

«فاطمة سيّدة نساء العالمين.» [المستدرک على الصحیحین: 3/ 170، و أبونعيم في حلية الأولياء: 2/ 39، و الطحاوي في مشكل الآثار: 1/ 48، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/ 193، و العوالم: 11/ 141 و 146].

لقد تواترت هذه الشهادات و أمثالها في كتب الحديث و السيرة

[راجع كنز العمال: 97 / 12، و مسند أحمد: 6 / 296 و 323، و مستدرک الصحيحين: 1853 - 158 /، و صحيح البخاري كتاب الاستئذان، و صحيح الترمذي 5 / الحديث 3869، و حلية الأولياء: 2 / 42، و الاستيعاب: 2 / 720 و 750.] عن رسول الله محمد (صلى الله عليه و آله) الذي لا ينطق عن الهوى

[سيرة النجم (53): 3.] و لا يتأثر بنسب أو سبب، و لا تأخذه في الله لومة لائم .

إن الرسول الذي ذاب في دعوته و كان للناس فيه أسوة فأصبحت خفقات قلبه و نظرات عينه و لمسات يده و خطوات سعيه و إشعاعات فكره: قوله و فعله و تقريره (أي: سنته (بل وجوده كله معلماً من معالم الدين و مصدراً للتشريع و مصباحاً للهداية و سبيلاً للنجاة .

«إنها أوسمة من خاتم الرسل على صدر فاطمة الزهراء، تزداد تألقاً كلما مر الزمن، و كلما تطورت المجتمعات، و كلما لاحظنا المبدأ الأساس في الإسلام في كلامه (صلى الله عليه و آله) لها: يا فاطمة اعملي لنفسك فإني لا أغنى عنك من الله شيئاً .»

[فاطمة الزهراء وتر في عمده: من مقدمه السيد موسى الصدر.]

و قال (صلى الله عليه و آله): «كامل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران و آسية بنت مزاحم امرأة فرعون و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد .»

[رواه صاحب الفصول المهمة: 27، راجع تفسير الوصول: 2 / 159، و شرح ثلاثيات مسند أحمد: 2 / 511.]

و قال (صلى الله عليه و آله): «إنما فاطمة شحنة منى، يقبضني ما يقبضها و يبسطني ما يبسطها

[الشحنة: الشعبة من كل شيء، الشحنة كالغصن يكون من الشجرة. راجع مستدرک الحاكم 3 / 154، 3 /، و كنز العمال: 12 / 111 الحديث 34240.]

و إن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي و سببي و صهري .»

[راجع مسند أحمد: 4 / 323 و 332، و المستدرک: 3 / 154 و 159.]

و خرج رسول الله (صلى الله عليه و آله) ذات يوم و قد أخذ بيد فاطمة (عليها السلام) و قال: «من عرف هذه فقد عرفها و من لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد و هي بضعة منى، و هي قلبي الذي بين جنبي، فمن أذاها فقد أذاني و من أذاني فقد أذى الله .»

[راجع الفصول المهمة: 144، ورواه في كتاب المختصر عن تفسير الثعلبي: 133.]

و قال (صلى الله عليه و آله): «فاطمة أعز البرية على .»

[أمالى الطوسى: مجلس 1 حديث 30، و المختصر: 136.]

و لا يصعب علينا تفسير هذه النصوص بعد الإلمام بعصمتها (عليها السلام)، بل هي شاهدة على عصمتها و أنها لا تغضب إلا لله و لا ترضى إلا له .

الزهراء عند الأئمة و الصحابة و المؤرخين

عن علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام): «لم يولد لرسول الله (صلى الله عليه و آله) من خديجة على فطرة الإسلام إلا فاطمة .»

[روضه الكافي: ح 536.]

و عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): «و الله لقد فطمها الله تبارك و تعالى بالعلم .»

[كشف الغمة: 1 / 463.]

و عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): «إنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها .»

[بحار الأنوار: 43 / 19.]

و عن ابن عباس: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان جالساً ذات يوم و عنده علي و فاطمة و الحسن و الحسين فقال: «اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي و أكرم الناس على فأحب من أحبهم و أبغض من أبغضهم و والي من والاهم و عاد من عادهم، و أعن من أعانهم و اجعلهم مطهرين من كل رجس معصومين من كل ذنب و أيدهم بروح القدس منك .»

[بحار الأنوار: 43 / 65 و 24.]

و عن ام سلمة أنها قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله) أشبه الناس وجهاً و شبيهاً برسول الله (صلى الله عليه و آله) .

[كشف الغمة: 1 / 471.]

و عن عائشة أنها قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها

[ذخائر العقبى: 54.] و كانت إذا دخلت على رسول الله (صلى الله عليه و آله) (فام فقبلها و رحب بها و أخذ بيدها و أجلسها في مجلسه، و كان النبي (صلى الله عليه و آله) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته و أخذت بيده و اجلسته في مجلسها، و كان الرسول دائماً يختصها بسره و يرجع إليها في أمره .

[أهل البيت: 144 لتوفيق أبو علم.]

و عن الحسن البصري أنه ما كان في هذه الامة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تورم قدمها .

[بحار الأنوار: 43 / 84.]

و دخل عبدالله بن حسن على عمر بن عبدالعزيز و هو حديث السن، و له و قرة، فرفع مجلسه و أقبل عليه و قضى حوائجه، ثم أخذ عكته

[و قرة: رزانة و حلم، العكته: الطى الذي في البطن من السمن (المختار/ باب عكن .) (من عكنه فغمزها حتى أوجعه و قال له: اذكرها عند الشفاعة .

فلما خرج لامة أهله و قالوا: فعلت هذا بغلام حديث السن، فقال: إن الثقة حدثني حتى كآني أسمع من في رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: «إنما فاطمة بضعة منى يسرنى ما يسرها» و أنا أعلم أن فاطمة (عليها السلام) لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها، قالوا: فما معنى غمزك بطنه، و قولك ما قلت؟ قال: إنه ليس أحد من بني هاشم إلا وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا .

[الأغانى: 8 / 307، و راجع مقاتل الطالبين: 124.]

قال ابن الصباغ المالكي: ... و هي بنت من أنزل عليه (سبحان الذي أسرى)، ثالثة الشمس و القمر، بنت خير البشر، الطاهرة الميلاد، السيدة بإجماع أهل السداد .

[الفصول المهمة: 141، طبعة بيروت.]

و قال الحافظ أبو نعيم الإصفهاني عنها: «من ناسكات الأصفياء و صفيات الأتقياء فاطمة- رضى الله تعالى عنها- السيدة البتول، البضة .

الشبيهة بالرسول... كانت عن الدنيا و متعتها عازفة، و بغوامض عيوب الدنيا و آفات عارفة .

[حلية الأولياء: 2 / 39 طبعة بيروت.]

و قال عبدالحميد بن أبي الحديد المعتزلي: و أكرم رسول الله (صلى الله عليه و آله) فاطمة إكراماً عظيماً أكثر مما كان الناس يظنون... حتى خرج بها عن حب الأبياء للأولاد، فقال لمحضر الخاص و العام مراراً لأمرة واحدة و في مقامات مختلفة لا في مقام واحد: «إنها سيدة نساء العالمين و إنها عديلة مريم بنت عمران، و إنها إذا مرت في الموقف نادى منا من جهة العرش: يا أهل الموقف غصوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد»، و هذا من الأحاديث الصحيحة و ليس من الأخبار المستضعفة، و كم قال لأمرة: «يؤذيها ما يؤذيها و يغضبي ما يغضبي، و إنها بضعة منى بريئى ما رابها» .

[شرح نهج البلاغة: 193 /9].
و قال المؤرخ المعاصر الدكتور على حسن ابراهيم: و حياه فاطمة هي صفحة فذة من صفحات التاريخ نلمس فيها ألوان العظمة، فهي ليست كبلقيس أو كليو بطرة استمدت كل منهما عظمتها من عرش كبير و ثروة و طائلة و جمال نادر، و هي ليست كعائشة نالت شهرتها لما اتصفت به من جرأة جعلتها تقود الجيوش و تتحدى الرجال، ولكننا أمام شخصية استطاعت أن تخرج إلى العالم و حولها هالة من الحكمة و الجلال، حكمة ليس مرجعها الكتب و الفلاسفة و العلماء، و إنما تجارت الدهر المليء بالتقلبات و المفاجآت، و جلال ليس مستمداً من ملك أو ثراء و إنما من صميم النفس
[راجع فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: 21].

مظاهر من شخصية الزهراء

الحديث عن الزهراء فاطمة يتجاوز الفسحة التي امتدت بين ساعتي أصبحت فيها النور و ساعتي انطفأت فيها من عينها لمعة الحياة .
فإنها ابنة نبي هز جذور الكفر في الإنسان و قفز به فوق الأجيال، كما إنها زوجة رجل هو ركن من أركان الحق و امتداد لأعظم نبي في تاريخ الإنسان .

لقد حازت على كمال العقل و جمال الروح و طيب الصفاء و كرم المحند، و عاشت في جو شعنت عليه و امتدت به و عبرت عنه فكراً و إنتاجاً، و غدت خطأ في الرسالة التي انطلقت ثورة، فكانت هي ركناً من أركانها التي لا يمكن فهم تاريخ الرسالة من دون فهم تاريخها .

و قد مثلت الزهراء (عليها السلام) أشرف ما في المرأة من إنسانيه و صيانة و كرامة و قداسة و رعاية و عناية، بالإضافة إلى ما كانت عليه من ذكاء و فطنة حادة و علم واسع، و كفأها فخراً أنها تربت في مدرسة النبوة و تخرجت من معهد الرسالة و تلقت عن أبيها الرسول الأمين (صلى الله عليه و آله) ما تلقاه عن رب العالمين، و مما لاشك فيه أنها تعلمت في دار أبيها ما لم تتعلمه طفلة غيرها
في مكة .

[أهل البيت لتوفيق أبوعلم: 116].

لقد سمعت القرآن الكريم من النبي المصطفى و سمعته من على المرتضى، وصلت به و عبتت به ربها بعد أن وعت أحكامه و فرائضه و سنته و عيا لم يحصل عليه غيرها من ذوي الشرف و المكرمات .

و نشأت الزهراء نشأة إيمان و يقين، نشأة وفاء و إخلاص و زهد، و علمت مع السنين أنها سليلة شرف لا منازع لها فيه من واحدة من بنات حواء، فوثقت بكفاية هذه الشرف الذي لا يداني، و شبت بين انطوائها على نفسها و اكتفائها بشرفها في دار الرسالة و عهد الإيمان .

لقد نشأت الزهراء و هي تحذو حذو أبيها في كل كمال، حتى قالت عنها عائشة: ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً و كلاماً برسول الله (صلى الله عليه و آله) من فاطمة، و كانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها و رحب بها و أجلسها في مجلسه، و كان إذا دخل عليها قالت إليه و رحبت به و أخذت بيده فقبلتها .

[أهل البيت لتوفيق أبوعلم: 116].

و من هنا تعرف السر أيضاً في ما صرحت به عائشة من أنها لم تجد في الأرض امرأة كانت أحب إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) من فاطمة، و قد عللت هي ذلك بقولها: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها (صلى الله عليه و آله) .

[المصدر نفسه].

و هكذا صارت الزهراء البتول صورة الانوثة الكاملة التي يتخضع بتقديسها المؤمنون .

علمها و معرفتها :

لم تكنف الزهراء فاطمة (عليها السلام) بما هيأ لها بيت الوحي من معارف و علوم، و لم تقتصر على الاستنارة العلمية التي كانت تهيئها لها شمس العلم و المعرفة المحيطة بها من كل جانب .

لقد كانت تحاول في لقاءاتها مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله) و بعلمها باب مدينة علم النبي أن تكتسب من العلوم ما استطاعت، كما كانت ترسل ولديها الحسن و الحسين إلى مجلس الرسول (صلى الله عليه و آله) بشكل مستمر ثم تستنطقهما بعد العودة إليها، و هكذا كانت تحرص على طلب العلم كما كانت تحرص على تربية و ولديها تربيةً فضلى، و لقد كانت تبذل ما تكتسبه من العلوم لسائر نساء المسلمين بالرغم من كثرة واجباتها البيئية .

إن هذا الجهد المتواصل لها في طلب العلم و نشره قد جعلها من كبريات رواة الحديث و من حملة السنة المطهرة، حتى أصبح كتابها الكبير الذي كانت تعتز به أشد الاعتزاز يعرف باسم «مصحف فاطمة» و انتقل إلى أبنائها الأئمة المعصومين بتوارثونه كإرث عن كابر، كما سوف تلاحظه بالتفصيل في باب تراثها سلام الله عليها .

و يكفيك دليلاً على ذلك و على سموها فكراً و كمالها علماً ما جادت به قريحتها من خطبتين [راجع الخطبتين فيما سيأتى من أحداث حياتها بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه و آله) من هذا الكتاب]. ألقتهما بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه و آله) (أحدهما بحضور كبار الصحابة في مسجد الرسول (صلى الله عليه و آله) و الأخرى في بيتها، و قد تضمنتا صوراً رائعة من عمق فكرها و أصلته و اتساع ثقافتها و قوة منطقها و صدق نبوءاتها فيما سنتنتهي إليه الأمة بعد انحراف القيادة، هذا فضلاً عن رفعة أدبها و عظيم جهادها في ذات الله و في سبيل الحق تعالى .

لقد كانت الزهراء (عليها السلام) من أهل بيت اتقوا الله و علمهم الله- كما صرح بذلك الذكر الحكيم- و هكذا فطمها الله بالعلم فسميت فاطمة، و انقطعت عن النظر فسميت بالبتول .

مكارم أخلاقها :

كانت فاطمة (عليها السلام): «كريمة الخليفة، شريفة الملكة، نبيلة النفس، جليلة الحسن، سريعة الفهم، مبرهفة الذهن، جزة المروءة، غراء المكارم، فياحة نفاحة، جريئة الصدر، رابطة الجأش، حمية الأنف، نائية عن مذاهب العجب، لا يحددها مادي الخيلاء، و لا يثنى أعطافها الرهو والكبرياء.» [أهل البيت: 132-134].

لقد كانت سبطة الخليفة في سماحة و هوادة إلى رحابة صدر وسعة أنه في وقار و سكينه و رفق و رزانه و ركانة و رصانه و عفة و صيانة .

عاشت قبل وفاة أبيها متهللة العزة وضّاحة المحيا حسنة البشر باسمه الثغر، و لم تعرب بسمتها إلا منذ وفاة أبيها (صلى الله عليه و آله .)

كانت لا يجرى لسانها بغير الحق و لا تنطق إلا بالصدق، لا تذكر أحداً بسوء، فلا غيبة و لا نميمة، و لا همز و لا لمز، تحفظ السر و تفي بالوعد، و تصدق النصح و تقبل العذر و تتجاوز عن الإساءة، فكتيراً ما أقلت العثرة و تلتفت الإساءة بالحلم و الصبح .

«لقد كانت عزوفة عن الشر، ميالة إلى الخير، أمينة، صدوقة في قولها، صادقة في نيتها و وفائها، و كانت في الذروة العالية من العفاف، طاهرة الذيل

عفيفة الطرف، لا يميل بها هواها، إذ هي من آل بيت النبي الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً .

و كانت إذا ما كلمت إنساناً أو خطبت في الرجال يكون بينها و بينهم ستر يحجبها عنهم عفة و صيانة .

و من عجيب صوتها أنها استتبعث بعد الوفاة ما يصنع بالنساء من أن يطرح على المرأة الثوب فيصفاها .

[أهل البيت: 132-134].

و كانت الزهراء (عليها السلام) زاهدة فنوعة، موقنة بأن الحرص يفرق القلب و يشتمت الأمر، مستمسكة بما قاله لها أبوها: «يا فاطمة! اصبري على مرارة الدنيا لتفوزي بنعيم الأبد» فكانت راضية باليسير من العيش، صابرة على شظف الحياة، قانعه بالقليل من الحلال، راضيه مرضيه، لا تطمح إلى ما لغيرها، و لا تستشرف بصرفها إلي ما ليس من حقها، و ما كانت تنزل إلى سؤال غير الله تعالى، فهي رمز لغنى النفس، كما قال أبوها (صلى الله عليه و آله): «إنما الغنى عنى النفس.»

إنها السيدة البنول التي انقطعت إلى الله تعالى عن دنياها و عرفت عن زخارفها و صدقت عن غرورها و عرفت آفاتها، و صبرت على أداء مسؤولياتها و هي تعاني شظف العيش و لسانها رطب بذكر مولانا .

لقد كان هم الزهراء الآخرة، فلم تحفل بمباهج الدنيا و هي ترى إعراض أبيها (صلى الله عليه و آله) عن الدنيا و ما فيها من متع و لذائذ و شهوات .

و عرف عنها صبرها على البلاء و شكرها عند الرخاء و رضاها بواقع القضاء، و قد روت عن أبيها (صلى الله عليه و آله): «إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتبه و إن رضي اصطفاه.»

[أهل البيت: 137].

جودها و ايثارها :

و كانت علي يهدى أبيها في جوده و سخائه، و قد سمعته يقول: «السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد عن النار، و أن الله سبحانه جواد يحب الجواد» و كان الإيثار من شعار المصطفى (صلى الله عليه و آله) حتى قالت بعض زوجاته: ما شيع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، و كان يقول (صلى الله عليه و آله): «و لو شئنا لشيعنا ولكننا نؤثر على أنفسنا.»

[أهل البيت: 138]، و كانت الزهراء خير من يؤثر على نفسه اقتداءً بأبيها حتى عرف عنها ايثارها بقميص عرسها ليلة زفافها سلام الله عليها، و كفي بما أوردناه في سورة الدهر شاهداً على عظيم ايثارها و جميل سخائها .

و روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه و آله) صلاة العصر، فلما انتقل جلس في قبلته و الناس حوله، فيينا هم كذلك إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل

[السمل: الثوب الخلق، و تهلل الثوب: انخرقه.] قد تهلل و أخلق، و لا يكاد يتمالك كبراً وضعفاً، فأقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه و آله) يستحنه الخبر، فقال الشيخ: يا نبي الله، أنا جائع الكبد فأطعمني، و عاري الجسد فأكسني، و فقير فأرشدني، فقال

(صلى الله عليه و آله): «ما أحد لك شيئاً، ولكن الدال على الخير كفاعله، إنطلق إلى منزل من يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، يؤثر الله على نفسه، انطلق إلى حجرة فاطمة.» (و كان بينهما ملامصاً لبنت رسول الله صلى الله عليه و آله) الذي ينفرد به لنفسه من

أزواجه) و قال: «يا بلال قم فقف به على منزل فاطمة.»

فانطلق الأعرابي مع بلال، فلما وقف على باب فاطمة؛ نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، و مختلف الملائكة، و مهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند رب العالمين، فقالت فاطمة: «عليك السلام، فمن أنت يا هذا؟» قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك السيد البشير من شقة، و أنا يا بنت محمد (صلى الله عليه و آله) عاري الجسد جائع الكبد فواسيني برحمتك الله .

و كان لفاطمة و علي و رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً، و قد علم رسول الله (صلى الله عليه و آله) ذلك من شأنهما، فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مذبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن و الحسين، فقالت: «خذ أيها الطارق، فعضى الله أن يختار لك ما هو خير فيه»، قال الأعرابي: يا بنت محمد، شكوت اليك الجوع فناولتني جلد كبش ما أصنع به مع ما أحد من السغب؟

قال: فعمدت لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمها حمزة بن عبدالمطلب، فقطعته من عنقها و نبذته إلى الأعرابي و قالت: «خذ وبعه، فعضى الله أن يعوضك به ما هو خير منه.»

فأخذ الأعرابي العقد و انطلق إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و النبي جالس في أصحابه فقال: يا رسول الله، أعطتني فاطمة هذا العقد، فقالت: «بعه.»

قال فبكي رسول الله (صلى الله عليه و آله) و قال: «كيف لا يعوضك به ما هو خير منه؟! و قد أعطتك فاطمة (عليها السلام) بنت محمد سيده بنات آدم.»

فقال عمار بن ياسر (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بشراء هذا العقد؟ قال: «اشتره يا عمار، فلو اشتريته فيه الثقلان ما عذبهم الله بالنار»، فقال عمار: بكم العقد يا أعرابي؟ قال: بشبعة من الخبز و اللحم و بردة يمانية أستر بها عورتني و أصلي بها لربي و دينار يبلغني أهلي ...

و كان عمار قد باع سهمه الذي نقله رسول الله (صلى الله عليه و آله) من خيبر و لم يبق معه شيئاً، فقال: لك عشرون ديناراً و مئتا درهم هجرية و بردة يمانية و راحلتي تبلغك أهلك، و شبعك من خبز البر و اللحم .

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال يا رجل! و انطلق به عمار فوفاة فأضمن له، و عاد الأعرابي إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال له رسول الله (صلى الله عليه و آله): «أشيعت و اكتسبت؟» قال الأعرابي: نعم، و استغنيت بأبي أنت و أمي قال: فأجز فاطمة بصنيعها فقال الأعرابي: اللهم إنك إله ما استحدثناك و لا إله لنا نعبده سواك، و أنت رازقنا على كل الجهات، اللهم أعط فاطمة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت .

فأمن النبي على دعائه و أقبل على أصحابه، فقال: «إن الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك، أنا أبوها و لا أد من العالمين مثلي، و على بعلها و لو لا على : لما كان لفاطمة كفو أبداً، و أعطاهما الحسن و الحسين و ما للعالمين مثلهما سيديا شباب أسباط الأنبياء و سيديا شباب أهل الجنة .»

و كان بإزائه مقداد و عمار و سلمان. فقال: «و أزيدكم؟»، قالوا: نعم يا رسول الله، قال (صلى الله عليه و آله): «أتاني الروح- يعنى جبرئيل- أنها ذاذ هي قبضت و دفنت يسألها الملكان في قبرها: من ربك؟ فتقول: الله ربي، فيقولان فمن نبيك؟ فتقول: أبي، فمن وليك؟ فتقول: هذا القائم على شفير قبري ألا و أزيدكم من فضلها؟ إن الله قد و كل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها و من خلفها و عن يمينها و عن شمالها، و هم معها في حياتها و عند قبرها و عند موتها، و يكتبون الصلاة عليها و علي أبيها و علي بعلها و بنيتها، فمن زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي، و من زار فاطمة فكانما زارني، و من زار علي بن أبي طالب فكانما زار فاطمة، و من زار الحسن و الحسين فكانما زار علياً، و من زار ذريتهما فكانما زارهما .»

فعمد عمار إلى العقد فطيبه بالمسك، و لفه في بردة يمانية، و كان له عبد اسمه) سهم) ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخير، فدفع العقد إلى المملوك و قال له: خذ هذا العقد وادفعه لرسول الله و أنت له، فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأخبره بقول عمار، فقال النبي (صلى الله عليه و آله): (انطلق إلى فاطمة فادفع إليها العقد و أنت لها)، فجاء المملوك بالعقد و أخبرها بقول رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأخذت فاطمة (عليها السلام) العقد و أعتقت المملوك فضحك الغلام، فقالت: «ما يضحكك يا غلام؟»، قال: أضحكني عظم بركة هذه العقد، أشيع جانعا و كسى عرباناً و أغنى فقيراً و أعتق عبداً و رجع إلى ربه .

[بحار الأنوار: 43 / 56- 58].

إيمانها و تعبدها لله :

الإيمان بالله قيمة الإنسان الكامل، و التعبد لله سلم الوصول إلى قمم الكمال، و قد حاز الأنبياء و الأولياء على مقاعد الصدق في دار الكرامة بما اشتملوا عليه من درجات الإيمان و بما اجتهدوا في الدنيا و أخلصوا فيه من العبادة لله سبحانه .

و قد شهد القرآن الكريم- كما لا حطنا في سورة الدهر- علي كمال إخلاصها و خشيتها لله سبحانه و عظيم إيمانها به و باليوم الآخر، و شهد الرسول (صلى الله عليه و آله) لها قائلاً: «إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها و جوارحها إيماناً إلى مشاشها ففرغت لطاعة الله .»

[بحار الأنوار: 43 / 46، المشاش: رأس العظم اللين.] و أخبر عن عبادتها «أنها متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، و يقول الله عز و جل لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمانتي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي و قد أقبلت بقلبيها على عبادتي، أشهدكم أنني قد أمّنت شيعتها من النار .»

[أماله الصدوق، المجلس: 24 / 100].

و قال الحسن بن علي (عليهما السلام): «رأيت أمي فاطمة (عليها السلام) قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتي أضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين و المؤمنات و تسميهم و تكثر الدعاء لهم، و لا تدعو لنفسها بشيء ء، فقلت لها: يا أماه! لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار .»

[بحار الأنوار: 43 / 81-82].

و كانت تخصص الساعات الأخيرة من نهار الجمعة للدعاء، كما كانت لاتنام الليل في العشر الأخير من شهر رمضان المبارك و كانت تحرض جميع من في بيتها بإحياء الليل بالعبادة و الدعاء .

و قال الحسن البصري: ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تورمت قدمها .

[بحار الأنوار: 43 / 84]. و كانت تنهج في صلاتها من خوف الله تعالى .

[إعلام الدين: 247، وعدة الداعي: 151].

و هل خرجت فاطمة في حياتها كلها عن المحراب؟ و هل كانت حياتها كلها إلا السجود الدائم؟ فهي في البيت تعبد الله في حسن النعل و في تربية أولادها، و هي في قيامها بالخدمات العامة كانت تطيع الله و تعبده أيضاً، كما أنها في مواساتها للفقراء كانت تقوم بعبادة الله بنفسها و بأهل بيتها مؤثرة على نفسها .

حنوها و شفقتها :

«لمست الزهراء (عليها السلام) من أبيها حبه و مودته و حنوه و شفقتها فكانت نعم البرة به (صلى الله عليه و آله)، أخصلت له في حبه و ولائها و حنوها و وفائها له، فآثرته على نفسها، و كانت تتولى تدبير بيت أبيها (صلى الله عليه و آله) و تقوم بإدارته، فتنجز ما يصلحه و تبعث فيه الهدوء و الراحة له، و كانت تسارع إلى كل ما يرضى أباه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، تسكب له الماء ليغتسل و تهني ء له طعامه و تغسل ثيابه، فضلاً عن اشتراكها مع النساء في الغزو لحمل الطعام و الشراب و سقاية الجرحى و مداواتهم، و في غزوه احد هي التي داوت جراح أبيها حينما رأت أن الدم لا ينقطع، فأخذت قطعه حصر فأحرقته حتى صار رماداً ثم ذرته على الجرح فاستمسك الدم... و جاءته في حفر الخندق بكسرة من خبز فرفعتها إليه فقال: ما هذه يا فاطمة؟ قالت: من فرض اختبرته لابني جنتك لابني جنتك منه بهذه الكسرة، فقال: «يا بنية: أما إنها لأول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام .»

[أراجع أهل البيت لتوفيق أبوعلم: 141-142].

و قد استطاعت الزهراء أن تسد الفراغ العاطفي الذي كان يعيشه الرسول (صلى الله عليه و آله) بعد أن فقد أبويه في ول حياته و فقد زوجته الكريمة خديجة الكبرى في أقسى ظروف الدعوة و الجهاد في سبيل الله .

إن مواقف الأمومة التي صدرت عن الزهراء بالنسبة لأبيها وحدثنا التاريخ عن تنفي منها تؤكد نجاح فاطمة في هذه المحاولة التي أعادت إلى النبي (صلى الله عليه و آله) المصدر العاطفي الذي ساعده دون شك في تحمل الأعباء الرسالية الكبرى، و من هنا قد نفهم السر في ما تكرر على لسانه (صلى الله عليه و آله) من أن «فاطمة أم أبيها .»

[أراجع أسد الغابة: 5 / 520، و الاستيعاب: 4 / 380].

إذ نرى أنه كان يعاملها معاملة الأم فيقبل يدها، و يبدأ بزيارتها عند عودته إلى المدينة، كما يودعها و ينطلق من عندها في كل رحلاته و غزواته، كان يتزود من هذا المنبع الصافي عاطفة لسفره و رحلته، كما نلاحظ في سيرته كثرة دخوله عليها في حالات تعب و آلامه او حال جوعه او حال دخول ضعيف عليه، ثم تقابله فاطمة (عليها السلام) (كما تقابل الام ولدها فترعاه و تحضنه و تخفف آلامه كما تخدمه و تطيعه .

جهادها المتواصل :

ولدت فاطمة في حدة الصراع بين الإسلام والجاهلية، وفتحت عينها والمسلمون في ضلالة الجهاد مع الوثنية الجائرة، لقد فرضت قريش الحصار على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبنو هاشم جميعاً، فدخل الرسول مع زوجته المجاهدة وابنته الطاهرة الشعب، وحاصرتهم ثلاث سنين وأذقتهم فيها ألوان الحرمان، وهكذا عايشت الزهراء هذا الحصار القاسي وذاقت في طفولتها مرارة الحرمان وشظف العيش دفاعاً عن الحق وتضحيةً من أجل المبدأ .

ومرت سنون الحصار صعبة ثقيلة، وخرج رسول الله منها منتصراً، و شاء الله أن يختار خديجة لجواره في ذلك العام ويتوفي بأطالب عم الرسول و حامى الدعوة و ناصر الإسلام، و يأخذ الحزن و الاسى من قلب الرسول (صلى الله عليه وآله) ماخذه بعد ان فقد احب الناس إلى قلبه و اعزهم عليه .

و هكذا رزئت فاطمة و هي لم تشيع بعد من حنان الأمومة، و شاطرت أباهما المأساة و الألم بالرغم من أنها قد فقدت مصدر الحنان الثرى، و لقد صبت قريش كل حقدتها و أذاها على الرسول بعد وفاة عمه و حاميه و الزهراء ترى بأم عينها ما يقوم به سفهاء قريش و طغاتهم من انتفاض الرسول و ابدانه و هو يريد إخراجهم من الظلمات إلى النور، و كان الرسول يحاول أن يخفف عنها عبء الألم و يحثها على التجلّد قائلاً: «لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك و ناصره على أعداء دينه و رسالته»

[أسيرة المصطفى: 205، و راجع الطبري: 426 /1 (طبع دار الفكر- بيروت).] وهكذا يزرع الرسول في نفس ابنته روحاً جهادية عاليةً و يملأ قلبها بالصبر و الثقة بالنصر .

و هاجرت الزهراء بعد هجرة أبيها إلى المدينة في جو مكة المرعب مع ابن عمها على بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كان مستهيناً بكبرياء قريش و غرورها، ليلتحق بالرسول (صلى الله عليه وآله) في «قباء» بعد أن تورمت قدماه من مواصلة السير على قدميه .

و انتقلت الزهراء إلى بيت زوجها المتواضع في المدينة بعد أن أرسى أبوها دعائم دولته المباركة، و شاركته في جهاده صابرةً على قساوة الحياة و مصاعب الجهاد في سبيل الله، و هي تحاول أن تقدم صورة الحياة العائلية الفريدة، و لعبت الزهراء دوراً بارزاً و شاقاً في نصره الحق و الدفاع عن وصية الرسول (صلى الله عليه وآله) (حينما وقفت موقفاً لا مثيل له إلى جانب على بن أبي طالب (عليه السلام) في أخرج أيام حياته مؤكدةً أن الجبهة الداخلية في حياة على صامدة لا تشعر بالضعف، و لكنها تركت تقدير الظروف و انتخاب الموقف لقائدها و زوجها الإمام، يقرر و يصمم و يأمر فيطاع .

لقد كانت الزهراء تأتي قبور الشهداء كل عدة سبت و تترحم عليهم و تستغفر لهم، و هذه البداية لأعمال الأسبوع تفصح عن مدى تقدير فاطمة للجهاد و للشهادة، و تعبر بوضوح عن حياتها العملية التي تبدأ بالجهاد و تستند على الجهاد و التضحية إلى درجة الاستشهاد .

[من مقدمة (فاطمة الزهراء و ترفي غمد)، للسيد موسى الصدر .]

الباب الثاني

فيه فصول :
الفصل الأول :
نشأة الزهراء فاطمة (عليها السلام)
الفصل الثاني :
مراحل حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام)
الفصل الثالث :
الزهراء (عليها السلام) مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله)

نشأة الزهراء فاطمة

شخصية السيدة خديجة «أم فاطمة» :

ولدت السيدة خديجة بنت خويلد زوجة النبي الأولى من أبوين قرشيين كلاهما من أعرق الأسر في الجزيرة العربية، و قد اجتمع لها بالإضافة إلى هذا النسب الرفيع، الذكر الطيب و الخلق الكريم و الصفات الفاضلة، و بلغ من علو شأنها أنها كانت قبل أن تتزوج بالنبي (صلى الله عليه وآله) تعرف بالطاهرة و بسيدة نساء قريش، و هي مع ذلك من أثرياء قريش و أوسعهم جاهاً و مفطورة على التدبير بعاملتي الوارثة و التربية، فأبوها خويلد هو الذي نازع (تبعاً الآخر) ملك اليمن حين أراد أن يحمل الحجر الأسود معه إلى اليمن، فتصدى له و لم ترهبه قوته و كثرة أنصاره حرصاً منه على هذا النسك من مناسك دينه .

[أسيرة الأئمة الإثني عشر، للسيد هاشم معروف الحسني: 42 /1 .]

و أسد بن عبد العزى- جد السيدة خديجة- كان من المبرزين في حلف الفضول الذي تداعت له قبائل من قريش، فتعاقدوا و تعاهدوا على أن لا يحدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه و كانوا على من ظلمه حتى ترد مظلمته، و قد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، و لو أدعى به في الإسلام لأجبت»

[أسيرة ابن هشام: 134 /1 ط دار المعرفة- بيروت .]

و ابن عمها ورقية بن نوفل كان يعكف على دراسة كتب النصارى و اليهود، و يعمل بما يستحسنه منهما، لا لأنه كان يعاشر النصارى و اليهود، و لا لأن مكة كانت مقراً لهما، بل لأنه كان يسخر من عبادة الأصنام و التماثيل و يبحث عن دين يطمئن إليه .

[أسيرة الأئمة الإثني عشر: 42 /1 .]

إذن كانت السيدة خديجة من أسرة عريقة معروفة بالعلم و الديانة، و كان ذووها على الحنيفية دين إبراهيم (عليه السلام)، و ممن ينتظرون ظهور دين الحق في بلاد الجزيرة العربية .

[و من هنا يظهر أنّها لم تتزوج أحداً قبل الرسول (صلى الله عليه و آله) فضلاً عن أن تكون قد تزوجت بزوجين مشركين و فاقدين لأى مكانة بين الناس، ويؤيد ذلك ما جاء به البلاذري في أنساب الأشراف و أبوالقاسم الكوفي في الاستغانة و غيرههما. راجع الصحيح من السيرة للعالمى و كامل بهائى لعماد الدين طبري و مناقب ابن شهر آشوب .
و عن ابن عباس أن عمرها حين الاقتران بالرسول (صلى الله عليه و آله) كان 28 عاماً. راجع شذرات الذهب: 1 / 14، و أنساب الأشراف: 1 / 98 .]

نشاطها التجاري

خطب أشراف قريش السيّدة خديجة و قدّموا لها العروض المغرية فلم تستجب لأحد منهم [و من هنا يظهر أنّها لم تتزوج أحداً قبل الرسول (صلى الله عليه و آله) فضلاً عن أن تكون قد تزوجت بزوجين مشركين و فاقدين لأى مكانة بين الناس، ويؤيد ذلك ما جاء به البلاذري في أنساب الأشراف و أبوالقاسم الكوفي في الاستغانة و غيرههما. راجع الصحيح من السيرة للعالمى و كامل بهائى لعماد الدين طبري و مناقب ابن شهر آشوب. و عن ابن عباس أن عمرها حين الاقتران بالرسول (صلى الله عليه و آله) كان 28 عاماً. راجع شذرات الذهب: 1 / 14، و أنساب الأشراف: 1 / 98.]، و ظلت تعيش بعيدة عن الرجال و مشاكلمهم طبيعة النفس مرتاحة الضمير، لأن أكثر الخاطبين كانوا يضعون في حساباتهم ثروتها الواسعة حتى بلغت الأربعين من عمرها .

كانت في يدى السيّدة خديجة أموال طائلة، ولكنها لم تترك هذه الأموال راكمة و لم تراب بها في زمان كان الربا رائجاً، و إنما استثمرت هذه الأموال في التجارة و استخدمت رجالاً صالحين لهذا الغرض، و استطاعت ان تكتسب عن طريق التجارة ثروة ضخمة .
و بروى المحدثون أنّ السيّدة خديجة كانت ترسل في تجارتها إلى الشام جماعة بأجر معين، و قبيل زواجها بالنبي أرسلت اليه ليذهب في تجارتها و بذلت له ضعف ما كانت تبذله لغيره لأنه كان حديث الناس رجالاً و نساءً في أمانته و صدقه و استقامته، فوافق على طلبها بعد أن استشار عمه أبوطالب، و أرسلت معه غلاماً ميسرة لخدمة القافلة و رعايتها، و كانت الرحلة ناجحة و موفقة بشكل لم توفق له رحلة قبلها، و أسرع ميسرة قبل دخول القافلة مشارف مكة ليخبر خديجة بما جرى و ما حدث لمحمد (صلى الله عليه و آله) في طريقه مع بحير الراهب و غيره .

و من نبوغ وحدة ذكاء السيّدة خديجة و نظرتها البعيدة أنّها أدركت عظمة شخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) و سمو أخلاقه قبل تكليفه برسالة السماء، فاختارته زوجاً لها من دون الرجال و الشخصيات المرموقة الذين تقدموا لخطبتها، بل إنها هي التي تقدمت و عرضت نفسها و رغبت في الاقتران به، على رغم اليون الشاسع بين حياتها المادية و حياته البسيطة .
و جاء في تاريخ البيهقي عن عمار بن ياسر أنه قال: أنا أعلم الناس بزواج خديجة بنت خويلد من رسول الله (صلى الله عليه و آله)، لقد كنت صديقاً له و أنا لشمشي يوماً بين الصفا و المروة و إذا بخديجة و أختها هالة معها، فلما رأيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) جاءتني أختها هالة و قالت: يا عمار! ما لصاحبك رغبة في خديجة؟ فقلت لها: و الله لا أدري، فرجعت اليه و ذكرت ذلك له، فقال لى: إرجع فواضعها وعدّها يوماً تأتيها فيه، فلما كان ذلك اليوم أرسلت إلى عمها عمرو بن أسد و دهنت لحيته و ألفت عليه حبراً، ثم حضر رسول الله (صلى الله عليه و آله) في نفر من أعمامه يتقدمهم أبوطالب، فخطب في الحاضرين، و تم الزواج بينهما .

و أضاف عمار: أنّها لم تستاجر في تجارتها و لم يكن أجيراً لأحد أبداً [أورد حديث زواجه منها على هذا النحو ابن كثير في أريخه البداية و النهاية: 2 / 361 بعد أن أورد الصورة الأولى الشائعة بين المحدثين .]

زواج النبي بخديجة :

ولد محمد (صلى الله عليه و آله) في بيت من أرفع بيوت العرب شأناً و أعلاها مجدداً و أكثرها عزةً و منعةً، فمضى و ترعرع و شب، و شبت معه آمال الحياة كلها، و قد شاء الله أن يربي محمداً (صلى الله عليه و آله) و يعده و يؤهله لحمل الرسالة و الاضطلاع بتبليغ الأمانة، فأحاطه برعاية خاصة رسمت حياته وفق قدر ربانى متناسب مع ما ينتظره من عظم المسؤولية في حمل آخر رسالة عالمية إلهية .

و حين بلغ محمد (صلى الله عليه و آله) سن الخامسة و العشرين من عمره الشريف كان لا بد له من الاقتران بامرأة تناسب إنسانيته و تتجاوب مع عظيم أهدافه و ترتفع إلى مستوى حياته بما ينتظرها من جهاد و بذل و صبر، لقد كان بإمكان محمد (صلى الله عليه و آله) و هو بهذه المؤهلات الراقية أن يتزوج من أية فتاة أرادها من بني هاشم، ولكن مشيئة الله شاءت أن يتجه قلب خديجة نحوه صلوات الله عليه، و يتعلق قلبها بشخصه الكريم فيقبل (صلى الله عليه و آله) ذلك الطلب و يقترن بخديجة .
لقد أعطت خديجة زوجها حباً و هي لا تشعر بأنها تعطي، بل تأخذ منه حباً فيه كل السعادة، و أعطته ثروة و هي لا تشعر بأنها تعطي، بل تأخذ منه هداية تفوق كنوز الأرض، و هو بدوره أعطها حباً و تقديراً رفعاها إلى أعلى مرتبه و هو لا يشعر بأنه قد أعطها، بل قال: ما قام الإسلام إلا بسيف على و مال خديجة، و لم يتزوج بغيرها حتى توفيت و هو لا يشعر بأنه أعطها .

و قصة زواج خديجة من رسول الله (صلى الله عليه و آله) تعد منعطفاً مهماً و من النقاط اللامعة في حياتها، فقد كانت لها روح الاستقلال و الاعتماد على النفس و الحرية بشكل واضح، و كانت تمارس التجارة كأفضل الرجل عقلاً و رشداً، و رفضت الزواج من الأشراف و الأثرياء الذين تقدموا اليها، و رضيت باندفاع للزواج من محمد (صلى الله عليه و آله) الفقير البتيم، بل تقدمت بشوق لتقترن على محمد (صلى الله عليه و آله) الزواج منها، و أن يكون المهر من أموالها، فلما أراد الرسول (صلى الله عليه و آله) أن يتزوج خديجة بنت خويلد أقبل أبوطالب في أهل بيته و معه نفر من قريش حتى دخل على عم خديجة، فابتدأ أبوطالب بالكلام قائلاً :

« الحمد لرب هذا البيت الذي جعلنا زرع إبراهيم و ذرية إسماعيل، و أنزلنا حرماً آمناً و جعلنا الحكام على الناس، و بارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثم إن ابن أخى -يعنى محمداً (صلى الله عليه و آله)- ممن لا يوزن برجل من قريش إلا ربح به، و لا يقاس به رجل إلا عظم عنه، و لا عدل له في الخلق و إن كان مقلداً في المال فإن المال ورفد جار و ظل زائل، و له في خديجة رغبة، و قد جئناك لئخطبها إليك برضاها و أمرها، و المهر على في مالى الذي سألتموه عاجله و أجله، و له و رب هذا البيت حظ عظيم و دين شائع و رأي كامل .»

ثم سكت أبوطالب، فتكلم عمها و تلجلج و قصر عن جواب أبي طالب و أدركه القطع و البهر و كان رجلاً عالمياً، فتداركت خديجة الموقف و زوجت نفسها من محمد (صلى الله عليه و آله) .
[بحار الأنوار: 14 / 16، و راجع تذكرة الخواص: 302 .]

و بروي أن خديجة وكلت ابن عمها ورقة في أمرها، فلما عاد ورقة إلى منزل خديجة بالبشرى و هو فرح مسرور نظرت اليه فقالت: مرحباً وأهلاً بك يا ابن عم، لعلك قضيت الحاجة، قال: نعم يا خديجة يهنئك، و قد رجعت أحكامك إلي و أنا وكيلك، و في عادة عد أزواجك إن شاء الله تعالى بمحمد (صلى الله عليه و آله)

[بحار الأنوار: 4 / 16].

و لما خطب أبوطالب (عليه السلام) الخطبة المعروفة و عقد النكاح قام محمد (صلى الله عليه و آله) ليذهب مع أبي طالب، فقالت خديجة: إلى بيتك، فبيتي بيتك و أنا جاريتك

[بحار الأنوار: 4 / 16].

و بعد أن تم الزواج المبارك انتقل رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى دار خديجة، تلك الدار التي ظلت معلماً شاخصاً ولساناً ناطقاً يحكي أحداث الدعوة و الجهاد و صبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) و معاناته .

مكانة خديجة لدى النبي

اجتمع شمل محمد (صلى الله عليه و آله) و خديجة و تأسست الأسرة و بُني البيت الذي يغمره الحب و السعادة و الحنان و الدفء العائلي و الانسجام، فقد كانت أول من آمن بدعوة الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) من النساء، و بذلت كل ما يوسعها من أجل أهدافه المقدسة، و جعلت ثروتها بين يدي الرسول (صلى الله عليه و آله) و قالت :

جميع ما أملك بين يديك و في حكمك، أصرفه كيف تشاء في سبيل إعلاء كلمة الله و نشر دينه .

و تحملت مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) عذاب قريبش و مقاطعتها و حصارها، و كان هذا الإخلاص الفريد و الإيمان الصادق و الحب المخلص من خديجة حرياً أن يقابله رسول الله (صلى الله عليه و آله) بما يستحق من الحب و الإخلاص و التكريم، و بلغ من حبه لها و عظيم مكانتها في نفسه الطاهرة أن هذا الحب و الوفاء لم يفارق رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى بعد موتها، و لم تستطع أي من زوجاته أن تحتل مكانها في نفسه، حتى قال الرسول (صلى الله عليه و آله): و خير نساء أمتي خديجة بنت خويلد ...

[تذكرة الخواصي: 302 (طبعة النجف) و راجع مسند الإمام أحمد: 1 / 143].

و عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) إذا ذكر خديجة لم يسأم من الثناء عليها و الاستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة فقلت: و هل كانت إلا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها؟ قالت: فغضب حتى اهتز مقدم شعره و قال: «و الله ما أخلف لي خيراً منها، لقد آمنت بي إذ كفر الناس و صدقتني إذ كذبني الناس و أنفقتني مالها إذ حرمني الناس، و رزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء». قالت: فقلت في نفسي: و الله لا أذكرها بسوء أبداً .

[تذكرة الخواصي: 303].

و في رواية: أن جبرئيل (عليه السلام) أتى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و قال: «يا محمد! هذه خديجة قد أتتك فأقرأها السلام من ربها، و بشرها ببيت في الجنة من قصب، لاصخب فيه و لا نصب .»

[المصدر السابق: 302].

و كان (صلى الله عليه و آله) يحترم صديقاتها إكراماً و تقديراً لها، كما جاء عن أنس أن النبي (صلى الله عليه و آله) كان إذا أتى بهدية قال: «إذهبوا إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحبها .»

[سفيينة البحار: 2 / 570 (الطبعة المحققة)].

و روي عنه (صلى الله عليه و آله) أنه كان إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا إلى أصدقاء خديجة»، فتسأله عائشة في ذلك فيقول: «إنني لأحب حبيبيها .»

و روي أن امرأة جاءت به (صلى الله عليه و آله) و هو في حجره عائشة فاستقبلها واحتفى بها، و أسرع في قضاء حاجتها، فتعجبت عائشة من ذلك، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه و آله): «إنها كانت تأتينا في حياة خديجة .»

إن خديجة لتستحق كل هذا التقدير و الاحترام من رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعد أن بلغت المقام السامي و الدرجة العالية عند الله حتى حباها رب العالمين بالدرجة الرفيعة في الجنة، و قد أوضح رسول الله مكانتها في الجنء بقوله (صلى الله عليه و آله): «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، و مريم بنت عمران، و آسية بنت مزاحم امرأة فرعون .» [ذخائر العقبى، للطبري: 52، و مستدرك الحاكم: 3 / 160 و 185]. و كانت خديجة تؤازره على أمره في تبليغ الدعوة فخفف الله عن رسوله (صلى الله عليه و آله) (بمؤازرتها)، فكانت تسره و تروح عنه عندما كان يجد قسوة و غلظة أو ما يكره من رد و تكذيب من قريبش فيحزن فإذا رجع إلى داره هونت عليه معاناته (صلى الله عليه و آله) (و بنت فيه النشاط كى لا يشعر بالتعب، و كان الرسول (صلى الله عليه و آله) يسكن إليها و يشاورها في المهم من أموره

[بحار الأنوار: 16 / 10-11].

الأمر الإلهي في خلق فاطمة :

قد هبَّ الله سبحانه و تعالى البيئة الصالحة لتكوين شخصية الصديقة الطاهرة فاطمة (عليها السلام)، فالأب الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) و الأم خديجة (عليها السلام) .

و الروايات تحدثنا عن مزيد من الاهتمام الرباني و العناية الإلهية في مسألة خلق الزهراء و وجودها، و أشار رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى هذه المسألة في مواطن عديدة .

فقد روي أن النبي (صلى الله عليه و آله) بينما كان جالساً بالأبطح إذ هبط عليه جبرئيل (عليه السلام) فناده: «يا محمد! العليّ الأعلى يقربك السلام، و هو يأمرك أن تعتزل خديجة أربعين صباحاً» فبعث إلى خديجة بعمار بن ياسر و أخبرها بالأمر الإلهي، و أقام النبي (صلى الله عليه و آله) أربعين يوماً يصوم نهاراً و يقوم ليلاً، فلما كان تمام الأربعين هبط جبرئيل (عليه السلام) فقال: « يا محمد! العليّ الأعلى يقربك السلام، و هو يأمرك أن تتاهب لتحيته و تحفته». فبينما النبي (صلى الله عليه و آله) كذلك إذ هبط ميكائيل و معه طبق مغطى بمنديل سندس، فوضعه بين يدي النبي (صلى الله عليه و آله) و أقبل جبرئيل (عليه السلام) و قال: «يا محمد! يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام». فأكل النبي (صلى الله عليه و آله) شبعاً و شرب من الماء رباً، ثم قام ليصلي فأقبل عليه جبرئيل و قال: «الصلاة محرمة

[قد يكون المراد هو الصلاة النافلة.] عليك في وقتك حتى تأتي منزل خديجة، فإن الله عزّ و جلّ- ألى على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذرية طيبة». فوثب رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى منزل خديجة رضى الله عنها .

قالت خديجة رضى الله عنها: و كنت قد ألفت الوحدة، فكان إذا جنني الليل غطيت رأسي، و أسجفت سترى و غلقت بابي، و صليت وردى، و أطعأت مصاحي، و أويت إلى فراشي، فلما كان تلك الليلة لم أكن بالنائمة و لا بالمنتبهة، إذ جاء النبي ففرع الباب فنادت: «من هذا الذي يقرع حلقة لا يقرعها إلا محمد (صلى الله عليه و آله)؟... قالت خديجة: فنادى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و آله) بعدوبة

كلامه و حلاوة منطقه: «افتحي يا خديجة، فإني محمد» و فتحت الباب و دخل النبي المنزل، فلا و الذي سمك السماء و أنبع الماء ما تباعد عني النبي (صلى الله عليه و آله) حتى أحسست بنقل فاطمة في بطني .
[بحار الأنوار: 16 / 79-80، و روى هذا المضمون. الذهبي في ميزان الاعتدال: 3 / 540، و الخطيب البغدادي في تاريخه: 5 / 87، و محب الدين الطبري في ذخائر العقبى: 54- 55].

أنس خديجة بفاطمة :

لما تزوجت خديجة بنت خويلد رسول الله (صلى الله عليه و آله) هجرها نسوة مكة و كن لا يكلمنها و لا يدخلن عليها، فلما حملت بالزهراء فاطمة (عليها السلام) كانت إذا خرج رسول الله (صلى الله عليه و آله) من منزلها تكلمها فاطمة الزهراء في بطنها من ظلمة الأحشاء و تحدثها و تواسيها، فدخل يوماً رسول الله (صلى الله عليه و آله) و سمع خديجة تحدث فاطمة فقال لها: «يا خديجة! من تكلمين؟ قالت: يا رسول الله إن الجنين الذي أنا حامل به إذا أنا خلوت به في منزلي كلمني و حدثني من ظلمه الأحشاء، فتبسم رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم قال: «يا خديجة! هذا أخي جبرئيل (عليه السلام) يخبرني أنها ابنتي، و أنها النسمة الطاهرة المطهرة، و أن الله تعالى أمرني أن أسميها «فاطمة» و سيجعل الله تعالى من ذريتها أئمة يهتدى بهم المؤمنون»

[عن الثاقب في المناقب (للطوسي): 187. راجع مسند فاطمة (عليه السلام) (للتويسركاني: 75)].
و روى أنه لما سأل الكفار رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه يريهم انشقاق القمر- و قد بان لخديجة حملها بفاطمة و ظهر- قالت خديجة: و اخبية من كذب محمداً و هو خير رسول و نبي فنادت فاطمة من بطنها: يا أمه! لا تحزني و لا ترهبي فان الله مع أبي .

[عن الروض الفائق: 314، و الجنة العاصمة: 190، راجع مسند فاطمة (عليها السلام)]: 77.)
إن خديجة التي وقفت مع رسول الله في أيام محتته الأولى و تعرضت لهجران النساء عوضها الله على صبرها و بذلها الغالي و النفيس من أجل نشر الدعوة الإسلامية عوضها بالبشرى بحملها بهذه البنت التي سيكون لها ولذريتها شأن عظيم .

فاطمة الوليدة :

انقضت أيام الحمل و اقترب موعد الولادة و لم تزل خديجة تأنس بجنينها و تعيش الأمل على الفرحة بالولادة، فلما حضرتها الولادة أرسلت إلى نساء قريش و نساء بني هاشم أن يجتن ويلين منها ما تلى النساء من النساء في مثل هذا الطرف ، فأرسلن إليها، عصيتنا و لم تقبلي قولنا، و تزوجت محمداً بريم أبي طالب، فقيراً لا مال له، فلسطينجي ء و لا نلي من أمرك شيئاً، فاعتمت خديجة لذلك، فيبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة طوال كأنهن من نساء بني هاشم، ففرغت منهن، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة، فإننا نرسل ربك اليك، و نحن أخواتك، أنا سارة و هذه أسية بنت مزاحم و هي رفيقتك في الجنة، و هذه مريم بنت عمران و هذه كلثم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله تعالى اليك لنلي من أمرك ما تلى النساء من النساء فجلست واحدة عن يمينها و الأخرى عن يسارها و الثالثة من بين يديها و الرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة (عليها السلام) طاهرة مطهرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرد منها نور حتى دخل بيوتات مكة، فتناولتها المرأة التي بين يديها فغسلتها بماء الكوثر و أخرجت خرفتين بيضاوين فلفتها بواحدة و فنعته بالثانية، ثم استنطقها فطقت فاطمة (عليها السلام) (بالشهادتين) ثم سلمت عليهن و سمت كل واحدة منهن باسمها، و أقبلن يضحكن إليها،

و قالت النسوة: خديجة يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة، بورك فيها و في نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة، و ألقمتها ثديها فدر عليها

[دلائل الإمامة: 8 و 9، زهدة المجالس: 2 / 227، بحار الأنوار: 16 / 80-81، أمالي الصدوق: 475].
و كانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته لمن يرضعه، فلما ولدت فاطمة (عليها السلام) (لم يرضعها أحد غير خديجة [عوامل العلوم: 11 / 46 عن البداية و النهاية: 5 / 307 (طبع مصر)].

تاريخ الولادة :

اختلف المؤرخون في تاريخ ولادتها (عليها السلام) إلا أن المشهور بين مؤرخي الإمامية أنه في يوم الجمعة في العشرين من شهر جمادى الآخرة في السنة الخامسة من البعثة، بينما قال غيرهم: إنها ولدت قبل البعثة بخمس سنين .
[تذكرة الخواص (لعبد الرحمن بن الجوزي): 306، محمد بن يوسف الحنفي في نظم درر السمطين: 175، الطبري في ذخائر العقبى: 62، مقاتل الطالبين (لأبي الفرج الإصفهاني): 30، و من مصادر الإمامية: ابن شهر آشوب: 3 / 357، الكليني في أصول الكافي: 1 / 458، بحار الأنوار: 43 / 6-9].

روى أبو بصير عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: «ولدت فاطمة في جمادى الآخرة يوم العشرين سنة خمس و أربعين من مولد النبي (صلى الله عليه و آله)، فأقامت بمكة ثمان سنين و بالمدينة عشر سنين، و بعد وفاة أبيها خمسة و سبعين يوماً، و قبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة»
[دلائل الإمامة: 10].

و من أسمائها: الصديقة هي الكثيرة التصديق، و قد كانت سلام الله عليها مصدقة لأبيها صادقة في أقوالها صدوقة في أفعالها و وفاتها، فهي الصديقة الكبرى، و على معرفتها دارت القرون كما ورد عن حفيدها الصادق (عليه السلام)

[بحار الأنوار: 43 / 105، و راجع المناقب: 3 / 233].
و المباركة باعتبار الخير الكثير الذي يأتي من قبيلها، و قد وصفها القرآن الكريم بالكوثر باعتبار أن النبي (صلى الله عليه و آله) قد انقطع نسله إلا منها، فهي أم الأئمة الأطهار و أم الذرية الطاهرة لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، و كثرة الذرية- التي دافعت عن رسالة محمد (صلى الله عليه و آله) و تحملت أعباء الوقوف أمام الظالمين و المنحرفين عنها- هي الخير الكثير أو أهم مصاديقه التي أعطهاها الله لرسوله كما نص عليه في سورة الكوثر .

و عن ابن عباس أن الرسول (صلى الله عليه و آله) قال: «ابنتي فاطمة حوراء آدمية، لم تحض و لم تطمت، و إنما سماها فاطمة لأن الله فطمها و محببها عن النار.»

[تاريخ بغداد: 12 / 331 الحديث 6772 و كنز العمال: 12 / 109].
و عنه (صلى الله عليه و آله): «أن فاطمة حوراء إنسية، كلما اشتقت إلى الجنة قبّلتها.»

[تاريخ الخطيب البغدادي: 5/ 87 و الغدير: 3/ 18].
و قالت أم أنس بن مالك: كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماماً إذا خرج من السحاب، بضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشد الناس برسول الله (صلى الله عليه و آله) شبها
[مستدرك الحاكم: 3/ 161].
و لقيت بالطاهرة لظهارتها من كل دنس و كل رقت، و أنها ما رأَتْ قط يوماً حمرةً و لا نفاساً
[بحار الأنوار: 43/ 19]. كما جاء عن الإمام الباقر (عليه السلام)، و قد شهد القرآن الكريم بطهارتها من الدنس في آية التطهير .
و كانت سلام الله عليها راضية بما قدر لها من مرارة الدنيا و مشاقها و مصائبها و ثوابها، مرضية عند ربها كما أخبر بذلك القرآن الكريم عنها في سورة الدهر، إذ ارتضى ربها سعيها و أمنها من الفزع الأكبر، و هي ممن (رضى الله عنهم و رضوا عنه)
[سورة المائدة (5): 119]. و خشى ربه دون شك كما نلاحظ ذلك في سيرتها .
و المحدثة هي التي تحدثها الملائكة، كما حدثت الملائكة مريم ابنة عمران و أم موسى و سارة امرأة إبراهيم إذ بشرتها باسحاق و من وراء اسحاق يعقوب .
و كتأها رسول الله (صلى الله عليه و آله) بأم أبيها تعظيماً لشأنها، إذ لم يكن أحد يوازيها في محبته لها و رفعة مكانتها لديه، و كان يعاملها معاملة الولد لأمه كما كانت تعامله معاملة الأم لولدها، إذ كانت تحتضنه و تضمد جرحه و تخفف من آلامه .
كما كُتبت بأم الأئمة، إذ أخبر الرسول (صلى الله عليه و آله) أن الأئمة أن ولدها و ان المهدي من نسلها
[بنايع المودة: 2/ 83، و منتخب الأثر: 192، و كنز العمال: 12/ 105].

مراحل حياة الزهراء

لقد عاشت الزهراء فاطمة (عليها السلام) في ظل رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أمها خديجة (عليها السلام) ثم انفردت بأبيها حتى هجرته (صلى الله عليه و آله) إلى يثرب إذ كان يرعاها و ترعاها بحنان الأمومة، ثم اقترنت بابن عمها علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأصبحت تستظل بظلال أبيها محمد (صلى الله عليه و آله) و في كنف دولة الإسلام الفتية، تسعى جاهدة لأداء مهامها الرسالية و العائلية جنباً إلى جنب، حتى غربت شمس النبوة العظمى بوفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله)، وحدثت الطامة الكبرى في إفلات زمام الزعامة السياسية للدولة الإسلامية الفتية من يد الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، فكانت العنصر الوحيد للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) المسؤول عن معالجة الموقف الحرج معالجة رسالية بعيدة عن التحيز القبلي أو العاطفي .
لقد عاشت الزهراء (عليها السلام) في كنف زوجها الإمام علي (عليه السلام) بعد أبيها (صلى الله عليه و آله) فترة قصيرة جداً و تجرعت من العنصر و المحن ما لم يعلم مدى مرارتها إلا الله سبحانه و تعالى بارتئ النفوس و علام الغيوب .
و من هنا إرتأينا أن نقسم دراستنا هذه لمراحل حياتها كما يلي :
المرحلة الأولى: مرحله الطفولة في ظل أبيها (صلى الله عليه و آله) و أمها (عليها السلام) .
المرحلة الثانية: حياتها بعد وفاة خديجة (عليها السلام) مع أبيها (صلى الله عليه و آله) حتى زواجها .
المرحلة الثالثة: حياتها منذ زواجها مع علي (عليه السلام) حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه و آله) .
المرحلة الرابعة: حياتها بعد وفاة أبيها حتى مرضها .
المرحلة الخامسة: حياتها في فترة مرضها حتى استشهادها (عليها السلام) .
و سوف نتابع دراسة المراحل الثلاث الأولى في الفصل الثالث من هذا الباب .
و نخصص الفصل الأول من الباب الثالث لدراسة المرحلة الرابعة من حياتها (عليها السلام) .
بينما نخصص الفصل الثاني منه لدراسة المرحلة الخامسة من حياتها سلام الله عليها .

الزهراء مع أبيها رسول الله فاطمة في مرحلة الطفولة

حين نتالغ الفترة التي ولدت فيها الزهراء (عليها السلام) نجد أنّ مجتمع الجزيرة -آنذاك- عاش أحداثاً خطيرة و صراعات و أوضاعاً متنازعة، فالدعوة الجديدة التي جاء به النبي الأكرم جعلت المجتمع على مفترق طرق .
و من الناحية الاقتصادية كان فقيراً بحكم طبيعته، إلا من حركة اقتصادية ضعيفة كانت تقتصر على التجارة المحدودة مع بلاد اليمن و الشام .
و من الناحية الاجتماعية فقد كانت تسوده الديانة الكافرة و التقاليد البالية و العنصرية القبلية، و تغطي عليه الحروب والغارات التي تشنها قبيلة على أخرى لأسباب قد لا تكون معقولة أبداً، و كانت ظاهرة و أد البنات من أقسى ظواهره المتخلفة .
في هذه الفترة بعث النبي (صلى الله عليه و آله) - و عمره أربعون عاماً- فانطلق لوحده ليوقف بوجه الكفر العالمي و عبادة الأصنام و الشرك، و يغالب المشاكل و المصاعب الخطيرة، فيبلغ بالدعوة سراً في أول الأمر حفاظاً عليها من الأعداء، حتى جاء أمر الله بإعلان الدعوة و اقتحام صفوف الباطل، فأعلن الرسول دعوته، و دعا الناس إلى الإسلام، و أخذ عدد المسلمين يزداد يوماً بعد يوم، و أحس أعداء الإسلام بالخطر من هذا التيار الجديد فوثبت كل قبيلة على من فيها من مستضعفي المسلمين، فجعلوا يحبسونهم و يعذبونهم بألوان العذاب من الضرب و التجويع و الترك على حر الرمال وكيهم بالنار في محاولة منهم لافتتان المسلمين وردعهم عن دينهم، فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه و آله) ما يصيب أصحابه من البلاء قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة حتى يجعل الله لكم فرجاً و مخرجاً مما أنتم فيه» فاستجاب المسلمون لأمر الرسول (صلى الله عليه و آله) و فرجوا و تركوا أرضهم و أموالهم، مخافة الفتنة و فراراً إلى الله بدينهم .
[السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول: 321 طبع دار المعرفة- بيروت، و الكامل في التاريخ: 2/ 76].

فاطمة في شعب

[الشعب: الوادي.

أبي طالب [: لما رأته فريش أن أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) قاوموهم وتحملوا أذاهم، وأن الإسلام أخذ يعلو شأنه وينتشر في القبائل، وعجزوا عن صده؛ انتمروا بينهم على قتل الرسول (صلى الله عليه وآله)، فلما أحس أبو طالب بذلك انجاز إلى شعبه، واجتمع إليه بنو هاشم و بنو عبدالمطلب ليحتموا الرسول (صلى الله عليه وآله) و كان حمزة عم النبي (صلى الله عليه وآله) يحرسه حتى الصباح، فحاصرتهم قريش حصاراً اقتصادياً شديداً، و كتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على أن لا يبيعوهم و لا يتناووا منهم شيئاً، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا، لا يصل إلى أحدهم شيء إلا سرّاً، و الجوع يشتد ببني هاشم و يتعالى صراخ الأطفال الجياع أحياناً .

في هذا الطرف العصيب و القاسى قضت الزهراء (عليها السلام) شطراً من أيام الرضاة في شعب أبي طالب، ثم قطعت من اللبن، و هناك درجت تمشي على رمضاء الشعب، و تعلمت النطق و هي تسمع أنين الجياع و صراخ الأطفال المحرومين، و بدأت تأكل في زمن الحرمان و الفاقة، و إذا ما استيقظت في هدأة الليل وجدت الحرس يدورون- بخذر و ترقب- حول أبيها يخافون عليه من غدر الأعداء في حلقة الليل، ثلاث سنين تقريباً و الزهراء (عليها السلام) في هذا السجن لا يربطها بالعالم الخارجي أي شيء حتى أدركت سن الخامسة .

وفاة السيدة خديجة و عام الحزن :

و تمر سنون الحصار صعبة ثقيلة، و يخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) و من معه من الحصار و المقاطعة، و قد كتب الله تعالى لهم النصر و الغلبة، و تخرج خديجة و قد أثقلتها السنون و أرهقتها عناء الحصار و الحرمان، و ها هي قد قضت بالجد و الصبر عمرها الجهادي المشرق و حياتها المثالية الفريدة في دنيا المرأة، لقد قرب أجل خديجة و شاء الله تعالى أن يختارها لجواره، فتوفي في ذلك العام الذي خرج فيه بنوهاشم من الحصار و كان العام العاشر من البعثة . و توفي في العام ذاته أبو طالب عم الرسول (صلى الله عليه وآله) و حامي الدعوة الإسلامية و ناصر الإسلام، و لقد شعر رسول الله بالحزن و الأسى، و أحس بالفراق و الوحشة، إنه فقد الحبيب و العون و المواسي، فقد خديجة زوجته و حبيبته و عونه، و فقد عمه الحامي و المدافع عنه، فسمى ذلك العام ب(عام الحزن .)

و ليس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحده هو الذي رزى في ذلك العام، بل و فاطمة الصبية الصغيرة التي لم تشبع من حنان الأمومة و عطف الوالدة بعد، فقد شاطرته المأساة و رزنت هي الأخرى، فشملتها المحنة في ذلك العام الحزين، و شعرت بغمامة الحزن و اليتم تخيم على حياتها الطاهرة .

و يحس الأب الرسول (صلى الله عليه وآله) بوطأة الحزن على نفسه فاطمة (عليها السلام) و يرى دموع الفراق تتساق على خديجها، فيرق القلب الرحيم، و تفيض مشاعر الود و الأبوة الصادقة، فيحنو رسول الله (صلى الله عليه وآله) على فاطمة، يعوضها من حبه و حنانها ما فقدته في أمها من حب و رعاية و حنان .

لقد أحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة و أحبتة و حنا عليها و حنت عليه، فلم يكن أحد أحب إلى قلبه و لا إنسان أقرب إلى نفسه من فاطمة، لقد أحبها و كان يؤكد- كلما وجد ذلك ضرورياً- هذه العلاقة بفاطمة، و يوضح مقامها و مكانتها في أمته، و هو يمهّد لأمر عظيم و قدر خطير يرتبط بفاطمة، و بالذرية الطاهرة التي أعقبتها فاطمة و بالأمّة الإسلامية كلها، كان يؤكد ذلك ليعرف المسلمون مقام فاطمة و مكانة الأئمة من ذريتها ليعطوا فاطمة حقها، و يحفظوا لها مكانتها، و يراعوا الذرية الطاهرة حق رعايتها، فها هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعرف فاطمة و يؤكد للمسلمين: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» .

[صحيح البخاري: 36/ 5، كنز العمال: 12/ 34222. المناف: 3/ 332، ذخائر العقبى [47 : و تكبر فاطمة (عليها السلام) و تشب و يشب و يشب معها حب أبيها لها، و يزداد حنانها عليها، و تبادلها هي هذا الحب و تملأ قلبه بالعطف و الرعاية فيسميها «أم أبيها» .

إنه النموذج القدوة من العلاقة الأبوية الطاهرة التي تساهم في بناء شخصية الأبناء و توجه سلوكهم و حياتهم، لقد كانت هذه العلاقة هي المثل الأعلى في رعاية الإسلام للفتاة و العناية بها و تحديد مكانتها .

فاطمة الممتحنة :

و شاء الله سبحانه و تعالى أن تشهد فاطمة فترة صراع الدعوة في مكة، و تشهد محنة أبيها (صلى الله عليه وآله)، فترى الأذى و الاضطهاد يقع عليه، و تشهد جو مكة المعادي لبیت النبوة، بيت الهدى و الإيمان و الفضيلة، و تشهد أباهما والصفوة المؤمنة من دعاة الإسلام و السابقين بالإيمان يخوضون ملحمة البطولة و الجهاد، فيؤثر هذا الجو الجهادي في نفسها، و يساهم في تكوين شخصيتها و إعدادها لحياة التحمل و المعاناة، لقد عايشت فاطمة كل ذلك و هي بعد لما نزل صبية صغيرة، لقد عايشت المحنة الأشد مع أبيها، بعد فقد أمها، المواسي و الأنيس و الحبيب الذي كان يخفف عنها متاعب الحياة و الآلام و الاضطهاد، و بعد فقدته عمه أباطالب حامي الدعوة و المدافع عن رسول الله الذي ما تجرأت قريش في حياته أن تؤذيه (صلى الله عليه وآله) أو تناك منه شيئاً، إلا كان لها بالمرصاد

[البداية و النهاية: 3/ 151، و سيرة ابن هشام: 1/ 416.]، هذه الحماية التي عبر عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد فقدته أباطالب بقوله: «ما زالت قريش كاعة كاعة: ضعيفة وحيانة.» عنى حتى مات أبو طالب »

[كشف الغمة: 1/ 16، و مستدرك الصحيحين: 2/ 622 بألفاظ أخرى .] لقد صبت قريش حقدها و أذاها على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تلك الفترة العصيبة من عمر الدعوة، و بكل ما تملك من وسائل الأذى و الاستهزاء و السخرية و محاولات الانتقاص من مكانة محمد (صلى الله عليه وآله) و شخصيته .

لقد تحمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أجل دعوته و في سبيل مبادئه و رسالته ما لم يتحملة أحد من الأنبياء، فقد بلغ الأمر بأحد سفهاء قريش أن يفتقره من تراب الأرض و يقذفها في وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) و على رأسه، فيتحمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذا الأذى و يعود إلى بيته صابراً محتسباً و قد لطح التراب وجهه و رأسه، و يعود إلى بيته و فاطمة (عليها السلام) تنظر إليه فترى ما لحق به من أذى قريش و تماديها في الصلف و الغرور، فيجز الألم في نفسها و

يعظم عليها تجرؤ السفهاء و المغرورين من طغاة الجاهلية و متكبريها على رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم تقوم لأبيها و تنفض التراب عنه و تأتي بالماء و تغسل رأسه و وجهه الكريم .
و لم يمر هذا المشهد المؤلم دون أن يؤثر في نفسها (عليها السلام) فيستبد بها الحزن و الألم على القائد رسول الله أبيها (صلى الله عليه و آله) فتبكي و تتألم لجرأة هؤلاء الجاهلين الطغاة على رجل يريد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور و يهديهم سبيل الهدى و الرشاد، و يؤثر موقف فاطمة في نفس أبيها (صلى الله عليه و آله) و يشعر بحرارة الألم تمس قلبها، فيحاول (صلى الله عليه و آله) أن يخفف عنها و يحثها على التجلد و التحمل، فيمد يديه الكريمتين و يضعهما على رأسها فيمسسه برقة و حنان و هو يقول لها: «لا تبكى يا بنية فإن الله مانع أبالك، و ناصره على أعداء دينه و رسالته .»
[البداية و النهاية: 3/ 151، سيرة ابن هشام: 1/ 416].
بهذه الكلمات الجهادية المربية يحاول رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يزرع في نفس فاطمة (عليها السلام) روحاً جهادية عالية، و يملأ نفسها و قلبها بالصبر و الثقة بالنصر .
و لم تنته هذه المشاهد المثيرة المؤلمة و لم يقف أذى قريش و استخفافها برسول الله (صلى الله عليه و آله) و دعوة الحق و الهدى و التحرير إلى هذا الحد، بل راحت تنمادى في غيها و تصر على عنيتها و كبريائها، فقد روي عن عبدالله ابن مسعود أنه قال: ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) دعا على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلى و رهط من قريش جلوس، و سلى [السلي: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه ولد الماشية من بطن أمه ملفوفاً فيه.] جزور قريب منه: فقالوا: من يأخذ هذا السلي فيلقيه على ظهره، فقام رجل- و هو عتبة بن أبي معيط- و ألقاه على ظهره فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة (عليها السلام) فأخذته عن ظهره فقال (صلى الله عليه و آله): «اللهم عليك الملامن قريش، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط اللهم عليك بأبي بن خلف و أمية بن خلف .»
قال عبدالله بن مسعود: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ثم سحبوا إلى القلب
[القلب: البئر.] غير أبي بن خلف أو أمية فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع
[آخاثر العقبي، للطبري: 57، و مثله في البداية و النهاية لابن كثير: 3/ 357].

الزهراء مع أبيها حتى بيت الزوجية هجرتها إلى المدينة :

هاجر رسول الله (صلى الله عليه و آله) في السنة الثالثة عشرة للبعثة من مكة إلى يثرب «المدينة» حفاظاً على نفسه و إيقاظاً على دعوته، و أوصى على بن أبي طالب (عليه السلام) أن يبيت على فراشه ليلة الهجرة ليوهم المشركين و يشغلهم، و أوصاه (صلى الله عليه و آله) بعودة وصايا، منها: أنه إذا وصل مأمته يرسل اليه من يدعو بالتوجه اليه مع عائلته من الفواطم و غيرها، و يرد جميع الأمانات التي كانت مودعة عنده إلى أهلها و يسدد الديون التي كانت عليه .
و لما وصل (صلى الله عليه و آله) منطقة «قبا»- و هي على أميال من يثرب- و استقر فيها؛ بعث مع أبي واقد الليثي كتاباً إلى علي (عليه السلام) يأمره بالقدوم عليه مع الفواطم ورد الأمانات إلى أهلها، فقال أميرالمؤمنين (عليه السلام) من ساعته و اشترى الرواحل اللازمة و أعد متطلبات السفر و الهجرة من مكة، و أمر من كان معه من ضعفاء المؤمنين أن يتسللوا و يتخفوا إذا ملأ الليل بطن كل واحد إلى ذي طوى .
فلما أدت الأمانات قام علي الكعبية فنادى بصوت رفيع: يا أيها الناس! هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصية؟ هل من عدة له قبل رسول الله؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبي صلى الله عليه و آله ()
[المناقب (لابن شهر آشوب): 2/ 58 فصل المسابقة إلى الهجرة].
خرج علي (عليه السلام) بالفواطم في وضح النهار- وهن: فاطمة الزهراء عليها السلام)
و فاطمة بنت أسد الهاشمية أمه و فاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب و فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب- و تبعتهن حاضنة النبي (صلى الله عليه و آله) و خادمته بركة أم أيمن، و ابنها أيمن مولى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و عاد مع الركب مبعوته (صلى الله عليه و آله) و آباؤاقد، إنهن ضعفاء: قال: إنني أخاف أن يدركنا الطلب، فقال علي (عليه السلام): «أربع عليك، فإن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال لي: يا علي لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه»، ثم جعل علي (عليه السلام) يسوق بهن سوفاً رقيقاً و هو يرتجز و يقول :
و ليس إلا الله فارفع صنكا
يكفيك رب الناس ما أهمكا
و سار، فلما شارف «ضحنان» أدركه الطلب سبعة فوارس من شجعان قريش مثلثمين و ثامنهم مولى الحارث بن أمية يدعى جناحاً، و كان شجاعاً مقداماً، فأقبل الإمام علي (عليه السلام) على أيمن و أبي واقد و قد تراءى القوم فقال لهما: «أنبأ الأبل و أعقلاها»، و تقدم حتى أنزل النسوة، ودنا القوم فاستقبلهم علي (عليه السلام) منتصباً سفيه، فأقبلوا عليه و قالوا: ظننت أنك ناج بالنسوة، إرجع لا أبا لك قال: «فإن لم أفعل؟» قالوا: لترجعن راغماً، أو لترجعن بأكثرك شعراً- أي رأسك- و دنا الفوارس من النسوة و المطايا ليثوروها، فحال علي (عليه السلام) بينهم و بينها، فاهوى له جناح بسيفه فراغ علي (عليه السلام) عن ضربته، و تختله علي (عليه السلام) فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مس كائبة فرصه، فشد عليهم بسيفه فتصدع القوم عنه، و قالوا له: إغني عنا نفسك يا بن أبي طالب قال: «فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله (صلى الله عليه و آله) فمن سره أن أفري لحمه و أهريق دمه فليتبعتني» فرجعوا مخذولين منكسرين .
ثم أقبل علي صاحبيه أيمن و أبي واقد فقال لهما: «أطلقا مطاياكما»، ثم سار بالركب طافراً قاهراً حتى نزل «ضحنان»، فتلوم بها- أي لبث فيها -
قدر يومه ويلته و لحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، و كانوا يصلون ليلتهم و يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فصلى الإمام علي (عليه السلام) بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه حتى قدموا «قبا» القريبة من المدينة، والتحقوا برسول الله (صلى الله عليه و آله) حيث كان ينتظرهم بها
[المناقب: 1/ 184].
و نزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه و آله) بما كان في شأنهم قبل وصولهم، بآيات من القرآن المجيد هي: «الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم (...)
[آل عمران (3): 191- 195].
و مكث النبي (صلى الله عليه و آله) خمسة عشر يوماً ب«قبا» في انتظار قدوم الوفد، و في تلك الفترة أسس مسجد «قبا»، و نزلت فيه آيات بينات قال تعالى: (للمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) كما أن النبي (صلى الله عليه و آله) حث على الصلاة فيه و إحيائه و ذكر الأجر الكبير لمن صلى فيه .

و بعد استراحة الركب سار (صلى الله عليه و آله) بمن معه من أصحابه و أهله متوجهاً إلى يثرب و استقبلته الجماهير المسلمة بالأشعار والأهازيج و شعارات الترحيب، و استقبله سادات يثرب و زعماء الأوس و الخزرج مرحبين بقدمه بأدلين كل ما وسعهم من امكانات مالية و عسكرية، و كان عندما يمر على حى من أحيائهم يتقدم الأشراف ليأخذوا بخطام الناقة رجاء أن ينزل في حيهيم حيث الضيافة و المنعة، فكان (صلى الله عليه و آله) يدعو لهم بالخير و يقول: «دعوا الناقة تسير فإنها مأمورة.»

ثم برکت في رحبة في الأرض بجوار دار أبي أيوب الأنصاري، فنزل (صلى الله عليه و آله) و نزلت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مع الفواطم و دخلن على ام خالد [خالده: هو اسم أبي أيوب الأنصاري.] و بقيت السيدة فاطمة (عليها السلام) مع أبيها (صلى الله عليه و آله) زهاء سبعة أشهر حتى تم بناء المسجد و دار رسول الله (صلى الله عليه و آله) و بيته المتواضع المؤلف من عدة حجرات بعضها بالأحجار، و البعض الآخر من جريد النخل، أما ارتفاع الحجرات فقد وصفه الإمام الحسن (عليه السلام) سبط رسول الله (صلى الله عليه و آله) فيما جاء عنه أنه قال: «كنت أدخل بيوت النبي (صلى الله عليه و آله) و أنا غلام مرهق فأنا السقف بيدي.»

أما الأثاث الذي هياه النبي لبيته الجديد فهو في منتهى البساطة و الخشونة و التواضع، و أعد لنفسه فيه سريراً مؤلفاً من أخشاب مشدودة بالليف، و استقرت الزهراء في دار هجرتها و في بيت أبيها، ذلك البيت البسيط المتواضع في دار الإسلام، لتتعم بعنايته و حبه و رعايته، تلك العناية و الرعاية و الحب الذي لم يحظ بمنتهى المرأة و لا أحد من الناس سواها

إلى هذا البيت المتواضع جاءت فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه و آله) مهاجرة من مكة لتتربى أبها بين أنصاره في يثرب يفدونه بالأنفس و معه المهاجرون، و قد اطمأن بهم المقام مع إخوانهم ممن أسلم من الأوس و الخزرج، و انصرفوا مع النبي (صلى الله عليه و آله) إلى الدعوة للإسلام و التخطيط لغد أفضل، و قد أختى النبي بينهم و بين مسلمي المدينة ليذهب عنهم وحشة الاغتراب و ينشد بعضهم إلى بعض بتلك الأخوة التي تجمعهم على صعيد واحد، و هو الإيمان بآله واحد لا شريك له، و ترك علياً نفسه فأخذ بيده و معه حشد من المهاجرين و الأنصار، و قال: «هذا أخي و وصيي و وارثي من بعدي»

[قادتنا، للميلاني: 389/3 نقلاً عن حياة الحيوان: 1/118، و راجع البداية و النهاية: 3/277.] و لم يمض وقت طويل على تلك المؤاخاة التي فازيها على (عليه السلام) حتى أصبح صهراً للنبي و زوجاً لأحب بناته إليه و أعزهن على قلبه و روحه .

و بعد ما استقر رسول الله (صلى الله عليه و آله) في المدينة تزوج «سودة» و هي أول من تزوجها بعد السيدة خديجة (رض) ثم تزوج «أم سلمة بنت أبي أمية» و فوض أمر ابنته الزهراء إليها .

قالت أم سلمة: تزوجني رسول الله (صلى الله عليه و آله) و فوض أمر ابنته فاطمة (عليها السلام) إلى، فكانت أودبها و أدلها، و كانت و الله أذب مني و أعرف بالأشياء كلها [دلائل الإمامة: 12].

محاولات خطبتها :

فاقت فاطمة الزهراء (عليها السلام) نساء عصرها في الحسب و النسب فهي بنت محمد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و خديجة

[سيرة الأئمة الاثني عشر: 1/80-81]. رضى الله عنها و سليلة الفضل و العلم و السجايا الخيرة، و غاية الجمال الخلقى و الخلقى، و نهاية الكمال المعنوي و الإنساني، علا شأوها و تألق نجمها .

و كانت (عليها السلام) تمتاز منذ صغر سننها بالنصح الفكري و الرشيد العقلي، و قد وهب الله لها عقلاً كاملاً و ذهنياً و قادراً و ذكاً حاداً و حسناً و جمالاً في إشراقه محياها النورانية، فما أكثر مواهبها و ما أعظم فضائلها و هي تكبر يوماً بعد يوم تحت ظلال النبي (صلى الله عليه و آله) حتى أدركت سلام الله عليها مدرك النساء !!

و ما إن دخلت السنة الثانية من هجرة النبي (صلى الله عليه و آله) و بدأت طلائع الاستقرار تلوح للمسلمين حتي خطبها أكار قريش من أهل الفضل و السابقة في الإسلام و الشرف و المال من النبي (صلى الله عليه و آله)، فكان (صلى الله عليه و آله) يردهم رداً جميلاً

و يقول لكل من جاءه: «إني أنتظر فيها أمر الله» و كان (صلى الله عليه و آله) يعرض عنهم بوجهه الكريم حتى كان الرجل يظن في نفسه أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) ساخط عليه

[كشف الغمة: 1/353]. و كان رسول الله قد حبسها على على، و يرغب أن يخطبها منه .

[كشف الغمة: 1/354]. و عن بريدة قال: خطب أبو بكر فاطمة (عليها السلام)، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «إنها صغيرة، و إنني أنتظر بها القضاء» فلقبه عمر فأخبره، فقال: ردك، ثم خطبها عمر فرده .

[تذكرة الخواص: 306].

على يتقدم لخطبه الزهراء :

كان الإمام على (عليه السلام) يفكر في خطبة الزهراء، ولكنه بقى (عليه السلام) (بين الحالة التي يعيشها هو و المجتمع الإسلامي من فقر و فاقة و ضيق في المعيشة، يصرفه عن التفكير في الزواج و يشغله عن نفسه و هو اجسها في بناء الأسرة، و بين واقعه الشخصي و قد تجاوز الواحد و العشرين من العمر

[ذخائر العقبي: 36]. و أن له أن يتزوج من فاطمة التي لا كفو لها سواها و لا كفو له سواها، و هي نسيح لا يتكرر .

ذات يوم و ما أن أكمل الإمام (عليه السلام) عمله حتي حل عن ناصحه و أقبل يقوده إلى منزله فشدده فيه، و توجه نحو منزل رسول الله (صلى الله عليه و آله) و كان في بيت السيدة ام سلمة، و بينما كان الإمام في الطريق هبط ملك من السماء بأمر

الهي هو أن يزوج النور من النور، أي فاطمة من على

[راجع معاني الأخيار: 103، و الخصال: 640، و أمالي الصدوق: 474، و بحار الأنوار: 43/111].

فدق على (عليه السلام) الباب، فقالت أم سلمة: من بالباب؟ فقال لها رسول الله (صلى الله عليه و آله): «قومي يا أم سلمة

فافتحي له الباب

و مزيه بالدخول، فهذا رجل يحبه الله و رسوله و يحبهما» فقالت أم سلمة: فذاك أبي و أمي، من هذا الذي تذكر فيه هذا و أنت لم تره؟ فقال: «مه يا أم سلمة، فهذا رجل ليس بالخرق و لا بالنزق، هذا أخي و ابن عمي و أحب الخلق إلي» قالت أم سلمة: فقمت بمادرة أكاد أكثر بمطري، ففتحت الباب فإذا أنا بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) (فدخل على رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال: «السلام عليك يا رسول الله و رحمة الله و بركاته» فقال له النبي (صلى الله عليه و آله): «و عليك السلام يا أبا الحسن، اجلس» فجلس على (عليه السلام) بين يدي رسول الله (صلى الله عليه و آله) و جعل ينظر إلى الأرض كأنه قصد لحاجة و هو يستحى أن يبينها، فهو مطرق إلى الأرض حياةً من رسول الله (صلى الله عليه و آله) فكان النبي (صلى الله عليه و آله) علم ما

في نفس علي (عليه السلام) فقال له: «يا أبا الحسن، أتى أرى أنك أتيت لحاجة، فقل حاجتك وايد ما في نفسك، فكل حاجة لك عندى مقضية» قال على (عليه السلام): «فداك أبي و أمي إنك أخذتني عن عمك أبي طالب و من فاطمة بنت أسد و أنا صبي، فغذيتني بغيرك، و أدبتني بأدبك، فكنيت الى أفضل من أبي طالب و من فاطمة بنت أسد في البر و الشفقة، و إن الله تعالى هداني بك و على يدك، و إنك و الله ذكري و ذخيرتي في الدنيا و الآخرة يا رسول الله فقد أحببت مع ما شد الله من عضدي بك أن يكون لى بيت و أن تكون لى زوجة أسكن إليها، و قد أتيتك خاطباً راعياً، أخطب اليك ابنتك فاطمة، فهل أنت مزوجى يا رسول الله؟» فتهلل وجه رسول الله (صلى الله عليه و آله) فرحاً و سروراً، و أتى فاطمة فقال: «إن علياً قد ذكرك و هو من قد عرفت» فسكنت (عليها السلام)، فقال (صلى الله عليه و آله): «الله أكبر، سكوتها رضاها» فخرج فزوجها [راجع بحار الأنوار: 93 / 43، و ذخائر العقبى: 39].

قالت أم سلمة: فرأيت وجه رسول الله (صلى الله عليه و آله) يتهلل فرحاً و سروراً، ثم تسميم في وجه علي (عليه السلام) فقال: «يا على فهل معك شىء، أزوجك به؟» فقال على (عليه السلام): «فداك أبي و أمي، و الله ما يخفى عليك من أمرى شىء، أملك سيفى و درعى و ناضجى، و ما أملك شيئاً غير هذا» فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «يا على أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد في سبيل الله، و تقاتل به أعداء الله، و ناضحك تصح به على نخلك و أهلك، و تحمل عليه رحلك في سفرك، ولكنى قد زوجتك بالدرع و رضيت بها منك.»

«يا أبا الحسن، أبشرك؟! قال على (عليه السلام) قلت: «نعم فداك أبي و أمى بشرنى، فإنك لم تزل ميمون النقيبة، مبارك الطائر، رشيد الأمر، صلى الله عليك.»

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «أبشرك يا على فإن الله عز و جل -قد زوجكها في السماء من قبل أن أزوجكها في الأرض، و لقد هبط على في موضعى من قبل أن تأتيني ملك من السماء فقال: يا محمد! إن الله عز و جل -اطلع إلى الأرض اطلاعه فاختارك من خلقه فبعثك برسالته، ثم ثم اطلع الى الأرض ثانية فاختار لك منها أحاً و وزيراً و صاحباً و ختناً فزوجه ابنتك فاطمة (عليها السلام)، و قد احتفلت بذلك ملائكة السماء، يا محمد! إن الله عز و جل - أمرني أن تزوج علياً في الأرض فاطمة، و تشيرهما بسلامين زكيين نجيبين طاهرين خيرين فاضلين في الدنيا و الآخرة، يا على! فو الله ما عرج الملك من عندى حتى دقت الباب»

[بحار الأنوار: 127 / 43].

أمر زواجها من السماء :

قال ابن أبي الحديد: و إن إنكاحه علياً إياها ما كان إلا بعد أن أنكحه الله تعالى إياها في السماء بشهادة الملائكة

[شرح نهج البلاغة: 193 / 9، و بنص آخر في ذخائر العقبى: 40 - 41].

و عن جابر بن عبد الله قال: لما زوج رسول الله (صلى الله عليه و آله) فاطمة من علي (عليه السلام) كان الله مزوجه من فوق عرشه.

[بحار الأنوار: 142 / 43].

و عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (إنما أنا بشر مثلكم، أتزوج فيكم و أزواجكم إلا فاطمة، فإن تزويجها نزل من السماء»

[بحار الأنوار: 145 / 43].

خطبة العقد :

قال أنس: بينما أنا قاعد عند النبي (صلى الله عليه و آله) إذ غشيه الوحي، فلما سرى عنه قال: «يا أنس! تدرى ما جاءني به جبرئيل من صاحب العرش؟» قلت: الله و رسوله أعلم، بأبي و أمى ما جاء به جبرئيل؟ قال (صلى الله عليه و آله): «إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة علياً، انطلق فادع لى المهاجرين و الأنصار» قال: فدعوتهم، فلما أخذوا مقلعهم قال النبي (صلى الله عليه و آله) «الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرغوب اليه فيما عنده، المرهوب عذابه، الناقد أمره في أرضه و سمائه، الذي خلق الخلق بقدرته، و ميزهم بأحكامه، و أعزهم بدينه، و أكرمهم بنبيه محمد، ثم إن الله تعالى جعل المصاهرة نسباً و صهرًا، فأمر الله يجرى إلي قضائه، و قضاؤه يجرى إلى قدره، فكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب» يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده ام الكتاب، ثم إن الله أمرني أن أزوج فاطمة بعلبي، فاشهدكم أنى قد زوجته على أربعمئة مثقال من فضة إن رضى بذلك على.»

و كان على غائباً قد بعته رسول الله (صلى الله عليه و آله) في حاجته، ثم إن رسول

الله (صلى الله عليه و آله) أمر بطبق فيه بسر فوضع بين أيدينا، ثم قال (صلى الله عليه و آله): «انتبهوا»، فبينما نحن ننتهب إذ أقبل على (عليه السلام)، فتبسم اليه رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم قال: «يا على! إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة، فقد زوجتكها على أربعمئة مثقال فضة إن رضيت» فقال على (عليه السلام): (قد رضيت يا رسول الله» ثم إن علياً مال فخر ساجداً شكرياً لله تعالى و قال: «الحمد لله الذي حبيني إلى خير البريه محمد رسول الله»، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «بارك الله عليكما، و بارك فيكما و أسعدكما، و أخرج منكما الكثير الطيب.»

قال أنس: فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيب.

[كفاية الطالب: الباب 78 ص 298، و المناقب: 3 / 351 فصل تزويجها (عليها السلام)، و كشف الغمة: 1 / 348-349، و ذخائر العقبى: 41].

مهرها و جهازها :

و جاء على بالمهر بعد أن باع درعه لعثمان، و كان أربعمئة درهم سود هجريه، فقبض الرسول (صلى الله عليه و آله) الدرهم و أعطاها لبعض اصحابه و نسائه ليشتروا متاعاً للبيت الجديد، فكان الجهاز :

1- «قميصاً بسبعة دراهم. 2- خماراً بأربعة دراهم. 3- قطيفة سوداء خيريه. 4- سريراً مزمللاً بشريط. 5- فراشين من خيش مصر حشو أحدهما ليف، و حشو الآخر من جز الغنم (صوف). 6- أربعة مرافق من أدم الطائف حشوها إذخر. 7- ستراً من صوف. 8- حصيراً هجرى. 9- رداء اليد. 10- سقاءً من أدم. 11- مخصياً من نحاس. 12- قعباً للبن. 13- شئاً للماء. 14- مطهرة مزقنة. 15- جرّة خضراء. 16- كيزان خزف. 17- نطعاً من أدم. 18- عباءً قطناني. 19- قربة ماء.»

قالوا: و حملناه جميعاً حتى وضعناه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما نظر إليه بكى و جرت دموعه، ثم رفع رأسه إلى السماء و قال: «اللهم بارك لقوم جل أنيتهم الخرف.» [المنقب ابن شهر آشوب: 353/ 3، و كشف الغمة: 1/ 359. الشريط: ورق مفتول يشترط به السرير. الخيش: نسيج خشن من الكتان. و الأذخر، حشيش طيب الريح. و المخضب: و ماء لغسل الثياب أو خضبا. و القعب: القدح العظيم الغليظ. و الشن: القربة الصغيرة و الرقت: نوع من القير تطلّى به الأتية كى لا يترشح منها الماء.]
 جهر على (عليه السلام) داره، و فرش (عليه السلام) بيته بالرمل اللين و نصب خشبة من حائط إلى الحائط لتعليق الثياب عليها و بسط على الأرض إهاب كبش و مخدة ليف .
 و عن أبي يزيد المدني قال: لما أهديت فاطمة إلى على (عليه السلام) لم تجد عنده إلا رملاً ميسوطاً و وسادة و جرة و كوزاً [فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: 477 نقلًا عن المناقب لأمجد بن حنبل.]

مقدمات الزفاف و وليمة العرس :

قال على (عليه السلام): «و مكثت بعد ذلك شهراً لا أعاود رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمر فاطمة بشيء، استحياءً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) غير أنني كنت إذا خلوت برسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لى: «يا على ما أحسن زوجتك و أجملها! أبشر يا على فقد زوجتك سيدة نساء العالمين» فقال على (عليه السلام): «فلما كان بعد شهر دخل على أخى عقيب فقال: يا أخى ما فرحت بشيء كفرحى بتزوجك فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله)، يا أخى فما بالك لا تسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدخلها عليك؟ فتفر عيناً باجتماع شملكما.»
 قال على (عليه السلام): «و الله يا أخى إنى لأحب ذلك و ما يمنعني من مسألته إلا الحياء منه» فقال: أقسمت عليك إلا قلت معنى، فقمنا نريد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلفيتنا في طريقنا بركة «أم أيمن»- مولاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)- فذكرنا ذلك لها، فقالت: لا تفعل ودعنا نحن نكلمه، فإن كلام النساء في هذا الأمر أحسن و أوقع بقلوب الرجال .
 ثم انثنت راجعة فدخلت إلى أم سلمة فأعلمتها بذلك و أعلمت نساء النبي فاجتمعن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأحدقن به وقلن- والكلام لا يزال لأم سلمة (أم المؤمنين)- فديناك بأبائنا و أمهاتنا يا رسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة في الأحياء لغرت بذلك عينها، قالت أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال (صلى الله عليه وآله) و «خديجة و ابن مثل خديجة؟ صدقتى حين كذبتى الناس و ارتزنتى على دين الله و أعانتنى عليه بما لها.»
 قالت أم سلمة: فقلنا: فديناك بأبائنا و أمهاتنا، يا رسول الله إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا و قد كانت كذلك، غير أنها قد مضت إلى ربها، فهأنذا الله بذلك، و جمع بيننا و بينها في درجات جنته و رضوانه و رحمته، يا رسول الله هذا أخوك في الدين و ابن عمك في النسب على بن أبي طالب، يحب أن تدخل عليه زوجته فاطمة و تجمع بها شمله، فقال: «يا أم سلمة، فما بال على لا يسألنى ذلك؟»

فقلت: يمنع الحياء منك يا رسول الله، قالت أم أيمن: فقال لى رسول الله (صلى الله عليه وآله): «انطلقى إلى على فأتينى به»، فخرجت من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإذا على ينتظرنى ليسألنى عن جواب رسول الله (صلى الله عليه وآله) و آله، فلما رأتى قال: «ما وراءك يا أم أيمن؟»
 قلت: أحب رسول الله، قال على (عليه السلام): «فدخلت و فم أزواجه فدخلن البيت و جلست بين يديه مطرقاً نحو الأرض حياءً منه»، فقال (صلى الله عليه وآله): «أتحب أن تدخل عليك زوجتك؟» فقلت و أنا مطرق: «نعم، فدك أبي و أمي.»
 فقال: «نعم و كرامة، يا على، أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليله غد إن شاء الله»، فالتفت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى النساء و قال: «من هاهنا؟» فقالت أم سلمة: أنا أم سلمة و هذه زينب و هذه فلانة و فلانة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) و آله): «هينوا لابنتى و ابن عمى في حجرى بيتا» فقالت أم سلمة: في أي حجره يا رسول الله؟ فقال (صلى الله عليه وآله) و آله): «في حجرتك»، و أمر نساءه أن يزين فاطمة و يصلحن من شأنها .
 قالت أم سلمة: فسالت فاطمة: هل عندك طيب ادخرته لنفسك؟
 قالت (عليها السلام): «نعم» فأنت بقارورة فسكب منها في راحتي فشومت منها رائحة ما شممت مثله قط، فقلت: ما هذا؟ قالت (عليها السلام): «كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقول لى (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة هات الوسادة فاطرحها لعمك، فاطرح له الوسادة فيجلس عليها، فإذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيامرني بجمعه (فسأل على (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ذلك فقال (صلى الله عليه وآله): هو عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل.»

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا على، لا بد للعرس من وليمة.»
 فقال سعد: عندي كبش، و جمع رهط من الأنصار أصواعاً من ذرة، و أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الدراهم التي سلّمها إلى أم سلمة عشرة دراهم فدفعها إلى و قال: «اشتر سمناً و تمرأ و إقطاً»، فاشترت و أقبلت به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) و آله)، تحسر عن ذراعيه و دعا بسفرة من آدم، و جعل يشدخ [الشدخ: كسر الشيء الرطب أو الأجوف. الأقط: الجبن المتخذ من اللبن الحامض، راجع كشف الغمة: 1/ 361.] التمر و السمن و يخلطهما بالأقط حتى اتخذه حيساً
 [الحيس: تمر يدق و يعجن بالسمن عجناً شديداً حتى يندر النوى منه.] ثم قال: «يا على أدع من أحببت.»
 فخرجت إلى المسجد و هو مشحن بالصحابة، فاستحييت أن أشخص قوماً و أدع قوماً، ثم صدت على ربوه هناك و ناديت: أجيوا إلى وليمة فاطمة، فأقبل الناس أرسالاً
 [أرسال: جمع (رسل) و هو القطيع من كل شيء، الجماعة.] فأستحييت من كثرة الناس و قلة الطعام، فعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) و آله) ما تداخلنى، فقال (صلى الله عليه وآله) و آله): «يا على إنى سادعو الله بالبركة، فجعل السفره بمنديل، و قال: أدخل على عشرة بعد عشرة ففعلت، و جعلوا يأكلون و يخرجون لا ينقص الطعام» و كان النبي (صلى الله عليه وآله) يصب الطعام بيده، و العباس و حمزة و على و عقيب يستقبلون الناس، قال على: «فاكل القوم عن آخرهم طعامى و شربوا شرابي، و دعوا لى بالبركة و صدروا و هم أكثر من أربعة آلاف رجل.»
 ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالصحاف فملئت و وجه بها إلى منازل أزواجه، ثم أخذ صحيفة و جعل فيها طعاماً، و قال: «هذه لفاطمة و بعلها»
 [بحار الأنوار: 43/ 106، 114، 132، 137.]

مراسم ليلة الزفاف :

فلما انصرفت الشمس للغروب قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا أم سلمة هلمي فاطمة»، فانطلقت فأنت بها تسحب أذيالها وقد تصببت عرقاً حياً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ففعلت، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أفأنتك الله العثرة في الدنيا والآخرة»، فلما وقفت بين يديه كشف الرداء عن وجهها حتى رآها على (عليه السلام).
 وأم النبي (صلى الله عليه وآله) بنات عبدالمطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن و يرحزن و يكبرن و يحمدن، و لا يقلن ما لا يرضي الله، قال جابر: فأركبها على ناقته أو على بغلته الشهباء، وأخذ سلمان زمامها، حولها سبعون ألف حوراء، والنبي (صلى الله عليه وآله) و حمزة وعقيل و جعفر و بنوهاشم يمضون خلفها مشهريين سيوفهم، و نساء النبي (صلى الله عليه وآله) و آله قدامها يرحزن .
 وكانت النسوة يرجعن أول بيت من كل رجز ثم يكبرن، و دخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى علي و دعاه، ثم دعا فاطمة فأخذ بيدها و وضعها في يد علي، و قال: «بارك الله في ابنة رسول الله، يا علي نعم الزوج فاطمة، و يا فاطمة نعم البعل علي .»
 ثم قال: «يا علي هذه فاطمة وديعة الله و وديعة رسوله عندك، فاحفظ الله و احفظني في وديعتي »
 [شجرة طوبى: 254].

ثم دعا و قال: «اللهم اجمع شملهما، و ألف بين قلوبهما، و اجعلهما و ذريتهما من ورثة جنة النعيم، و ارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، و اجعل في ذريتهما البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك و يأمرون بما رضىت» ثم قال: «إنطلقا إلى منزلكما و لا تحدثا أمراً حتى أتیکما .»

قال علي (عليه السلام): «فأخذت بيد فاطمة و انطلقت بها حتى جلست في جانب الصفة و جلست في جانبها و هي مطرقة إلى الأرض حياءً منى و أنا مطرف إلى الأرض حياءً منها .»
 فما كان إلا أن دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) و بيده مصباح، فوضعه في ناحية المنزل، و قال لى: «يا علي خذ في ذلك القعب ماءً من تلك الشكوة، ففعلت ثم أتته به فتقل فيه تغلات، ثم ناولني القعب و قال: اشرب منه، فشربت ثم رددته إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) و آله فناوله فاطمة و قال: اشربى حبيبتى فشربت منه ثلاث جرعات ثم ردت إليه، فأخذ ما بقى من الماء فنضحه على صدري و صدرها و قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً، ثم رفع يديه و قال: يا رب إنك لم تبعث نبياً إلا و قد جعلت له عتره، اللهم فاجعل عترتى الهادية من علي و فاطمة، ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب و قال: طهركما الله و طهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكم و حرب لمن حاربكم، أستودعكما الله و أستخلفه عليكما» و أغلق الباب و أمر النساء فخرجن .
 فلما أراد الخروج رأى امرأه فقال: من أنت؟ قالت: أسماء، فقال: «ألم أمرك أن تخرجي؟» قالت أسماء: بلى يا رسول الله- فذاك أبي و أمي- و ما قصدت خلافك، ولكني أعطيت خديجة عهداً، حينما حضرت خديجة الوفاة بكت، فقلت: أتكنين و أنت سيدة نساء العالمين؟ و أنت زوجة النبي (صلى الله عليه وآله) و مبشرة على لسانه بالجنة؟
 فقالت: ما لهذا بكيت، ولكن المرأة ليلة زفافها لا يدلها من امرأة تفضى إليها بسرها، و تستعين بها على حوائجها، و فاطمة حديثه عهد بصبا، و أخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها حينئذ .
 فقلت: يا سيدتي لك علي عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر، فبكى رسول الله و قال: «بالله لهذا وفقت؟». فقلت: نعم و الله، فدعالي

[أورد في الروايات أن أسماء بنت عميس حضرت زفاف فاطمة، و أسماء كانت مهاجرة بأرض الحبشة مع زوجها جعفر ابن أبي طالب (عليه السلام) و لم تعد هي و لا زوجها إلا يوم فتح خيبر، و لم تشهد زفاف فاطمة و التي حضرت الوفاة لعلها (سلمى بنت عميس) اختها زوجة حمزة بن عبدالمطلب، و كانت أسماء أشهر من اختها فرووا عنها أو أن راوياً واحداً سها و تبعه الآخرون. (كشف الغمة: 1/ 368)].

زيارة النبي للزهراء في صبيحة عرسها :

دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على فاطمة (عليها السلام) في صبيحة عرسها بقده في لبن فقال: «اشربى فداك أبوك»، ثم قال لعلي (عليه السلام): «اشرب فداك ابن عمك »
 [كشف الغمة: 1/ 368].

ثم سأل علياً: «كيف وجدت أهلك؟ قال (عليه السلام): نعم العون على طاعة الله .» و سأل فاطمة فقالت: «خير بعل »
 [بحار الأنوار: 43 / 117].

قال علي (عليه السلام): «و مكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك ثلاثاً لا يدخل علينا، فلما كان في صبيحة اليوم الرابع جاءنا (صلى الله عليه وآله) و آله ليدخل علينا...» فلما دخل عليهما أمر علياً بالخروج، و خلا بابنته فاطمة (عليها السلام) و قال: «كيف أنت يا بنية؟ و كيف رأيت زوجك؟» .

قالت: «يا أبة خير زوج، إلا أنه دخل على نساء من قريش و قلن لى زوجك رسول الله من فقير لا مال له»، فقال (صلى الله عليه وآله) و آله لها: «يا بنية ما أبوك و لا بعلك بفقير، و لقد عرضت على خزائن الأرض، فاخترت ما عند ربى، و الله يا بنية ما أوتك نصحاً أن زوجتك أقدمهم سلماً و أكثرهم علماً و أعظمهم حلاً .»

«يا بنية إن الله- عز و جل- اطلع إلى الأرض فاختر من أهلها رجلين فجعل أحدهما أبك و الآخر بعلك، يا بنية نعم الزوج زوجك، لا تعصى له أمراً .»

ثم صاح رسول الله (صلى الله عليه وآله) و آله يعلى: «يا علي»، فقال: «ليبك يا رسول الله»، قال: أدخل بيتك و الطف بزوجتك وارفق بها، فإن فاطمة بضعة منى، يؤلمنى ما يؤلمها و يسرنى ما يسرها، أستودعكما الله و أستخلفه عليكم »
 [بحار الأنوار: 43 / 132].

و في رواية: لما زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ابنته فاطمة (عليها السلام) قال لها: «زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة، و إنه أول أصحابي إسلاماً و أكثرهما علماً و أعظمهم حلاً .»

[بحار الأنوار: 43 / 133، و كنز العمال: 11 / ح 32926 مثله، و مسند الإمام أحمد: 5 / 26 / مثله، مختصر تاريخ دمشق: 17 / 337].

تاريخ الزواج :

الروايات التي وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) تنص كلها على وقوع الزواج بعد عودة المسلمين من معركة بدر منتصرين .

فمن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «تزوج على فاطمة (عليها السلام) في شهر رمضان و بنى بها في ذي الحجة من العام نفسه بعد معركة بدر»
[كشف الغمة: 1/ 364، بحار الأنوار: 43/ 134].
و روي أيضاً أن أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل بفاطمة (عليها السلام) بعد رجوعه من معركة بدر لأيام خلت من شوال السنة الثانية من الهجرة النبوية المباركة
[أمالي الطوسي: 43 مجلس 2 حديث 47].
و روى في أول يوم من ذي الحجة (السنة الثانية من الهجرة) زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة علياً (عليه السلام) [مصباح المتجهد للطوسي: 613 ط. حجرية].

مميزات زواج الزهراء بعلي

لقد إمتاز زواج السيِّدة فاطمة سلام الله عليها بما يلي :
1- إته زواج من السماء و بأمر من الله تعالى قبل أن يكون نسبياً أرضياً، و مجرد ارتباط عاطفي، و يكفينا في ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب إذ قال: نزل جبرئيل فقال: «يا محمد إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة ابنتك من علي»
[ذخائر العقبى: 41، و راجع شرح نهج البلاغة: 9/ 193].
2- إن الله تعالى قد جعل الذرية النبوية الطاهرة محصورة بهذا الزواج المبارك، و من طريق هذين الزوجين، و في ذلك يقول عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «كل نسب و سبب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي و نسبي، و كل بني أنثى فعصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإنى أبوهم و أنا عصبتهم»
[كنز العمال: ج 3/ 37586، و قريب منه ما في شرح نهج البلاغة: 12/ 106].
3- إن الزهراء (عليها السلام) وحيدة محمد (صلى الله عليه وآله) التي لم يكن لها أخت في النسب الأبوي، أمّا زينب و رقية و أمّ كلثوم-و إن اشتهرن بكونهن بنات محمد (صلى الله عليه وآله)- فهن بنات هالة أخت خديجة، و قد كن في بيت خديجة حينما اقترنت بالنبي (صلى الله عليه وآله)، و لم يؤيد التحقيق التاريخي بنوتهن لمحمد (صلى الله عليه وآله) (الإمام علي بن أبي طالب سيرة و تاريخ: ص 27، الشيخ محمد حسن آل ياسين، و راجع الاستغاثه لأبي القاسم الكوفي المتوفى 352: الصفحة 82-80 طبعة دار الكتب العلمية - قم).

فاطمة من الزواج إلى وفاة الرسول

الزهراء في بيت الزوجية :

لما تزوج علي من فاطمة (عليها السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي: «أطلب منزلاً»، فطلب علي منزلاً فأصابه مستأخراً عن النبي (صلى الله عليه وآله) قليلاً فبني بها فيه .
فجاء النبي (صلى الله عليه وآله) إلى ابنته فقال: «إنى أريد أن أحولك إلى»، فقالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله): «فكلم حارثه بن النعمان أن يتحول عنى» فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «قد تحول حارثه عنا حتى قد استحييت منه»، فبلغ ذلك حارثة فجاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) و قال: يا رسول الله إنه بلغنى أنك تحول فاطمة إليك و هذه منازلني و هي أسغب بيوت بني النجار بك، و إنما أنا و مالي لله و لرسوله، و الله يا رسول الله المال الذي تأخذ منى أحب إلي من الذي تدع، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «صدقت، بارك الله عليك» فحولها رسول الله إلى بيت حارثه .
[الطبقات لابن سعد: 8/ 22، طبعة دار الفكر].
انتقلت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى البيت الزوجي و كان انتقالها من بيت الرسالة و النبوة إلى دار الإمامة و الولاية، فهي تعيش في جو تكتنفه القداسة و النزاهة، و تحيط به عظمة الزهد و بساطة العيش، و كانت تعين زوجها على أمر دينه و آخرته .
كان علي (عليه السلام) يحترم السيِّدة فاطمة الزهراء احتراماً لائقاً بها، لا لأنّها زوجته فقط، بل لأنّها أحب الخلق إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) و لأنّها سيدة نساء العالمين، و لأن نورها من نور رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و لأنّها مجموعة الفضائل و القيم .
و لم يعلم بالضبط مدة إقامة الإمام علي و السيِّدة فاطمة (عليها السلام) في دار حارثه بن النعمان إلّا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه و آله) بنى لها بيتاً ملاصقاً لمسجده، له باب شارح إلى المسجد كبقية الحجرات التي بناها لزوجاته، و انتقلت السيدة فاطمة إلى ذلك البيت الجديد الملاصق لبيت الله و المجاور لبيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) .
و لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليتبرك هذا الغرس النبوي دون أن يرعاه و يحتضنه بتوجيهه و عنايته، فعاش الزوجان في ظل رسول (صلى الله عليه وآله) و في كنفه و منح (صلى الله عليه وآله) فاطمة بعد زواجها ما لم يمنحه لأحد من الحب و النصيحة و التوصية، فقد علمها أبوها (صلى الله عليه وآله) معنى الحياة، و أوحى لها بأن الإنسانية هي جوهر الحياة، و أن السعادة الزوجية القائمة على الخلق و القيم الإسلامية هي أسمى من المال و القصور و الخزارف و قطع الأثاث و تحف الفن المزخرفة .
و تعيش فاطمة الزهراء في كنف زوجها قريرة العين سعيدة النفس، لا تفارقها البساطة و لا يبرح بيتها خشونة الحياة، فهي الزوجة المثالية، زوجة علي (عليه السلام) بطل المسلمين، و وزير الرسول (صلى الله عليه وآله) و مشاورة الأول، و حامل لواء النصر و الجهاد، و عليها أن تكون بمستوى المسؤولية الخطيرة، و أن تكون لعلي كما كانت أمها خديجة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) تشاركه في جهاده و تصبر على قساوة الحياة و رسالة الدعوة الصعبة .
لقد كانت حقاً بمستوى مهمتها التي اختارها الله تعالى لها، فكانت القدوة الصالحة للمسلم الرسالي و المرأة النموذجية المسلمة .

إدارة شؤون البيت و الحياة الشاقة :

البيت الوحيد الذي كان يضم بين جدرانته زوجين معصومين مطهرين منزهين عن ارتكاب الذنوب و اكتساب المآثم، يتصفان بالفضائل الأخلاقية و الكمال الإنساني هو بيت علي و فاطمة (عليهما السلام).

فعلى (عليه السلام) نموذج الرجل الكامل في الإسلام، و فاطمة نموذج المرأة الكاملة في الإسلام، ترعرعا في ظل النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) و غذاهما بالعلم و سائر الفضائل، و استأنست أذانهما الواعية منذ الصغر بالقرآن الكريم و هما يسمعان النبي (صلى الله عليه و آله) يرتله ليلاً و نهاراً و في كل آن، و أطلا على الغيب و ارتشفا العلوم و المعارف الإسلامية من معيها الأصيل و منبعها العذب، و رأيا الإسلام يتحرك في شخص رسول الله (صلى الله عليه و آله) فكيف إذن لا تكون أسرتهما النموذج الأمثل للأسرة المسلمة؟ .

كان بيت علي و فاطمة (عليهما السلام) أروع نموذج في الصفاء و الإخلاص و المؤدة و الرحمة، تعاونوا فيه بوتام و حنان على إدارة شؤون البيت و إنجاز أعماله، و قضى رسول الله (صلى الله عليه و آله) بخدمة فاطمة دون الباب و قضى علي (عليه السلام) بما خلفه .

قالت فاطمة (عليها السلام): «فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله، بكفايتي رسول الله (صلى الله عليه و آله) تحمل رقاب الرجال»

[بحار الأنوار: 43 / 81].

إن الزهراء خريجة مدرسة الوحي، و هي تعلم أن معقل المرأة من المواقع المهمة في الإسلام، و إذا ما تخلت عنه و سرحت في الميادين

الأخرى عجزت عن القيام بوظائف تربيته الأبناء كما ينبغي، و من هنا تهلل وجهها بالبشر و داخلها السرور بما قضى به الرسول (صلى الله عليه و آله).

لقد كانت بنت النبي الأكرم تبذل قصارى جهدها لإسعاد أسرتها، و لم تستقل أداء مهام البيت رغم كل الصعوبات و المشاق، حتى أن علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) رق لحالها و امتدح صنعها، و قال لرجل من بني سعد: «ألا احذرك عني و عن فاطمة؟ إنها كانت عندي و كانت من أحب أهله (صلى الله عليه و آله) إلي، و إنها استنقت بالقربية حتى أثر في صدرها، و طحنت بالرحى حتى مجلت يداها، و كسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، و أوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفك ضر ما أنت فيه من هذا العمل، فأتى النبي (صلى الله عليه و آله) فوجدت عنده حدثاً

أبى: جماعه يتخذون معه.] فاستنحت فانصرفت.»

قال علي (عليه السلام): «فعلم النبي (صلى الله عليه و آله) أنها جاءت لحاجه، قال (عليه السلام): فغدا علينا رسول الله (صلى الله عليه و آله) و نحن في لفاعنا، فقال (صلى الله عليه و آله): السلام عليكم، فقلت: و عليك السلام يا رسول الله داخل، فلم يعد أن يجلس عندي، فقال (صلى الله عليه و آله): يا فاطمة، ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟ قال (عليه السلام): فخشيت إن لم تجبه أن يقوم، فأخبره علي بحاجتها، فقلت: أنا و الله أخبرك يا رسول الله إنها استنقت بالقربية حتى أثرت في صدرها و جرت بالرحى حتى مجلت يداها و كسحت البيت حتى اغبرت ثيابها و أوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفك ضر ما أنت فيه من هذا العمل، فقال (صلى الله عليه و آله): أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منا مكما فسيحاً ثلاثاً و ثلاثين و احمدنا ثلاثاً و ثلاثين و كبرا أربعاً و ثلاثين.»

و في رواية: أنها لما ذكرت حالها و سألت جارية بكى رسول الله (صلى الله عليه و آله) (

فقال: «يا فاطمة و الذي بعثني بالحق، إن في المسجد أربعمائه رجل ما لهم طعام و ثياب و لولا خشيتي لأعطيتك ما سألت، يا فاطمة و إنى لا أريد أن ينفك عنك أجرك إلى الجارية، و إنى أخاف أن يخصمك علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم القيامة بين يدي الله عز و جل - إذا طلب حقه منك، ثم علمها صلاة التسيح.»

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مضيت تريد من رسول الله (صلى الله عليه و آله) الدنيا فأعطانا الله نواب الآخرة» [بحار الأنوار: 43 / 85].

و في ذات يوم دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) علي (عليه السلام) فوجده هو و فاطمة (عليها السلام) يطحنان في الجاروش، فقال النبي (صلى الله عليه و آله): «أيكما أعين؟» فقال علي (عليه السلام): «فاطمة يا رسول الله» فقال (صلى الله عليه و آله): «قومي يا بنه»، فقامت و جلس النبي (صلى الله عليه و آله) مع علي (عليه السلام) فواساه في طحن الحب .

[المصدر السابق: 43 / 50].

و روى عن جابر الأنصاري أنه رأى النبي (صلى الله عليه و آله) فاطمة و عليها كساء من أجلة الإبل و هي تطحن بيديها و ترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقال: «يا بنتاه، تعجلي مرارة الدنيا بخلاوة الآخرة» فقالت: «يا رسول الله، الحمد لله على نعماته، و الشكر لله على آلائه»، فأنزل الله «و لسوف يعطيك ربك فترضى .»

[المصدر السابق: 3 / 86].

و عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتطب و يستقى و يكنس، و كانت فاطمة (عليها السلام) تطحن و تعجن و تخبز»

[المصدر السابق: 151].

و عن أنس: أن بلالاً أبطأ عن صلاة الصبح، فقال له النبي (صلى الله عليه و آله): «ما

حسبك؟» قال: مررت بفاطمة تطحن و الصبي يبكي، فقلت لها: إن شئت كفيتك الرحي و كفيتني الصبي، و إن شئت كفيتك الصبي و كفيتني الرحي فقالت: «إنا أرفق بابني منك.»

فذاك الذي حبسني، قال (صلى الله عليه و آله): «فرحمتها، رحمك الله»

[ذخائر العقبى: 61].

و عن أسماء بنت عميس عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله): «أنا الرسول (صلى الله عليه و آله) أتى يوماً فقال: أين ابناي؟» يعني حسينا و حسيناً، قالت: «أصبحنا و ليس عندنا في بيتنا شيء يذوقه ذائق». فقال علي (عليه السلام): (أذهب بهما إلى فلان؟)، فتوجه إليهما رسول الله (صلى الله عليه و آله) فوجدتهما يلعبان في مشربة بين أيديهما فضل من تمر فقال (صلى الله عليه و آله): «يا علي، ألا تقلب إبنى قيل أن يشبتد الحر عليهما؟» فقال علي (عليه السلام): «أصبحنا و ليس في بيتنا شيء، فلو جلست يا رسول الله حتى أجمع لفاطمة تمرات»، فلما اجتمع له شيء من التمر جعله في حجره ثم عاد إلى البيت [المصدر السابق: 59].

و عن عمران بن حصين قال: كنت مع النبي (صلى الله عليه و آله) جالساً إذ أقبلت فاطمة فوفقت بين يديه فنظر إليها و قد غلبت الصفرة على وجهها، و ذهب الدم من شدة الجوع، فقال: «أدنى يا فاطمة» فدنت ثم قال: «أدنى يا فاطمة» فدنت حتى وفقت بين يديه، فوضع يده على صدرها في موضع القلادة و فرج بين أصابعه و قال: «اللهم مشبع الجاعة و رافع الوضعة لا تجع فاطمة بنت محمد»

[أنظم درر السمطين: 191].

هذه هي الدنيا في عين فاطمة بنت الرسول مواجهة للمعاناة و تألم من الجوع و انهيار من العب، ولكن كل ذلك يبدو ممزوجاً بخلاوة الصبر و ندى

الايثار، لأن وراءه نعيماً لا انتهاء له، حصه يوم يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب .

إن إلقاء نظرة فاحصة على حياة الزهراء (عليها السلام) توضح لنا أن حياتها الشاقفة لم تتغير حتى بعد أن أصبحت موفورة المال، في سعة من العيش - خصوصاً بعد فتح بنى النضير و خيبر و تملكها فدكاً و غيرها - عما كانت عليه قبل ذلك رغم غلتها الوافرة، إذ روى أن فدكاً كان دخلها أربعة و عشرين ألف دينار، و في رواية سبعين ألف دينار سنوياً

[سفيينة البحار: 45 / 7].

فالزهراء لم تعمر الدور و لم تبني القصور و لم تلبس الحرير و الديباغ و لم تَقَنَّ النفائس، بل كانت تنفق كل ذلك على الفقراء و المساكين و في سبيل الدعوة إلى الله و نشر الإسلام... و هكذا كان حال زوجها على (عليه السلام) الذي أوقف على الحجاج مائة عين استنبتها في ينبع [المناقب: 2 / 123، و بحار الأنوار: 41 / 32]. و قد بلغت صدقات أمواله في السنة أربعين ألف دينار [كشف المحجة: ص 133، و أنساب الأشراف: 2 / 117، و مجمع الزوائد: 9 / 123، و بحار الأنوار: 41 / 43، و أسد الغابة: 4 / 23]. و كانت صدقاته هذه كافية لبني هاشم جميعاً إن لم نقل إنها تكفي أمة كبيرة من الناس من غيرهم، إذا لا حظنا أن ثلاثين درهماً كانت كافية لشراء جارية للخدمة، و كان الدرهم يكفي لشراء حاجات كثيرة حينذاك .

طيب معاشرتها للإمام على :

عاشت الزهراء (عليها السلام) في بيت أعظم شخصيته إسلامية بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) على الإطلاق، رجل مهمته حمل راية الإسلام و الدفاع عنه . و كانت الظروف السياسية حساسة و في غاية الخطورة يوم كانت جيوش الإسلام في حالة إنذار دائم، إذ كانت تشتبك في حروب ضروس في كل عام، و قد اشترك الإمام على (عليه السلام) في أكثرها . و كانت الزهراء توفر الجو اللازم و الدفء و الحنان المطلوب في البيت المشترك، و بهذا كانت تشترك في جهاد على أيضاً فإن جهاد المرأة حسن التبعل كما ورد في الحديث الشريف [وسائل الشريعة: 20 / 221 طبعة مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) .] . لقد كانت الزهراء (عليها السلام) تشجع زوجها، و تمتدح شجاعته و تضحيته، و تشد على يده للمعارك المقبلة، و تسكن جراحه و تمتص آلامه، و تسزى عنه أتباعه، حتى قال الإمام على (عليه السلام): «و لقد كنت أنظر إليها فتجلى عنى الغوم و الأحزان بنظرتي إليها » [المناقب للخوارزمي: 353، طبعة مؤسسة النشر الاسلامي .] و لقد كانت حريصة كل الحرص في القيام بهمام الزوجية، و ما خرجت فاطمة (عليها السلام) من بيتها يوماً بدون إذن زوجها، و ما أسخطته يوماً و ما كذبت في بيته و ما خانته و ما عصت له أمراً، و قابلها الإمام على (عليه السلام) بنفس الاحترام والود و هو يعلم مقامها و منزلتها الرفيعة، حتى قال: «فوالله ما أغضبتها و لا كربتها من بعد ذلك حتى قبضها الله إليه، و لا أغضبتني و لا عصت لي أمراً » [المصادر السابق .] و ذكر الإمام (عليه السلام) ذلك في لحظات عمر الزهراء (عليها السلام) الأخيرة حين أرادت أن توصيه: «يا ابن عم! ما عهدتني كاذبة و لا خائنة، و لا خالفتك منذ عاشرتني»؟ فقال (عليه السلام): «معاذ الله، أنت أعلم بالله و أير و أتقى و أكرم و أشد خوفاً منه، والله جددت على مصيبة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و قد عظمت وفاتك و فقدك، فإننا لله و إنا إليه راجعون .» [أروضة الواعظين: 1 / 151] . و عن أبي سعيد الخدري قال: أصبح على بن أبي طالب (عليه السلام) ذات يوم ساعياً فقال: «يا فاطمة هل عندك شيء ء تغذي به؟» قالت: «لا، والذي أكرم أبي بالنبوه و أكرمك بالوصيه ما أصبح الغداة عندى شيء ء و ما كان شيء ء أطعمناه مذ يومين إلا شيء ء كنت أوترك به على نفسي و على ابني هذين (الحسن و الحسين) فقال على (عليه السلام): «يا فاطمة ألا كنت أعلمتني فأبغىكم شيئاً؟» فقالت: «يا أباالحسن إنى لأستحي من إلهي أن أكلف نفسي ما لا تقدر عليه » [بحار الأنوار: 43 / 59] . هكذا عاش هذان الزوجان النموذجيان في الإسلام، و أديا واجباتهما، و ضربا المثل الأعلى للأخلاق الإسلامية السامية، كيف لا؟ و قد قال النبي (صلى الله عليه و آله) (في ليلة الزفاف لعلى (عليه السلام): «يا على، نعم الزوجة زوجتك» و قال لفاطمة (عليها السلام): «يا فاطمة نعم البعل بعلك » [المصدر السابق: 43 / 117، 132] . و قال (صلى الله عليه و آله): «لو لا على لم يكن لفاطمة كفؤ » [كشف الغمة: 1 / 472] .

فاطمة في دور الأم :

إن الامومة من الوظائف الحساسة و المهام الثقيلة التي أقيمت على عاتق الزهراء (عليها السلام) حيث أنجبت خمسة أطفال هم: الحسن و الحسين و زينب و أم كلثوم في حين اسقط جنينها المحسن قبل ولادته [لأن المحسن ولد ميتاً من ضربة المهاجمين على دار الزهراء بعد امتناع علي (عليه السلام) من البيعة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه و آله). و قد عد ابن عساکر في تاريخه في ترجمة الإمام الحسن- أولاد السيدة الزهراء- و أورد المحسن قائلاً: مات في حياة أبيه، فراجع .] و قد قدر الله سبحانه و تعالى أن يكون نسل رسول الله (صلى الله عليه و آله) و ذريته من فاطمة (عليها السلام)، كما أخبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) بقوله: «إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه و جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب » [تاريخ بغداد: 1 / 316، كنز العمال: 11 / 32892] . إن الزهراء (عليها السلام)- و هي ربيبة الوحي و النبوة- تعرف جيداً مناهج التربية الإسلامية و التي تجلت في تربيتهامثل الحسن (عليه السلام) الذي أعدته ليتحمل مسؤوليه قيادة المسلمين و يتجرع الغصص في أخرج اللحظات من تأريخ الرسالة، و يصلح معاوية على مفض حفاظاً على سلامة الدين الإسلامي و الفتنه المؤمنه، و يعلن للعالم أن الإسلام و هو دين السلام لا يسمح لأعدائه باستغلال مشاكله الداخليه لضربه و اضعافه، فيسقط ما في يد معاوية و يفشل خطه و مؤامراته لإحياء الجاهلية، و يكشف تضليله لعامة الناس و لو بعد برهه، و يقضى على اللعبة التي أراد معاوية أن يمررها على المسلمين . و الزهراء (عليها السلام) قد ربت مثل الحسن (عليه السلام) الذي اختار التضحية بنفسه و جميع أهله و أعز أصحابه في سبيل الله و من أجل مقارعة الظلم و الظالمين، ليروي بدمه شجرة الإسلام الباسقة . و ربت الزهراء (عليها السلام) مثل زينب و أم كلثوم، و علمتهن دروس التضحية و الفداء و الصمود أمام الظالمين، حتى لا يزعن و لا يخضعن للظالم وقوته، و يقفن الحق، أمام جبروت بنى اميه بكل جرأة و صراحة، لتتضح خطورة المؤامرة على الدين و على أمة سيد المرسلين .

الزهراء مع النبي في تثبيت دعائم الدولة :

الزهراء قبل فتح مكة :

منذ أن دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدينة المنورة كان دائماً على هدم أركان الجاهلية واستئصال جذورها و ضرب مواقعها، فكانت حياته في المدينة المنورة كما كانت في مكة حياة جهاد و بناء، جهاد المشركين و المنافقين و اليهود و الصليبيين، و بناء الدولة الإسلامية العظيمة، و نشر الدعوة و تبليغها في كل بقعة يمكن لصوت التوحيد أن يصل طليها، فراح رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحارب بالكلمة و العقيدة تارة، و بالسيف و القوة تارة أخرى، و بالأسلوب الذي يمليه الموقف و تفرضه الحكمة . و هكذا جاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) و قاتل في مرحلة حرجة صعبة، لم يكن يملك فيها من المال و الجيوش و الاستعدادات العسكرية ما يعادل أو يقارب جيوش الأحزاب و قوى البغي و الضلال التي تصدت لدعوة الحق و الهدى، بل كانت كل قواه قائمة في إيمانه و انتصاره بربه و بالفتنة المخلصة من أصحابه .

والذي يقرأ تاريخ الدعوة و جهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) و صبره و احتماله، يعرف عظمة هذا الإنسان المبدئي، و يدرك قوة عزمته و مدى صبره و رعاية الله و نصره له و لأولئك المجاهدين الذين حملوا راية الجهاد بين يديه ، فيكتشف مصدر النصر و القوة الواقعيين .

و لقد مرت هذه الفترة الجهادية الصعبة بكامل ظروفها و أبعادها بفاطمة (عليها السلام) و هي تعيش في كنف زوجها و أبيها، تعيش بروحها و مشاعرها،

و يجاهدان في بيتها، و في مواساتها و مشاركتها لأبيها، في شدته و محنته، فقد شهدت جهاد أبيها و صبرها و احتماله، شاهدته و هو يجرح في (أحد) و تكسر رباعيته، و يخذله المنافقون، و يستشهد عم أبيها حمزة أسد الله و نخبه من المؤمنين معه . روى أنه لما انتهت فاطمة (عليها السلام) ووصية إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد معركة أحد- و نظر تا إليه قال (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): «أما عمتي فاحبسها عنى و أما فاطمة فدعها» فلما دنت فاطمة (عليها السلام) (من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورأته قد شج وجهه و أدمى فوه، صاحت وجعلت تمسح الدم و تقول: اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و كان (صلى الله عليه وآله) يتناول في يده ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء فلا يتراجع منه شيء

[بحار الأنوار: 96 / 20، و روى أحمد بن حنبل في مسنده: 5 / 334 ما في معناه]. و كانت فاطمة (عليها السلام) تحاول تضييد جرح رسول الله (صلى الله عليه وآله) و قطع الدم الذي كان ينزف من جسده الشريف، فكان زوجها يصب الماء على جرح رسول الله (صلى الله عليه وآله) و هي تغسله، و لما يئست من انقطاع الدم أخذت قطعة حصير و أحرقتها حتى صار رماداً فذرت على الجرح حتى انقطع دمه . [فضائل الخمسة: 3 / 161].

و يحدثنا التاريخ عن مشاركة فاطمة (عليها السلام) بروحها و مشاعرها لأبيها في كفاحه و صبره و جهاده في أكثر من موقع . فقد روى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قدم من غزاة له، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم بدأ- كعادته- بيت فاطمة قبل بيوت نسائه، جاءها ليزورها و يسر بلغاتها، فرأت على وجهه آثار التعب و الإجهاد، فتألمت لما رأت و بكت فسالها (صلى الله عليه وآله): «ما بيكيك يا فاطمة؟» فقالت: «أراك قد شج لونك» فقال (صلى الله عليه وآله) لها: «يا فاطمة إن الله- عز و جل- بعث أبأك بأمر لم يبق على ظهر الأرض بيت مدر و لا شعر إلا دخله نبه عزاً أو ذلاً يبلغ حينئذ يبلغ الليل»

[فضائل الخمسة (الفيروز آبادي): 3 / 161، و حيله الأولياء لأبي نعيم: 2 / 30، و كنز العمال 1 / ح 1448]. و ليست هذه العاطفة و تلك العناية و المشاركة مع الأب القائد و الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من ابنته فاطمة (عليها السلام) هي كل ما تقدمه لأبيها من إثارها له و اهتمامها به و مشاركتها له في شدته و عسيرته، إنها جاءت يومالخنديق و رسول الله (صلى الله عليه وآله) منهمك مع أصحابه في حفر الخندق لتحصين المدينة و حماية الإسلام، جاءت و هي تحمل كسرة خبز رفعتها إليه فقال (صلى الله عليه وآله): «ما هذه يا فاطمة؟» قالت: «من قرص اختبرته لابنى، جئتك منه بهذه الكسرة» فقال (صلى الله عليه وآله): «يا بنية أما إنها لأول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث»

[ذخائر العقبى: 47، و فضائل الخمسة: 3 / 161]. هذه صورة مشرقة لجهاد المرأة المسلمة تصنعها فاطمة في ضلال رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهي تشارك بكل ما لديها لتشد أزر الإسلام و تكافح جنباً إلى جنب مع أبيها و زوجها و أبنائها في ساحة واحدة و خندق واحد، لتدون في صحائف التاريخ درساً عملياً تتلقاه الأجيال من هذه الأمة المسلمة، فتتعلم حياة الإيمان التي تصنعها عقيدة التوحيد بعيدة عن اللهو و العبث و الضياع .

الزهراء في فتح مكة :

لقد أحسست سيدة النساء بالعبطة و السعادة و قد رأت القسم الأكبر من الجزيره يخضع لسلطان الإسلام و يدين برسالة أبيها، وها هي قريش مع عنوها و كبرياتها ترسل أحد زعمائها إلى يثرب عاصمه الإسلام لتفاوض النبي (صلى الله عليه وآله) على تمديد أمد الهدنة التي تم الاتفاق عليها في الحديبية، حينما ذهب النبي معتمراً في العالم السادس للهجرة .

لقد أرسلت قريش زعيمها أباسفيان بعد أن أخلت بالشروط التي تم الاتفاق عليها ليعرض على النبي طلب قريش فلم يجد تجاوباً من النبي، فاستجار بجماعه من المسلمين فلم يجره أحد حتى ابنته رملة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله)، فدخل على علي و الزهراء (عليها السلام) يطلب منهما الشفاعة له عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأبى كل من علي و الزهراء و الحسين (عليهم السلام) أن يجروه، و لما يئس من أن يجيره مسلم من المسلمين رجع أيساً خائفاً منكسراً يتعثر بالفشل و الخذلان . و أيقنت الزهراء من موقف أبيها من أبي سفيان أنه سيفتتح مكة، و دنت الأيام فخرج الرسول في عشرة آلاف من المسلمين و لواؤه مع ابن عمه و وصيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) و خرجت معه الزهراء فيمن خرج معه من النساء، لقد طلقت الزهراء إلى جانب أبيها مزهوة بنصر الله و قد رأت الأصنام تحت أقدام أبيها، و رأت قريشاً تلود به و تقول: أخ كريم و ابن أخ كريم، و أبوها يقول لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء .

لقد كانت الأيام التي قضتها الزهراء مع أبيها في مكة حافلة بالذكريات، حيث تذكرت فيها أيام أبيها يوم كان المشركون يطاردونه و أصحابه و يحاصرونه في الشعب، كما و تذكرت أيام أمها خديجة و عم أبيها أبي طالب .
لقد رأيت في تلك الرحلة المظفرة هوازن و ثقيفاً و أحلافهما من العرب الذين ظلوا حتى ذلك التاريخ على موقفهم المتصلب من الإسلام، رأيتهم ينهاون و تندك حصونهم و معارلهم و تقع أموالهم و صبيانهم و نساؤهم في معركة حين غنيمة للمسلمين .
و عادت مع أبيها و زوجها إلى مدينة الأنصار تاركة مكة مرتع الصبا و موطن الأهل و الأحباب، و امتدت حياتها عامين بعد هذه الرحلة و كانا من أسعد أيام حياتها حيث الإسلام قد انتشر في جميع أنحاء الجزيرة، و أصبح الأول من بين الأديان [أراجع سيره الأئمة الاثنى عشر: 1/ 100- 105].

حجة الوداع و الأيام الأخيرة :

و مرت تلك الأيام بعبثائها و حلوها و مرها حتى جاءت السنة العاشرة من الهجرة دعا النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) عامة المسلمين لأداء مناسك الحج، و حج بهم حجة الوداع، و علمهم أحكام الحج و مناسكه، و عند العودة توقف الركب عند غدِير خم، و سعد النبي (صلى الله عليه و آله) على منبر من أحراج الإبل و نادى بصوت عالٍ بعد تمهيدات عديدة: «من كنت مولا فعلي مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه» فنصب علياً (عليه السلام) لخلافته من بعده، ثم أمر المسلمين فبايعوا علياً و سلموا عليه بإمرة المؤمنين، ثم تفرقوا في بلدانهم، و عاد النبي (صلى الله عليه و آله) إلى المدينة .
و بدخول السنة الحادية عشرة من الهجرة، و في الأيام الأخيرة من شهر صفر اشتكى النبي من مرض ألم به، و كان قد عزم على غزو الروم و أعد لقيادة جيشه اسامة بن زيد و هو في مطلع شبابه، و أمر جميع المهاجرين و الأنصار أن ينضموا إليه، و جعل يستحثهم على الخروج، و نص على بعضهم بالاسم ليخلى الساحة من المخالفين و المترصين، و يفوت الفرصة على المعارضين لخلافة الإمام علي (عليه السلام) .
وطني أكثر المسلمين في بداية الأمر أنها وعكة صحية طارئة لا تليث أن تزول بسرعة، غير أن الزهراء لم تكف تسمع بشكوى أبيها حتى ارتج قلبها و انهارت و كأنها و الموت على ميعاد، فقد بانت أمارات الموت عليه (صلى الله عليه و آله) و ضعفت صحته، فكان يتهاى و يوصى بأهل بيته في كل مناسبة، و يزور البقيع و يخاطبهم بكلمات تشعر بدنو أجله، لا سيما و قد سمعته قبل ذلك يقول في بعض المناسبات لأصحابه و هو يعظهم: «يوشك أن ادعى فاجيب»، و سمعته يقول في حجة الوداع على جبل عرفات و قد وقف بين المسلمين: «لعل لا ألقاكم بعد عامي هذه»، و تكررت منه هذه المقالة في السنة العاشرة من الهجرة .
و مرة رأت فاطمة (عليها السلام) في منامها- بعد حجة الوداع- أنها كانت تقرأ القرآن و فجأة وقع القرآن من يدها و اختفى، فاستيقظت مرعوبة و قصت الرؤيا على أبيها (صلى الله عليه و آله) فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «أنا ذلك القرآن- يا نور عيني- و سرعان ما أرحل» [رياحين الشريعة: 1/ 239].

لقد كانت فاطمة (عليها السلام) و أمير المؤمنين أشد الناس لصوقاً و أقربهم إلى رسول الله في فترة مرضه و حتى وفاته (صلى الله عليه و آله)، فعن علي (عليه السلام): أن معاذاً سأل عائشة كيف وجدت رسول الله (صلى الله عليه و آله) عند وجعه و وفاته؟ فقالت: يا معاذ ما شهدته عند وفاته ولكن دونك هذه فاطمة ابنته فأسألها [أراجع الإصابة: 2/ 178 (ط. مصر)].
كما أن فاطمة كانت تطوف حين مرض النبي (صلى الله عليه و آله) على أزواجه فتقول: إنه يشق على النبي (صلى الله عليه و آله) أن يطوف عليكن، فقلن هو في حل [أراجع عوالم العلوم: 11/ 390].

و اشتد المرض بالنبي (صلى الله عليه و آله) أكثر فأكثر، فهو مسجى على فراش الموت و الزهراء بجانبه يشتد وجدها على أبيها، و تقول: و اكره لي لركبك يا ابتاه إفتارة تحدي في وجهه الشاحب و تذرف الدموع الساخنة، و أخرى تدعو له بالسلامة .
لقد ثقل المرض على رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى أغمى عليه، فلما أفاق: وجد أبي بكر و عمر و آخرين عنده، فقال (صلى الله عليه و آله): «ألم أمركم بالمسير في جيش أسامة؟» فاعتذروا إلا أن النبي (صلى الله عليه و آله) كان يعلم ما تكن صدورهم و ما يبيتون ما بقائهم في المدينة لبيتزوا مركز القيادة الإسلامية، فقال (صلى الله عليه و آله): «إنتوني بدواة و بياض، أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي أبداً»، فتنازعوا فقالوا: إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) يهجر و في نص آخر: قال عمر: إن النبي عليه الوجدع حسينا كتاب الله فاختلفوا و كثر اللغظ، قال (صلى الله عليه و آله): قوموا عني و لا يبغي عندي التنازع [الكامل في التاريخ: 2/ 320، طبعة دار الكفر- بيروت، و صحيح البخاري: كتاب العلم، باب كتابة العلم].
كانت الزهراء ترى كل ذلك بقلب حزين و عين دامعة، و كانتا ترتقب أياماً صعبة الأحداث .

وصايا الرسول في ساعة الوداع :

لما ثقل و اشتد المرض برسول الله (صلى الله عليه و آله) و حضرته الوفاة؛ أخذ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) رأسه الشريف فوضعه في حجره، فأغمى على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و فاطمة (عليها السلام) تنظر في وجهه و تندبه و تبكى و تقول :
ففتح رسول الله (صلى الله عليه و آله) عينيه و قال بصوت ضعيف: «بنية قولى): و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً و سيجزى الله الشاكرين» [آل عمران (3): 144].

فبكت طويلاً فأومأ إليها بالدنو منه، فأسر إليها شيئاً فتهلل وجهها له .
فقبل لها (عليها السلام) بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه و آله): ما الذي أسر اليك رسول الله (صلى الله عليه و آله) فسرى عنك به ما كنت عليه من الحزن و القلق بوفاته؟ قالت: «إنه أخبرني أنني أول أهل بيته لحوقاً به، و أنه لن تطول المدة لى بعده حتى أركه، فسرى ذلك عني» [الكامل في التاريخ: 2/ 323، و طبقات ابن سعد: 2/ 39، و مسند أحمد 6/ 282].

و عن أنس قال: جاءت فاطمة و معها الحسن و الحسين (عليهما السلام) إلى النبي (صلى الله عليه و آله) في المرض الذي قبض فيه فانكبت عليه فاطمة و أصقت صدرها بصدرة و جعلت تبكى، فقال لها النبي (صلى الله عليه و آله): «يا فاطمة لا تبكى على و لا تلطمى و لا تخمشى على خدأ و لا تجزى على شعراً، و لا تدعى الويل و الثبور، تعزى بعزاء الله، ثم بكى و قال: اللهم أنت خليفتي في أهل بيتي، اللهم هؤلاء وديعتى عندك و عند المؤمنين .»
و روى البخارى و مسلم في صحيحهما عن عائشة أنها قالت: أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشى النبي (صلى الله عليه و آله) و قال النبي (صلى الله عليه و آله): «(مرحياً بابتى) ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثاً فبكت، فقلت : استخصك رسول الله (صلى الله عليه و آله) حديثه ثم تبكين؟ ثم إنه أسر لها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رايت كاليوم فرحاً أقرب من

حزن! فسألتهما عما قال: فقالت: «ما كنت لأفشى سر رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى إذا قبض النبي (صلى الله عليه وآله) سألتها فقالت: «إنه أسر إلي فقال: «إن جبرئيل (عليه السلام) كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة وإنه عارضني به هذا العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي فيكيت، ثم قال لي: إنك أول أهل بيتي لحوقاً بي و نعم السلف أنا لك، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة؟ فضحكت» [مسند احمد: 282 /6].

و عن موسى بن جعفر عن أبيه (عليهم السلام): «لما كانت الليلة التي قبض النبي في صبيحتها، دعا علياً و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهم السلام) وأغلق عليه و عليهم الباب و قال (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة! و أدناها منه ففاجها من الليل طويلاً فلما طال ذلك خرج علي و معه الحسن و الحسين و أقاموا بالباب و الناس خلف الباب، و نساء النبي ينظرن إلى علي (عليه السلام) و معه إبناه» فقالت عائشة: لأمر ما أخرجك منه رسول الله و خلا بابنته عنك في هذه الساعة؟ فقال لها علي (عليه السلام): «قد عرفت الذي خلا بها و أرادها له، و هو بعض ما كنت فيه و أبوك و أصحابه فوجمت أن ترد عليه كلمة.» قال علي (عليه السلام): «فما لبثت أن ناديتي فاطمة (عليها السلام) فدخلت على النبي (صلى الله عليه وآله) و هو يوجد بنفسه فقال لي: ما يبكيك يا علي؟ ليس هذا أو ان بكاء فقد حان الفراق بيني و بينك، فاستودعك الله يا أخي، فقد اختار لي ربي ما عنده، و إنما بكائي و حزني عليك و على هذه أن تضع بعدي، فقد أجمع القوم على ظلمكم، و قد استودعتمكم الله و قبلكم مني وديعة، إنني قد أوصيت فاطمة ابنتي بأشياء و أمرتها أن تلقها اليك فنفذهما فهي الصادقة الصدوقة.» ثم ضمها اليه و قبل رأسها و قال: «فذاك أبوك يا فاطمة» فعلا صوتها بالكاء و ثم ضمها اليه و قال: «أما و الله لينتقم الله ربي، وليغضب لغضبك، فالويل ثم الويل للظالمين، ثم بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى هملت عيناه مثل المطر، حتى بلت دموعه لحينته و قال علي (عليه السلام): «فو الله لقد حسبت قطعة مني ذهبت لبيكاته حتى هملت عيناه مثل المطر، حتى بلت دموعه لحينته و ملاءة كانت عليه، و هو يلتزم فاطمة لا يفارقها و رأسه على صدري و أنا مسنده، و الحسن و الحسين يقبلان و يبكيان بأعلى أصواتهما» قال علي (عليه السلام): «فلو قلت إن جبرئيل في البيت لصدقت لأني كنت أسمع بكاء نعمة لا أعرفها، و كنت أعلم أنها أصوات الملائكة لا شك فيها، لأن جبرئيل لم يكن في مثل تلك الليلة يفارق النبي (صلى الله عليه وآله) و لقد رأيت بكاءً من فاطمة أحسب أن السماوات و الأرضين بكت لها.» ثم قال (صلى الله عليه وآله) لها: «يا بنية، الله خليفتي عليكم و هو خير خليفة، و الذي بعثني بالحق لقد بكى لبيكاته عرش الله و ما حوله من الملائكة و السماوات و الأرضون و ما بينهما، يا فاطمة و الذي بعثني بالحق لقد حرمت الجنة على الخلائق حتى أدخلها، و إنك لأول خلق الله يدخلها بعدي، كاسية حالية ناعمة، يا فاطمة هنيئاً لك، والذي بعثني بالحق إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب و لا نبي مرسل إلا صعق، فينادى إليها أن يا جهنم يقول لك الجبار اسكني بعزي و استقرى حتى تجوز فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) إلى الجنات لا يغشأها فقر و لا ذلة، و الذي بعثني بالحق ليدخلن حسن و حسين، حسن عن يمينك و حسين عن يسارك، و لتشرفن من أعلى الجنان بين يدي الله في المقام الشريف، ولواء الحمد مع علي بن أبي طالب (عليه السلام)، والذي بعثني بالحق لأقومن بخصومة أعدائك، و ليندمن قوم أخذوا حقاك و قطعوا مودتك و كذبوا علي، وليختلجن دوني فأقول: امتي امتي، فيقال: إنهم بدلوا بعدي و صاروا إلى السعير.» [بحار الأنوار: 22 /490، و راجع: نصوص المقطع الأخير من الحديث في صحيح البخاري: كتاب الفتن، الأحاديث (1-5)]. إلى هنا ينتهي الحديث عن ثلاث مراحل من حياة الزهراء (عليها السلام) و أما المرحلة الرابعة من حياتها فهي تبدأ بعد وفاة أبيها المصطفى (صلى الله عليه وآله) و تنتهي باستشهادها (صلوات الله عليها). و حيث إن هذه المرحلة- بالرغم من قصرها- تشكل مقطعا متميزا في حياتها فسوف نفردها بابا خاص ضمن عدة فصول .

الباب الثالث

فيه فصول :

الفصل الأول :

الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها

الفصل الثاني :

مرض الزهراء (عليها السلام) واستشهادها

الفصل الثالث: من تراث الزهراء (عليها السلام)

الزهراء بعد أبيها

حدث السقيفة :

إنَّ أصعب مرحلة في تاريخ الأمة الإسلامية اشتعلت شرارتها و دوى انفجارها هي التي أعقبت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) و (صلى الله عليه وآله).

لقد كانت تحكم الظروف المعقدة- آنذاك- عناصر موضوعية و أخرى ذاتية، فالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) أتم تبليغ الرسالة الإسلامية كاملة عن الله عز و جل، و كان وجوده (صلى الله عليه وآله) عنصر الإشعاع الإيماني و مدعاة للإستقرار و البناء، ولكن عمق الخلل الكبير في المجتمع الإنساني و الذي يمتد إلى بعد غير منظور ربما كان متجسداً في عقول و سلوك أفراد عديدين كانوا قريبين من مصادر قوة و حركه مجتمع الجزيرة- الحديث العهد بالإسلام- جعل التفاعل بين طرفي الحق و الباطل يظهر بشده بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله).

لقد كان الصراع الذي برز على ساحة المجتمع الإسلامي دليلاً على عدم استيعاب العدد الأكبر للعقيدة الاسلاميه بكل أبعادها وحدودها، و كان من نتائج هذا الصراع ان بدأت عملية انحراف التجربة الاسلاميه و ما يترتب عليها من آثار سيئه على المسلمين إلى يومنا هذا .

إن الفترة التي تلت وفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ازدحمت بالأحداث المتناقضة و الارتجالية، ولكي ندرس حياة الزهراء (عليها السلام) في هذه الفترة لابد أن نستعرض الوضع العام و ما جرى من أحداث، كي يمكن من خلالها أن نتصور حالة المجتمع آنذاك و القوى المؤثرة و المتفاعلة فيه و ما تتركه من آثار على أهل بيت النبوة عامة و الزهراء (عليها السلام) خاصة من تعدى و ظلامات، و أول ما يصادفنا هو إجتماع السقيفة و دوره الأساسي لكل المواقف التي تلتها و تأسست عليه .

لقد انشغل الإمام على (عليه السلام) و أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) و بنو هاشم و المواليون لهم في تجهيز النبي (صلى الله عليه وآله) و الاستعداد لمراسم دفنه، و استغللت هذا الانشغال العناصر التي كانت لها مطامع و رغبات في الوصول إلى الزعامة غير عابئة بالأوامر و النواهي الإلهية التي وردت على لسان النبي الكريم .
لقد كان هناك موقفاً: الأول: وقوف عمر بن الخطاب و هو يصرح وسط جموع المسلمين المحتفين حول بيت النبي (صلى الله عليه وآله) و الحزن ظاهر عليهم: أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يمتهن، و أخذ يهدد و يتوعد من يدعى ذلك و إصراره على موقف المريب حتى مجيء أبي بكر من خارج المدينة .

و الموقف الآخر: اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة برئاسة سعد بن عبادَةَ الخزرجي .
و قد اتفق المؤرخون و المحدثون بأن موقف عمر بن الخطاب انتهى بحضور أبي بكر و قراءته للآية (و ما محمد الا رسول...) على الناس، إذ هدأت ثورة عمر بن الخطاب و خرجا معاً من بيت النبي (صلى الله عليه وآله) و تركاه بين أهله المفجوعين بوفاته .
والذي تؤكدُه القرائن و سير الأحداث أنهما انصرفا إلى مكان ما كانوا قد أعدوه لا يتخذ التدابير اللازمة، و ربما أن أكثر الأنصار بما فيهم سعد بن عبادَةَ

لم يضعوا في حسابهم غير على (عليه السلام) للخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) كما كان الاعتقاد السائد بين عامة المسلمين أنها لن تعده، ولكن بعد أن تبين للأنصار أن شيوخ المهاجرين قد تكلتوا لصرافها عنه و الاستيلاء عليها و تجاهلوا نصوص الرسول عليه و أنهم في هذا التحالف القرشي الجديد يرجعون إلى إحياء الروح الجاهلية و النزعات القبلية، في حين أنهم قد قدموا للدعوة و صاحبها و بدلوا له من أنفسهم و أموالهم ما لم يقدمه و يبذله أحد من المهاجرين الذين يخططون للاستيلاء على السلطة من بعده، بعد أن تبين لهم ذلك اجتمع فريق منهم بزعامة سعد بن عبادَةَ في السقيفة للتداول بشأن الخلافة، و هتف جماعة منهم باسم سعد بن عبادَةَ، و لما اتصل الخبر بالمهاجرين عن طريق بعض الأنصار الذين كانوا يناوئون سعداً و يعملون لغير صالحه، تركوا مكانهم و أقبلوا مسرعين إلى سقيفة بني ساعدة، فوقف خطيب الأنصار و أشاد بالأنصار و موافقهم و تضحيتهم في سبيل الإسلام و تمنى على المهاجرين أن لا يتجاهلوهم و يجعلوا لهم شيئاً من الأمر، و تحدث بعده أبو بكر فنوه بفضل قريش و أمجادها و أعاد إلى الأذهان مواقف العرب قبل الإسلام و تفاخرهم بالأحساب و الأنساب .

و جاء في رواية العقد الفريد أنه قال: نحن المهاجرين أول الناس إسلاماً و أكرامهم أحساباً و أوسطهم داراً و أحسنهم وجوهاً و أمسهم برسول الله رحماً، و مضى يقول: إن العرب لا تدن إلا لهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضلهم الله به، فقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، و أشار إلى عمر بن الخطاب و أبي عبيدة بن الجراح .
و انتهز أبو بكر - و هو يتحدث عن قريش و أمجادها و عن المهاجرين بالذات - صوت بشير بن سعد الخزرجي و قد ارتفع في ناحية من نواحي البيت،

و أخذه الحسد لابن عمه و هو يقول: أيها الناس ألا إن محمداً من قريش و إن قومه أحق به و أولى، و أيم الله لا يراني الله أنزعهم في هذا الأمر أبداً .

و أبي عليه الحباب بن المنذر الخزرجي أن يبرز بين الناس بهذا الأسلوب الذي يتسم بطابع الدجل و النفاق و الحسد لابن عمه، فقال: لقد عز على بشير بن سعد ان يتولى ابن عمه السلطة بعد النبي حسداً و بغضاً، فظهر بمظهر من لا يريد أن ينازع أحداً حقاً هو أولى به، ثم قال: ما أحولك إلى ما صنعت يا بشير! لقد نفست الإمارة على ابن عمك سعد بن عبادَةَ .
و لم ينته الجدل عند هذا الحد، بل قام أسيد بن حضير أحد زعماء الأوس يثير في النفوس أحقاد الجاهلية و يذكر بما بين الحيين الأوس و الخزرج من خلافات و أحقاد و عصبية قد أطفأتها سماحة الإسلام، و مضى يخاطب الأوس و يقول: يا بني الأوس، و الله لأن و ليتموها سعداً عليكم مرة لا يزال للخروج بذلك عليكم الفضل و لا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً .

استغل أبو بكر صوت بشير بن سعد الذي جر هذا الانقسام، فأخذ عمر بن الخطاب بيد و أبا عبيدة بالآخرى و نادى: أيها الناس، هذا عمر و أبو عبيدة فيأبوا أيهما شئتم، و قام الحباب بن المنذر بعد هذا التمييز المدروس بين الثلاثة و قال: يا معشر الأنصار املكو على أيديكم و لا تسمعوا مقالة هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، و استولى الغضب على ابن الخطاب فابنرى يقول: من ذا ينازعنا سلطان محمد و إمارته و نحن أولياؤه و عشيرته إلا مدلي باطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة؟
و لما سمع الحباب بن المنذر تحدي عمر بن الخطاب و أسلوبه المتطرس توجه إلى الأنصار و قال: أما إذا أبوا عليكم ما سألتموها فاجلوهما عن هذه البلاد، فأنتم و الله أحق بهذا الأمر منهم، بأسيا فكم دان بهذا الدين من

دان، ثم انتهى سيفه بلوح به و يقول: أنا جديلهما المحكم و غديقه المرجب، أما و الله إن شئتم لنعيدننا جذعة، و هنا عصف الغضب بجوانح عمر بن الخطاب و كاد أن يقع الشر بين الطرفين، فوقف أبو عبيدة بن الجراح ليحول دون وقوع الفتنة، فقال بصوت هادئ: يا معشر الأنصار كنتم أول من نصر و أزر فلا تكونوا أول من غير و بدل، و مضى يتحدث بلهجة فيها توسل و رجاء فلم يلبثوا حتى هدأت نفوسهم و انقسم الأنصار علي أنفسهم، و أسرع عمر بن الخطاب بعد هذا الجورا إلى أبي بكر و قال: أسط يدك يا أبا بكر، ما كان لأحد أن يؤخرك عن أقامك الله فيه، و قام بعده أبو عبيدة بن الجراح و قال له: إنك لأفضل المهاجرين و ثاني اثنين إذ هما في الغار و خليفة رسول الله على الصلاة، فبسط أبو بكر لكليهما كفه فبايعاه، و أسرع بعدهما بشير بن سعد و جماعة من الخزرج فيأبوه و تبعهم أسيد بن حضير بمن معه من الأوس، و خرجوا من سقيفة بني ساعدة يهتفون لأبي بكر و لا يبرون على أحد إلا و أخذوا بيده و أمروها على يد أبي بكر و من أبي ضربه عمر بن الخطاب بدرته و تكاثر عليه أتباعه حتى يرغموه على البيعة، و تمت بيعة أبي بكر بهذا النحو الذي كان مفاجأة لأكثر الناس .

و من مجموع ذلك يتبين أن التخطيط لإقصاء على عن السلطة و الاستيلاء عليها لم يكن وليد ساعته كما تؤكدُه الشواهد، و أن موقف الأنصار بقيادة سعد بن عبادَةَ كان ارتجالياً لم يحضر له من قبل كما يبدو ذلك من اختلافهم و تضارب آرائهم، كما تبين أن القادة الثلاثة أبا بكر و عمر بن الخطاب و ابن الجراح هم قادة الحزب القرشي المتآمر على الاستيلاء على السلطة و إقصاء على بن أبي طالب عنها، و أن أقوى مالدتهم من الأدلة في مقابل الأنصار لا يعدو الأمرين: أولهما: أن المهاجرين أول الناس إسلاماً، والثاني: أنهم أقرب الناس إلى رسول الله و أمسهم به رحماً، و قد أدان هؤلاء القادة أنفسهم بهذه الحجة، ذلك لأن الخلافة إذا كانت بالسيف إلى الإسلام و القرابة القريبة من رسول الله كما يدعون فهي لعلى (عليه السلام) وحده، لأنه أول الناس إسلاماً و إيماناً و تصديقاً برسالة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) (باتفاق جميع المسلمين، و أخوه بمقتضى المؤاخاة التي عقدها النبي معه يوم أوى بين المهاجرين و الأنصار في المدينة، و هو ابن عمه نسبياً، و أقرب الناس إلى نفسه و قلبه بلا شك في ذلك عند أحد من الناس .

لقد ناقض نفسه أبو بكر حينما احتج على الأنصار بالقرابة و السبق إلى الإسلام و رشح لها عمر بن الخطاب و أبا عبيدة بن الجراح لأنهما أسبق إلى الإسلام من الأنصار و أمسهم بالنبي رحماً: و تجاهل على بن أبي طالب الذي بايعه مائة ألف أو يزيدون في غدير خم قبل مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، و قد سبق جميع الناس إلى الإسلام، و كان ابن عم النبي نسبياً و أخاه وحده في الله بإجماع المؤرخين و المحدثين، و بمواقفه و تضحياته و جهاده استقام الإسلام و انتصر على الشرك و الوثنية و على قريش التي عادت سيرتها الأولى تحارب محمداً المتمثل في خط على و شخصه (عليه السلام) .

و ما كان الأمر مخفياً على أبي بكر الذي يعتقد سلامة هذا الأسلوب و كفايته حين رشح لها أحد الرجلين، ولكنه هو و أنصاره كانوا قد خططوا لذلك، و اتفقوا مع بعض الأنصار و المهاجرين على إقصاء على عن الخلافة و الاستيلاء عليها بكل الأساليب، و كان يتكلم مع الفريق الثاني من الأنصار الذين استنزههم موقف أبي بكر و أنصاره، و اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يتداولون في مصير الخلافة، كان يتكلم معهم هو و رفيقاه القوي الذي يريد أن يفرض على الغير وجوده ولو بهذا النحو من التعمية و التضييل .
و مما يدل على ذلك جواب عمر بن الخطاب له حينما أشار على الحضور أن يبايعوا أحد الرجلين عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة، فأجابه على الفور: أيكون هذا و أنت حي؟ ما كان لأحد أن يؤخرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله

أراجع تفصيل أخبار السقيفة: ابن هشام: 334-335، تاريخ الطبري حوادث سنة 44311 / 2، و أنساب الأشراف: 563-567، طبقات ابن سعد 2 ق 53-54، و تاريخ أبي الفداء: 164 / 1، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 21-57، حياة الإمام الحسن بن على: 150 / 1.]

هذا الجواب يشير إلى تخطيط و اتفاق بينهما على الأسلوب الذي تتم فيه بيعة أبي بكر، و في الوقت ذاته يحاول ابن الخطاب من خلاله تضليل الرأي العام و طيهامه بأن رسول الله قد اختاره للخلافة كما يشير طلبه قوله: ما كان لأحد أن يؤخرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله، هذا مع العلم بأن المؤرخين لحياة الرسول (صلى الله عليه و آله) من القدامى و المحدثين و الثقات الذين حفظوا حديثه و روهه للأجيال لم يدعوا بأن النبي قد لوح له- و لو من بعيد- بذلك المقام الذي يعمل من أجله ابن الخطاب و أنصاره، بل إن مواقف النبي معه كانت على العكس من ذلك فلم يعهد إليه بأمر و لا وضعه في مكان يحقق له امتيازاً عن غيره، و كان إذا أرسله على رأس سرية من السرايا- كما حدث له في غزوة السلاسل- أو أعطاه الراية- كما صادف ذلك في خيبر- يرجع فاشلاً مخذولاً، و في الأيام الأخيرة من حياته بعد أن علم يقرب أجله أراد أن يخرج من المدينة كجندى من جنود المسلمين هو و عمر بن الخطاب بقيادة أسامة بن زيد و هو شاب لا يتجاوز العشرين من عمره على أبعد التقادير .

أما حديث صلته بالناس في بعض الأيام خلال مرض النبي الذي أشار إليه أبويعبدة في حديثه مع الأنصار فمع أن إمامة المصلين كانت و لا تزال مألوفة بتعاطهاها الكبير و الصغير و الفاضل و المفضول فهي على تقديرها لا توجب له فضلاً على أحد من الناس، و ليست من مختصات الأنبياء و الأولياء و القديسين، ولقد دعت إليه ابنته عائشة حيث كان النبي في وضع لا يسمح له بترك فراشه، و لما علم بالأمر خرج يتوكأ على علي و العباس و نجاه عن محرابه، و صلى بالناس و هو يعاني من وطأة المرض و آلامه .

والشنيء الغريب الذي لا يقره العقل و المنطق أن يعتبرها جماعة من علماء السنة و محدثيهم فضيلة لأبي بكر تؤهله للخلافة، في حين أنهم يعترفون بمواقف النبي (صلى الله عليه و آله) من علي يوم الدار و في أحد و الأحزاب و الحديبية و خيبر و حنين و تبوك و في غدير خم، و مؤاخاته له في مكة و المدينة، و لا يرون في جميع ذلك دليلاً على اختياره لمنصب الخلافة من بعده، بل ولا تلميحاً على اختياره، و يرون في صلاة أبي بكر ركعتين بالمسلمين دليلاً واضحاً على إعداده لقيادة الأمة من بعده و إعطائه الصلاحيات التي كانت له .

و مما يدل على أن حركة الأنصار و اجتماعهم في السقيفة كانت رداً على التخطيط الذي وضعه المهاجرون للاستيلاء على السلطة ما جاء في رواية الزبير بن بكار حيث قال :

لما باع الجماعة أبا بكر؛ أقبلوا به على المسجد يزفونه زفاً، فلما كان آخر النهار اجتمع قوم من الأنصار و قوم من المهاجرين و تعاقبوا فيما بينهم على الكلام، فقال عبدالرحمن بن عوف، يا معشر الأنصار إنكم و إن كنتم أولى فضل و نصر و سابقة ولكن ليس فيكم مثل أبي بكر و لا عمر و لا علي و لا أبي عبيدة .

فقال زيد بن أرقم: إنا لأننكر فضل من ذكرت يا عبدالرحمن، و إن منّا لسيد الأنصار سعد بن عباد، و من أمر الله رسوله أن يقره السلام و أن يأخذ عنه القرآن أبي بن كعب و من يحيى يوم القيامة أمام العلماء معاذ بن جبل، و من أمضى رسول الله شهادته بشهادة رجلين و هو خزيمه بن ثابت، و إنا لنعلم أن بين من ذكرت من قريش من لو طلب الخلافة لم ينازعه فيها أحد و هو على ابن أبي طالب .

و جاء في تاريخ الطبري أن أبا بكر لما اقترح أحد الرجلين أبايعه أو عمر بن الخطاب و انسحبا هما لأبي بكر قال الأنصار: لا نبايع إلا على بن أبي طالب

[انظر الجزء الرابع من تاريخ الطبري: 21 طبع دار الفكر- بيروت .]

هاتان الروايتان صريحتان في أن الأنصار لم يعارضوا في علي بن أبي طالب لو آتته كان مرشح المهاجرين لها، و هذا يعني أن موقفهم المعارض لأبي بكر في السقيفة كان رداً على التخطيط، الذي وضعته قريش للاستيلاء على السلطة و انتزاعها من أصحابها الشرعيين .

و قال الأستاذ توفيق أبو علم في كتابه «أهل البيت»: و لا يبعد أن يكون سعد بن عباد لما رأى تصميم المهاجرين على عدم إعطاء الحق لأهله طلبه لنفسه .

و مهما كان الحال، فلقد كانت مواقف النبي من علي (عليه السلام) و تصريحاته المتتالية فيه في مختلف المناسبات تجعله يحكم المتعين لها بنظر الجمهور الأعظم من المسلمين، حتى أن علياً نفسه كان واثقاً بأن الأمر لا يعود له .

و جاء في شرح النهج لابن أبي الحديد أن علياً (عليه السلام) كان لا يشك في أن

الأمر له، و أنه لا ينازعه فيه أحد من الناس و مضى يقول :

و قد قال له عمه العباس: امدد يدك أبايعك فيقال عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك إثنان، فقال يا عم: وهل يطمع فيها طامع غيري، قال :ستعلم، فقال: إني لا أحب هذا الأمر من وراء رتاج .

و بالطبع لقد دهش هو و من معه لهذا الحدث العظيم حينما سمع به و رأى الناس يزفون أبا بكر إلى المسجد كما تزف العروس و النبي (صلى الله عليه و آله) لا يزال مسجىً بين أهله و زوجاته ينتظرون أن يتم تجهيزه لمقره الأخير، و حينما بلغه أن أبا بكر قد احتج على معارضيه من الأنصار بقرايته من رسول الله و سبقه إلى الإسلام كان لزاماً عليه أن يلزمهم بما ألزموا به غيرهم و لو كان لا يؤمن بصحة هذه الحجة و لا بجداوها، و باستطاعته أن يقدم لهم عشرات الأدلة التي لا تقبل الجدل و المراجعة لو كانوا يصفون إلى المنطق و تردعهم الحجة عما هم جادون فيه، و مع ذلك فقد احتج عليهم بالحجة التي تغلبوا فيها على الأنصار و بأقوال الرسول و نصوصه عليه و بماضيه و جهاده و أخوته لرسول الله، و ظل متمسكاً بحقه و إلى جانبه زوجته سيده النساء تطالب بنحلتها و حق زوجها في الخلافة .

و ذهب أكثر الرواة إلى أن أباسفيان وقف موقف المتحمس لعلي، و أخذ يهدد و يتوعد و يقول: و الله لأملأنها عليهم خيلاً و رجالاً، و لم يكن ليخفي علي علي (عليه السلام) أن ذلك منه كان يقصد الوقعة بين المسلمين و إشعال الفتنة لبتاح له و لأمثاله ممن أسروا الشرك و النفاق أن يصلوا لأهدافهم المعادية للإسلام و حماته الذين حاربهم أبوسفيان عشرين عاماً، و بالتالي كان إسلامه و إسلام زوجته هند أكلة الأكباد عام الفتح أعسر إسلام عرف بين المسلمين، لأنه كان إسلام مغلوب أعيته جميع الوسائل، فاضطر أخيراً إلى الدخول مع

المسلمين و في نفسيهما ألام و أحقاد كانت تظهر بين الحين و الآخر .

و جاء في رواية الطبري و ابن الأثير في الكامل أن أمير المؤمنين زجر أباسفيان بن حرب و قال له: «و الله ما أردت إلا الفتنة، و إنك و الله طالما بغيت للإسلام شراً لا حاجة لنا في نصرتك »

[راجع سيره الأئمة الاثني عشر 1: 260- 267 .]

نتائج السقيفة :

أبرزت أحداث السقيفة ثلاثة أطراف معارضة :

1-الأنصار الذين نازعوا الخليفة و صاحبيه في سقيفة بني ساعدة و وقعت بينهم المحاوره و الجدل، و انتهت بغوز قريش بسبب تركز فكرة الوارثة الدينية في الذهنية العربية، و انشقاق الأنصار على أنفسهم

[راجع تاريخ الطبري: 4 / 25 (طبع دار الفكر- بيروت.)، لتمنن النزعة القبلية من نفوسهم .

فقد ركز أبو بكر و أصحابه في هذا النزاع دفاعهم عما زعموا من حقوق على نقطة كانت ذات و جاهة في نظر الكثيرين، فإن قريشاً ما دامت عشيرة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و خاصة فهي أولى من سائر المسلمين و أحق بخلافته و سلطانه، و قد انتفع أبو بكر و مؤيدوه باجتماع الأنصار في السقيفة من ناحيتين :

الأولى: أن الأنصار سجلوا على أنفسهم بذلك مذهباً لا يسمح لهم بأن يقفوا بعد ذلك في صف علي (عليه السلام) و يخدموا قضيته و أحقيته .

الثانية: أن أبابكر الذي خدمته الظروف فأقامت منه المدافع الوحيد عن حقوق المهاجرين في مجتمع الأنصار لم يكن ليتعبأ له ظرف أوفى بمصالحه

من ظرف السقيفة، إذ خلا الموقف من أقطاب المهاجرين الذين لم يكن لتنتهي المسألة في محضرهم إلى نتيجتها التي سجلتها السقيفة في ذلك اليوم .

و خرج أبوبكر من السقيفة و قد بايعه جمع من المسلمين الذين أخذوا بوجهة نظره في مسألة الخلافة أو عز عليهم أن يتولاهها سعد بن عباد .

2-الأمويون الذين كانوا يريدون أن يأخذوا من الحكم بنصيب و يسترجعوا شيئاً من مجدهم السياسي في الجاهلية و على رأسهم أبوسفيان، و لم يعبأ الحاكمون (أبوبكر و جماعته) بمعارضة الأمويين و تهديد أبي سفيان و ما أعلنه من كلمات الثورة بعد رجوعه من سفره الذي بعثه فيه رسول الله (صلى الله عليه و آله) لجباية الأموال، لعلمهم بطبيعة النفس الأموية و شهواتها السياسية و المادية، فكان من السهل كسب الأمويين إلى جانب الحكم القائم كما صنع أبوبكر، فأباح لنفسه أو أباح له عمر- بتعبير أصح -كما تدل الرواية و أن يدفع لأبي سفيان جميع ما في يده من أموال المسلمين و زكواتهم ثم جعل للأمويين بعد ذلك حظاً من العمل الحكومي في عدة من المرافق الهامة .

3-الهاشميون و أحصاؤهم كعمار و سلمان و أبي ذر و المقداد (رضوان الله عليهم (و جماعات من الناس الذين كانوا يرون أن البيت الهاشمي هو الوارث الطبيعي لرسول الله (صلى الله عليه و آله) بحكم الفطرة و مناهج السياسة التي كانوا يالفونها [راجع للمزيد من التفصيل (فدك في التاريخ) للشهيد السيد محمدباقر الصدر: 84 .]

نلاحظ أن الحزب الحاكم نجح في التعامل مع الأنصار و الأمويين و كسب الموقف منهم، ولكن هذا النجاح جره إلى تناقض سياسى واضح، لأن ظروف السقيفة كانت تدعو الحاكمين إلى أن يجعلوا للقرابة من رسول الله (صلى الله عليه و آله) حساباً في مسألة الخلافة و يقرروا مذهب الورثة للزعامة الدينية، غير

أن الحال تبدلت بعد موقف السقيفة، و اتخذت المعارضة لوناً جديداً و واضحاً كل الوضوح كان يتلخص في أن قريشاً إذا كانت أولى برسول الله (صلى الله عليه و آله) (من سائر العرب لأنه منها، فينو هاشم أحق بالأمر من بقية قريش .

و هذا ما أعلنه على (عليه السلام) حين قال: إذا احتج عليهم المهاجرون بالقرب من رسول الله (صلى الله عليه و آله) كانت الحججة لنا على المهاجرين بذلك قائمة، فإن فليحت حججتهم كانت لنا دونهم و إلا فالأنصار على دعوتهم. و أوضحة العباس لأبي بكر في حديثه له معه إذ قال له: و أما قولك: «نحن شجرة رسول الله (صلى الله عليه و آله)» فإنكم جيرانها و نحن أغصانها [شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: 5/ 6] . و قد كان على (عليه السلام) الذي تزعم معارضة الهاشميين مصدر رعب شديد في نفوس الحاكمين، لأن ظروفه الخاصة كانت تمده بقوة على لوتين من العمل الايجابي ضد الحكومة القائمة :

أحدهما: ضم الأحزاب المعادية إلى جانبه كالأمويين و المغيرة بن شعبة و أمثالهم ممن كانوا قد بدأوا يعرضون أصواتهم للبيع و يفاوضون الجهات المختلفة في اشترائها بأضخم الأثمان، كما نعرف ذلك من كلمات أبي سفيان التي واجه بها خلافة السقيفة يوم وصوله إلى المدينة، و حديثه مع علي (عليه السلام) و تحريضه له على الثورة، و ميله إلى جانب الخليفة، و سكوته عن المعارضة حينما تنازل له الخليفة عن أموال المسلمين التي كان قد جباها في سفره، و ذن فقد كان الهوى المادى مستولياً على جماعه من الناس يومئذ .

و من الواضح أن علياً كان يتمكن من أشباع رغبتهم بما خلفه رسول الله (صلى الله عليه و آله) من الخمس و غلات أراضيه في المدينة و فدك التي كانت ذات نتاج عظيم .

ثانيهما: الطور الآخر من المقاومة التي كان علي (عليه السلام) مزوداً بإمكانياتها مالمح اليه بقوله: «احتجوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة» و أعنى بذلك أن الفكرة العامة يومئذ التي أجمعت على تقديس أهل البيت و الاعتراف لهم بالامتياز العظيم بقرتهم من رسول الله (صلى الله عليه و آله) كانت سنداً قوياً للمعارضة [فدك في التاريخ، الشهيد السيد محمدباقر الصدر: 86 .]

خيارات السلطة الحاكمة

الخيار الأول: انتزاع القوة المالية للإمام على

و لقد وجد الحزب الحاكم نفسه في موقف حرج جداً، لأن أطراف الدولة الإسلامية التي تجبى منها الأموال لا تخضع للحكم الجديد إلا إذا استقرت دعائمه في العاصمة (مدينة الرسول (صلى الله عليه و آله)) و المدينة بعد لم تخضع له خضوعاً إجماعياً، فمثلاً إن كان أبوسفيان أو غيره قد باع صوته للحكومة فمن الممكن أن يفسخ المعاملة إذا عرض عليه شخص آخر ثمناً أكثر منها ربحاً، و هذا ما كان يستطيع على (عليه السلام) أن يقوم به في كل حين، فيجب و الحالة هذه أن تنتزع من علي (عليه السلام)- الذي لم يكن مستعداً للمقابلة في تلك الساعة- الأموال التي صارت مصدرراً من مصادر الخطر على مصالح الحزب الحاكم ليضمن بقاء الأنصار على نصرتهم، و عدم قدرة المعارضين على إنشاء حزب من أصحاب المطامع والأهواء يومئذ .

و لا يجوز أن نستبعد هذا التقدير لسياسيه الفته المسيطرة ما دام منطبقاً على طبيعة السياسة التي لا بد من انتهاجها، و ما دنا نعلم أن الصديق اشتري صوت الحزب الأموى بالمال و بالجاه أيضاً، إذ ولى ابن أبي سفيان، فقد جاء أن أبابكر لما استخلف قال أبوسفيان: ما لنا، و لأبي فصيل طنما هي بنو عبدمناف، فقيل له: إنه قد ولى ابنك، قال: وصلته رحم [تاريخ الطبرى: 4/ 28 .]

الخيار الثانى: مواجهة معارضة الإمام

تردد الحزب الحاكم في معالجة العنصر الثانى في قوة المعارضة بين أمرين :

1-أن لا يقر للقرابة بشأن في الموضوع، و معنى هذا أنه ينزع عن خلافة أبي بكر ثوبها الشرعى الذي ألبسها إياه يوم السقيفة .

2-أن يناقض نفسه فيظل ثابتاً على مبادئه التي أعلنها في السقيفة و لا يرى حقاً للهاشميين و لا امتياز لهم في مقاييس الرجال، أو يراه لهم ولكن في غير ذلك الظرف الذي يكون معنى المعارضة فيه مقابلة حكم قائم و وضع تعاقد عليه الناس، و عندها فلا أحد ينصرهم .

و اختارت الفئة المسيطرة أن تثبت على آرائها التي روجتها في مؤتمر الأنصار، و تعترض على المعارضين بأن مخالفتهم بعد بيعة الناس للخليفة ليست إلا إحدائاً للفئنة المحرمة في الإسلام .
[أراجع فدك في التاريخ، الشهيد السيد محمدباقر الصدر: 91.]

الخطوات العملية الأخرى لمواجهة آل محمد باعتبارهم زعماء المعارضة

حين نتطَّلع بإمعان عند دراسة سياسة الحاكمين نجد إضافة إلى التخطيط لإضعافهم اقتصادياً أنهم انتهجوا منذ اللحظة الأولى سياسة معينة تجاه آل محمد (صلى الله عليه و آله) للقضاء على الفكرة التي أمدت الهاشميين بقوة على المعارضة كما خنقوا المعارضة نفسها و هي كونهم أقرب الناس لرسول الله (صلى الله عليه و آله) .
و نستطيع أن نصف هذه السياسة بأنها تهدف إلى إلغاء امتياز البيت الهاشمي و إبعاد أنصاره المخلصين له عن المرافق الهامة في جهاز الحكومة الإسلامية يومئذٍ، و تجريدته عما له من الشأن و المقام الرفيع في الذهنية الإسلامية، و قد يعزو هذا الرأي إلى عدة ظواهر تاريخية :

1- سيرة الخليفة و أصحابه مع علي (عليه السلام) التي بلغت من الشدة أن عمر هدد بحرق بيته و إن كانت فاطمة فيه، و معنى هذا الإعلان أن فاطمة و غيره الهاشميين ليس لهم حرمة تمنعهم عن أن يتخذ معهم نفسه الطريقة التي سار عليها مع سعد بن عبادة حين أمر الناس بقتله في يوم السقيفة، و من صور ذلك العنف وصف الخليفة لعلي (عليه السلام) بأنه مرب لكل فئنة، و تشبيهه له بأمر طحال أحب إلى أهلها البغي، و قد قال عمر لعلي بكل وضوح: إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) منا و منكم .

2- إن الخليفة الأول لم يشرك شخصاً من الهاشميين في شأن من شؤون الحكم المهمة، و لا جعل منهم والياً على شبر من المملكة الإسلامية الواسعة الأطراف مع أن نصيب الأمويين في ذلك كان عظيماً، و نستطيع أن نفهم بوضوح أن هذا الأمر وليد سياسة متعمدة، من خلال المحاورة التي جرت بين الخليفة الثاني و ابن عباس أظهر فيها تخوفه من توليه ابن عباس «حمص»، لأنه يخشى إذا صار الهاشميون ولاة على أقطار المملكة الإسلامية أن يموت و هم كذلك فيحدث في أمر الخلافة ما لا يريد

[أراجع: مروج الذهب على هامش الجزء الخامس من تاريخ ابن الأثير: 135.]

3- عزل الخليفة لخالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي وجهه لفتح الشام بعد أن أسندها إليه لا لشئ إلا لأن عمر نبهه إلى نزعة خالد الهاشمية و ميله إلى آل محمد (صلى الله عليه و آله) و ذكره بموقفه تجاههم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه و آله) .

إذن فقد كانت الفئة الحاكمة تحاول أن تساوى بين بني هاشم و سائر الناس، و ترتفع برسول الله (صلى الله عليه و آله) عن الاختصاص بهم، لتنتزع بذلك الفكرة التي كانت تزود الهاشميين بطاقة على المعارضة، و لئن اطمأن الحاكمون إلى أن علياً لا يثور عليهم في تلك الساعة الحرجة على الإسلام فهم لا يأمنون من انتفاضته بعد ذلك في كل حين، و من الطبيعي حينئذٍ أن يسارعوا إلى الإجهاز على كلنا قوتيه المادية «فدك» و المعنوية، ما دامت الهدنة قائمة قبل أن يسبقهم إلى حرب أكل .

4- من المعقول بعد هذا أن يقف الخليفة موقفه التاريخي المعروف من الزهراء (عليها السلام) في قضية فدك، فهو موقف تلافى فيه الغرضان و تركز على الخطين الأساسيين لسياسته، لأن الدواعي التي بعثته لانتزاع فدك كانت تدعوه إلى الاستمرار على تلك الخطة ليسلب بذلك من خصمه الثروة التي كانت سلاحاً قوياً في عرف الحاكمين يومذاك و يعزز سلطانه، و إلا فما الذي كان يمنعه عن تسليم فدك للزهراء بعد أن أعطته الوعد القاطع بأن تصرف متوجاتها في سبيل الخير و وجوه المصلحة العامة؟ إلا أنه خاف منها أن تفسر وعدها بما يتفق مع صرفها لغلات فدك في المجالات السياسية، و ما الذي صده عن إرضاء فاطمة بالتنازل لها عن حصه و نصيب الصحابة إذا صح أن فدك للمسلمين سوى أنه أراد أن يقوى بها خلافته؟

و أيضاً فإننا إذا عرفنا أن الزهراء كانت سندا قوياً لقرينتها في دعوتها إلى نفسه و دليلاً يحتج به أنصار الإمام على أحقيته بالأمر نستوضح أن الخليفة كان موقفاً كل التوفيق في موقفه تجاه دعوى الزهراء للنحلة و جارياً على المنهج السياسي الذي كان يفرضه عليه الطرف الدقيق، إذ اعتمت الفرصة المناسبة لإفهام المسلمين بصورة لبقة و على أسلوب غير مباشر بأن فاطمة امرأة من النساء و لا يصح أن تؤخذ آراؤها و دعاويها دليلاً في مسألة بسيطة كهذه فضلاً عن موضوع الخلافة، و أنها إذا كانت تطلب أرضاً ليس لها بحق فمن الممكن أن تطلب لقرينتها المملكة الإسلامية كلها و ليس له فيها حق [للمزيد من التفصيل راجع فدك في التاريخ: 92.]

فدك بين النبي و الزهراء :

قال تعالى: (فأت ذا القربى حقه و المسكين و ابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله و أولئك هم المفلجون) [الروم (30): 38.] نلاحظ أن هذه الآية خطاب من الله عز و جل إلى نبيه محمد صلى الله عليه و آله يأمره أن يؤتى ذا القربى حقه، فمن هم ذوو القربى؟ و ما هو حقهم؟ و قد اتفق المفسرون أن ذوي القربى هم أقرباء الرسول و هم: علي و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهم السلام) فيكون المعنى: أعط ذوي قرباك حقهم .

جاء في الدر المنثور للسيوطي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: لما نزلت الآية (فأت ذا القربى حقه...)؛ دعا رسول الله (صلى الله عليه و آله) فاطمة الزهراء و أعطاهما فدكاً

[الدر المنثور: 4/ 177، و جاء مثله في كشف الغمة: 1/ 476، عن عطية، و رواه الحاكم النيسابوري في تاريخه.]

و ذكر ابن حجر العسقلاني في الصواعق المحرقة أن عمر قال: إنني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله خص نبيه في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره فقال: (و ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب ولكن الله يسلط...) فكانت هذه (يعنى: فدكاً) خالصة لرسول الله (صلى الله عليه و آله) .

و يستفاد من الروايات التاريخية أن فدكاً كانت بيد الزهراء و أنها كانت تصرف فيها، و يستدل على أن فدكاً كانت بيد آل الرسول من تصريح الإمام علي (عليه السلام) (في كتابه الذي أرسله إلى عثمان بن حنيف عامه على البصرة: «بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلت السماء فشححت عليها نفوس قوم و سخت عليها نفوس قوم آخرين، و نعم الحكم الله ...

[نهج البلاغة: الكتاب رقم 45.]

عبرت بعض الروايات أنه عندما استقر الأمر لأبي بكر انتزع فدكاً من فاطمة (عليها السلام)

[أراجع الصواعق المحرقة: 25.] و معنى هذا الكلام أن فدكاً كانت في يد فاطمة و تحت تصرفها من عهد أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله) فانتزعها أبو بكر منها .

و في رواية العلامة المجلسي: فلما دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) المدينة- بعد استيلائه على فدك- دخل على فاطمة (عليها السلام) فقال: «يا نبية إن الله قد آفأ على أبيك بفدك واختصه بها، فهي له خاصة دون المسلمين، أفعل بها ما أشاء و إنه قد كان لأمك خديجة على أبيك مهر، و إن أباك قد جعلها لك بذلك، و أنحلها لك و لولدك بعدك» قال: فدعا بأديم و دعا بعلي بن أبي طالب و قال له: «أكتب لفاطمة بفدك نحلته من رسول الله»، و شهد على ذلك على بن أبي طالب (عليه السلام) و مولى لرسول الله و ام أيمن [بحار الأنوار: 378 / 17].

اغتناب فدك :

لما توفي رسول الله (صلى الله عليه و آله) و استولى أبو بكر على الحكم و مضت عشرة أيام و استقام له الأمر؛ بعث إلى فدك من يخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله). و روى أن الزهراء أرسلت إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه و آله) أم أهله؟ قال: بل أهله، قالت: فما بال سهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: إنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: «إن الله أطعم نبيه طعمة» ثم قبضه و جعله للذي يقوم بعده فوليت أنا بعده أن أُرده إلى المسلمين . و روى عن عائشة أن فاطمة (عليها السلام) أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه و آله) و هي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله (صلى الله عليه و آله) بالمدينة و فدك و ما بقى من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: لا نورث، ما تركناه صدق، إنما يأكل آل محمد من هذا المال. و إنني- واللّه- لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و لأعملن فيها بما عمل رسول الله (صلى الله عليه و آله). فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً [شرح نهج البلاغة: 217 / 16].

و عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال عليّ لفاطمة (عليهما السلام): «إنطلقني فاطملي ميراثك من أبيك رسول الله (صلى الله عليه و آله) فجاءت إلى أبي بكر و قالت: لم تمنعني ميراثي من أبي رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟ و أخرجت وكيلي من فدك و قد جعلها لى رسول الله (صلى الله عليه و آله) بأمير الله تعالى؟» فقال: إن شاء الله إنك لا تقولين إلا حقاً ولكن هاتني على ذلك شهوداً، فجاءت أم أيمن و قالت له: لا أشهد- يا أبا بكر- حتى أحتج عليك بما قاله رسول الله (صلى الله عليه و آله)، أنشيدك باللّه ألسنت تعلم إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: «أم أيمن امرأة من أهل الجنة»؟ فقال: بلى، قالت: فاشهد أن الله عز و جل- أوصى إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) (فأت ذا القربى حقه) فجعل فدكاً لها طعمة بأمير الله، و جاء على (عليه السلام) فشهد بمثل ذلك، فكتب أبو بكر لها كتاباً و دفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال أبو بكر: إن فاطمة ادعت فدك و شهدت لها أم أيمن و على فكتبته لها، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتغل فيه و مزقه، فخرجت فاطمة تكي . و روى أن الإمام علياً (عليه السلام) جاء إلى أبي بكر و هو في المسجد فقال: «يا أبا بكر لم منع فاطمة ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه و آله) و قد ملكته في حياة رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟ فقال أبو بكر: هذا فيء المسلمين، فإن أقامت شهوداً أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) جعله لها، و إلا فلا حق لها فيه، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا أبا بكر أتجزم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين؟» قال: لا، قال (عليه السلام): «فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ثم ادعت أنا فيه، من تسأل البيعة؟» قال: إياك أسأل البيعة، قال (عليه السلام): «فما بال فاطمة سألتها البيعة على ما في يدها و قد ملكته في حياة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و بعدة، و لم تسأل المسلمين بيعة على ما ادعوا شهوداً كما سألتني على ما ادعت عليهم؟»... فسكت أبو بكر . فقال عمر: يا علي، دعنا من كلامك، فإننا لا نقوى على حجتك، فإن أتيت بشهود عدول، و إلا فهو فيء المسلمين لا حق لك و لا لفاطمة فيه .

فقال الإمام علي (عليه السلام): «يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟» قال: نعم، قال (عليه السلام): «أخبرني عن قوله عز و جل: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً) فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟» قال: بل فيكم، قال (عليه السلام): «فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله) (بفاحشة ما كنت تصنع بها؟»، قال: كنت أقيم عليها الحد كما أقيم على نبياء العالمين! قال علي (عليه السلام): «كنت إذن عند الله من الكافرين»، قال: و لم؟ قال (عليه السلام): «لأنك رددت شهادة الله بالطهارة و قيلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله و حكم رسوله أن جعل لها فدكاً و زعمت أنها فيء للمسلمين، و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): البيعة على من ادعى و اليمين على من أنكركم قدمم الناس، و أنكركم بعضهم بعضاً، و قالوا: صدق والله علي [الاحتجاج للطبرسي: 234 / 1، و كشف الغمة: 478 / 1، و شرح النهج لابن أبي الحديد: 16 / 274].

خطبه الزهراء في مسجد النبي :

حينما قررت السلطة أن تمنع فاطمة (عليها السلام) فدكاً و بلغها ذلك قررت الاعلان عن مظلوميتها بالذهاب إلى المسجد و إلقاء خطاب مهم في الناس، و سرى الخبر في المدينة أن بضعة النبي (صلى الله عليه و آله) و ريحانته تريد أن تخطب في الناس في مسجد أبيها (صلى الله عليه و آله) و هز الخبر أرجاء المدينة و احتشد الناس في المسجد ليسمعوا هذا الخطاب المهم . و روى لنا عبدالله بن الحسن عن أبيه (عليهم السلام) صورة من هذا الخطاب قائلاً: إنه لما أجمع أبو بكر و عمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً و بلغها ذلك، لآتت خمارها على رأسها، و اشتملت بجلبابها، و أقبلت في لمة من حفدتها و نساء قومها، تطأ ذبولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه و آله) ()

[أي: ما تنقص مشيتها مشية أبيها، كأنه هو.] حتى دخلت على أبي بكر و هو في حشد من المهاجرين و الأنصار و غيرهم، فبيطت دونها ملاءة [أي: ضرب بينها و بين القوم ستر و حجاب.]، فجلست ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم امهلت هنيئة حتى إذا سكن تشيخ القوم و هدأت فورتهم؛ افتتحت الكلام بحمد الله و الثناء عليه و الصلاة على رسوله (صلى الله عليه و آله) فعاد القوم في مكانهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها، فقالت (عليها السلام): «الحمد لله على ما أنعم، و له الشكر على ما ألهم، و الثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها، و سبوع الآء أسداها، و تمام مئة أولائها، جم عن الإحصاء عددها، و نأى عن الجزاء أمدها، و تفاوتت عن الإدراك أبدها، و تدبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، و استحمد إلى الخلائق بإجزائها، و ثنى بالنذب إلى أمثالها، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، و ضمن القلوب موصولها، و أثار في التفكر معقولها .

المتنع من الأبصار رؤيته، و من الألسن صفته، و من الأوهام كفيته، ابتدع الأشياء لا من شئ ء كان قبلها، و أنشأها بلا احتذاء أمثله امتثلها، كونها بقدرته، و ذراها بمشيتيه، من غير حاجة منه إلى تكوينها، و لا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتها لحكمته، و تنبيهها على طاعته، و إظهاراً لقدرته و تعديلاً لبريته و إعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، و وضع العقاب على معصيته، زيادةً [ذيادة: دفعاً] لعباده عن نعمته، و حياشه [جياشه: جمعاً و سوقاً] لهم إلى جنته .

و أشهد أن أبي محمداً عبده و رسوله اختاره قبل أن أرسله، و سماه قبل أن اجتياه، و اصطفاه قبل أن ابنته، إذ الخلائق بالغيب مكونة، و بستر الأهاويل مصونة، و بنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بمآيل الأمور، و إحاطةً بحوادث الدهور، و معرفةً بمواقع الأمور، ابنته الله إتماماً لأمره، و عزيمةً على إهتاء حكمه، و إنفاذاً لمقادير حتمه، فرأى الأمر فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكراً لله مع عرفانها . فأثار الله بأبي محمد (صلى الله عليه و آله) ظلمها، و كشف عن القلوب بهما [اليهم: معضلات الأمور و مشكلاتها]، و جلى عن الأبصار غمماها، و قام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، و بصّرهم من العمياء، و هداهم إلى الدين القويم، و دعاهم إلى الطريق المستقيم .

ثم قبضه الله إليه قبض رافةً و اختيار، و رغبة و إيتار، فمحمد (صلى الله عليه و آله) من تعب هذه الدار في راحة، فد حف بالملائكة الأبرار، و رضوان الرب الغفار، و مجاورة الملك الجبار، صلى الله عليه و آله، و أمينه، و خيرته من الخلق وصفيه، و السلام عليه و رحمة الله و بركاته .»

ثم التفتت إلى أهل المجلس و قالت: «أنتم عباد الله نصب أمره و نهيه، و حملة دينه و وحيه، و أمناء الله على أنفسكم، و بلغاؤه إلى الأمم، زعيم حق له فيكم، و عهد قدمه إليكم، و بقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، و القرآن الصادق، و النور الساطع، و الضياء اللامع، بينة بصائرته، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائداً إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، و عزائمه المفسرة، و محارمه المحذرة، و بيناته الجالية، و براهينه الكافية، و فضائله المندوبة، و رخصه المحووية، و شرائعه المكتوبة .

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، و الصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، و الزكاة ترقية للنفس، و نماءً في الرزق، و الصيام تثبيتاً للإخلاص، و الحج تشييداً للدين، و العدل: تنسيقاً للقلوب، و طاعتنا نظاماً للملّة، و إمامتنا أماناً للفرقة، و الجهاد عزّاً للإسلام، و الصبر معونة على استيجاب الأجر، و الأمر بالمعروف مصلحة للعامة، و برّ الوالدين وقاية من السخط، و صلة الأرحام منساة في العمر و نماءة للعدد، و القصاص حقناً للدماء، و الوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، و توفية المكاييل و الموازين تغييراً للبخس، و النهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، و اجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، و ترك السرقة إيجاباً للعفة، و حرم الله الشرك إحصاءً له بالربوبية . فاتقوا الله حق تقاته، و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون، و أطيعوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء .

ثم قالت: أيها الناس! اعلموا أنّي فاطمة و أبي محمد، أقول عوداً و بدواً، و لا أقول ما أقول غلطاً، و لا أفعل ما أفعل شططاً (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) [التوبة (9): 128]. فإن تعروه و تعرفوه تجدوه أبي دون نسانكم، و أخا ابن عمى دون رجالكم، و تليج المعزي [المعزي: المنتسب] إليه، فيلج الرسالة صادعاً بالندارة

[صادعاً: مبيئاً، و الندارة: الانذار]. مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثجهم [الثج: وسط الشئ ء و معظمه]. أخذاً باكظامهم [الكظام: مخرج النفس من الحق]. داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة و الموعدة الحسنة، يجف الأضنام و ينكت الهام، حتى انهزم الجمع و ولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، و أسفر الحق عن محضه، و نطق زعيم الدين، و خرس شقاشق الشياطين، و طاح و شيط

[الوشيط: الخسيس من الناس]. النفاق، و انحلت عقد الكفر و الشقاق، و فهمت [فهمت: تلفظتم]. بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص [الخماص: الجياح، و هنا اختياراً]. و كنتم على شفا حفرة من النار، مذقة [المذقة: اللبن الممزوج بالماء كناية عن سهولة شربه]. الشارب و نهزة [النهزة: الفرصة]. و الطامع، و قيسة العجلان، و موطن القدام تشربون الطرق

[الطرق: الماء الذي خوصته الإبل و بركت فيه] ، و تقتاتون القد [القد: قطعة جلد غير مدبوغ]. أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك و تعالى بمحمد (صلى الله عليه و آله)، بعد اللتيا و التي، و بعد أن منى بهمهم [اليهم: الشجعان الأقوياء]. الرجال و ذؤبان العرب، و مردة أهل الكتاب، كلّمأ أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله، أو نجم قرن الشيطان [نجم قرن الشيطان: طلع أتباعه]، أو فعزت فاعرة [الفاعرة: الطائفة]. من المبشرين كذب أخاه في الهواتها، فا ينكفي حتى يطأ جناحها بأخمصه

[الأخمص: باطن القدم]. و يخمد لهيها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجدداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، و أنتم في رهاية من العيش، و ادعون فاكهون آمنون، تترصون بنا الدوائر

[الدوائر: العواقب السيئة]. و تتوكفون الأخبار [تتوكفون الأخبار: تنتظرون أخبار السوء بناء]. و تنكصون عند النزال، و تفرون من القتال . فلما اختار الله لنبيه (صلى الله عليه و آله) دار أنبيائه و ماوى أصفياه ظهر فيكم حسكة [الحسكة: العداوة و الحقد]. النفاق، و سمل جليات الدين، و تطق كاظم [كاظم: ساكت]. الغاوين، و نبغ حامل الأقلين، و هدر فنيق [الهداير: تردد البعير صوته في حجرتة. والفنيق: الفحل المكرم من الأبل الذي لا يهان و لا يركب لكرامته على أهله]. المبطلين، فخطر في عرصاتكم، و اطلع الشيطان رأسه من مغرزه [مغرزه: مخبئه]. هاتفاً بكم فالفاكم

لدعوته مستجيبين، و للغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفاً، و أحشمكم [أحشمكم: أغضبكم]. فالفاكم غضاباً، فوسمتم غير إلكم، و وردتم غير مشربكم، هذا و العهد قريب، و الكلم رحيب، و الجرح لما بندمل، و الرسول لما يقير، إبتداراً [أبتدر القوم: تسابقوا في الأمر]. زعمتم خوف الفتنة (ألا في الفتنة سقطوا و إن جهنم لمحيطة بالكافرين) [التوبة (9): 49].

فهبهاً منكم، و كيف بكم، و أنى تؤفكون، و كتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، و أحكامه زاهرة، و أعلامه باهرة، و زواجره لايحة، و أوامره واضحة، و قد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟، (بنس للظالمين بدلاً) [الكهف (18): 50].

(و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين) [آل عمران (3): 85]. ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها [نفرتها: جزعها]. و يسلس

[يسلس: يسهل.] قيادها، ثم أخذتم تورون وقديتها، و تهيجون جمرتها، و تستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، و إطفاء أنوار الدين الجلي، و إهمال سنن النبي الصفي (صلى الله عليه و آله)، تشربون حسواً في ارتقاء الحسو: الشرب شيئاً بعد شيء. و الارتقاء: شرب الرغوة، و هي اللبن الممزوج بالماء، و جملة «حسواً في ارتقاء» مثل يضرب لمن يظهر أمراً و هو يريد غيره. [و تمتشون لأهله و ولده في الخمرة و الضراء [الخمر: ما وارك من شجر و غيره. و الضراء: الشجر الملتف في الوادي.] و نصير منكم على مثل حز المدى و وخز السنان في الحشا، و أنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، فحكم الجاهلية تبغون؟ و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون! أفلا تعلمون؟! بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أني ابنته، أيها

المسلمون أعلب على إرثي؟ ..
يأتني أبي جحافة أفي كتاب الله ترث أبك و لا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرباً! أفعلني عمي تركتم كتاب الله و نبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: (وورث سليمان داود)

[النمل (27): 16] و قال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: (فهب لي من لدنك ولياً- يرثني و يرث من آل يعقوب)
[مريم (19): 5- 6.] و قال: (و أولو الأجارم بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)
[الأنفال (8): 75.] و قال: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)
[النساء (4): 11.] و قال: (إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين)
[البقرة (2): 180 .]

و زعمتم أن لا حظوة لي و لا إرث من أبي و لا رحم بيننا، أفخصمك الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا و أبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومته من أبي و ابن عمي؟ .
قدونكها مخطومة مرحولة

[دونكها: أي خذها، و الخطام: الزمام، و الرجل للناقاة كالسرج للفرس. و المقصود: خذ فدكاً جاهزة مهينة.] تلافك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، و الزعيم محمد (صلى الله عليه و آله)، و الموعد القيامة، و عند الساعة يخسر المبطون، و لا ينعفكم إذ تندمون، ولكل نياً مستقر و سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحل عليه عذاب مقيم .»

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: «يا معشر النقيبةة
[النقيبة: الفتية.] و أعضاء الملة و حضنة الإسلام، ما هذا الغمير
[الغميرة: نقي في العقل أو العمل. و السنه: النعاس من غير نوم.] في حقي و السنته عن ظلماتي؟ أما كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) المرء يحفظ في ولده؟ سرعان ما أحدثتم، و عجالات ذا إهالة
[الإهالة: الودك و هو دسم اللحم، و جملة: «سرعان ذا إهالة» مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته.] ولكم طاقة بما أحول، و قوة على ما أطلب و أزاول، و أتقولون مات محمد (صلى الله عليه و آله)؟ فخطب جليل استوسع وهنه واستنهر
[استنهر: اتسع.] فتقه وانفتق رتقه

[انفتق رتقه: أي انشق المكان الملتئم منه.]، واطلمت الأرض لغيبته، و كسفت الشمس و القمر، و انتثرت النجوم لمصيبته، و أكدت الأمان، و خشعت الجبال، و أضيع الحريم، و أزيلت الحرمة عند ممانته، فتلك و الله النازلة الكبرى، و المصيبة العظمى، لامتلها نازلة، و لا بائقة

[البائقة: الداهية.] عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفئبتكم، و لقبه ما حل بأبياء الله و رسله حكم فصل، و قضاء حتم: (و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً و سيجزي الله الشاكرين)
[آل عمران (3): 144 .]

إيها بني قبيلة
[بنو قبيلة: هم الأنصار من الأوس و الخزرج.] أهضم ترث أبي؟ و أنتم بمرأك مني و مسمع، و منتدي
[المنتدي: النادى بمعنى المجلس.] و مجمع تلبسكم الدعوة، و تشملكم الحيرة، و أنتم ذوو العدد و العدة، و الأداة و القوة، و عندكم السلاح و الجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، و تأتيكم الصرخة فلا تبغيثون، و أنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير و الصلاح، و النخمة التي انتخبت، و الخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، فانتلمت العرب، و تجملتكم الكد و التعب، و ناطحتم الأمم و كافحتم البهيم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، و در حلب الأيام، و خضعت ثغرة الشرك، و سكنت فورة الإفك، و خمدت نيران الكفر، و هدأت دعوة الهرج، و استوسق نظام الدين، فأتي حرتم بعد البيان؟
[استوسق: احتمع و انتظم. و في الاحتجاج: «فأتي حرتم بعد البيان.»] و أسررتم بعد الإعلان؟ و نكصتم بعد الإقدام؟ و أشركتم بعد الإيمان؟

بؤساً لقوم نكنوا إيمانهم من بعد عهدهم، وهموا بإخراج الرسول، و هم بدأوكم أول مرؤ، أنخسونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين، ألا و قد أرى أن قد أخذتم إلى الخفض
[الخفض: السعة في العيش.] و أبعدمت من هو أحق باليسط و القبض، و خلوتم بالدعة
[الدعة: الراحة و السكون.] و نجوتم بالضيق من السعة، فمجتتم
[مجتتم: رميتم.] ما وعيتم، و دسعتم
[دسعتم: قياتم.] الذي تسوغتم
[تسوغتم: شربتم بسهولة.] فإن تكفروا أنتم و من في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد .
[إقتباس من سورة إبراهيم: 8 .]

ألا و قد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجدلة
[جدل: فرج.] التي خامرتكم
[خامرتكم: خالطتكم.] و الغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس
[فيضة النفس: إظهار المضمرة في النفس لاستيلاء الهم و غلبة الحزن.] و نفة الغيط، و خور الفناة
[كناية عن ضعف النفس.] و بنة الصدر
[بنة الصدر: إظهار ما فيه من الحزن.] و تقدمه الحجة، فدونكموها فاحتقوها
[احتقوها: إحمولها على ظهوركم.] دبرة

[الدبرة: قرحة إداية تحدث من الرجل و نحوه.] الظهر، نقيبة الخف
[نقيبة الخف: رتقه.] باقية العار، موسومة بغضب الجبار و شنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فعين الله ما تغفلون (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)
[الشعراء (26): 227.]، و أنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعلموا إتّ عاملون، و انتظروا إتّ منتظرون .»
و بعد هذا لجا أبوبكر إلى أسلوب التذليل و الاستغفال في محاولة منه لتدارك الموقف فقال: يا بنت رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً رؤوفاً رحيماً، على الكافرين عذاباً أليماً و عقاباً عظيماً، إن عزوانه
[عزوانه: نسيانه.] أبك دون النساء، و أخا إلك دون الأخلاء

[الأخلاء: مفردة الخليل و هو الصديق.] أثره على كل حميم، و ساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا سعيد، و لا يبغضكم إلا شقي بعيد، فأنتم عترة رسول الله الطيبون، الخيرة المنتجبون على الخير أدلتنا، و إلى الجنة مسالكنا .
و أنت يا خيرة النساء وابنة خير الأنبياء صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقلك، و لا مصدودة عن صيدك، والله ما عدوت رأي رسول الله (صلى الله عليه و آله) و لا عملت إلا بإذنه، و الرائد لا يكذب أهله، و إنني أشهد الله وكفي به شهيداً أتى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً و لا فضةً و لا داراً و لا عقاراً و إنما

نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، و ما كان لنا من طعمية فولوي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه» و قد جعلنا ما حاولته في الكراع

[الكراع:- بضم الكاف:- جماعة الخيل.] و السلاح يقاتل بها المسلمون و يجاهدون الكفار، و يجالدون [بجالدون: يضاربون.] المردة الفجار، و ذلك بإجماع من المسلمين
[قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: 221 / 16: أنه لم يرو حديث إنفاء الإرث إلا أبو بكر وحده. و له كلام في ذلك أيضا في ص 227 و 228 فراجع، و قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: 73 و أخرج أبو القاسم البغوي، و أبو بكر الشافعي في فوائده و ابن عساكر عن عائشة قالت: اختلفوا في ميراثه (صلى الله عليه و آله) فما وجدوا عند أحد من ذلك علما، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.]، لم انفرد

به وحدي، و لم أستبد بما كان الرأي عندي و هذه حالي و مالي، و هي لك و بين يديك، لا تزوي
[لا تزوي: لا تمنع.] عنك، و لا تدخر دوتك و إنك و أنت سيدة أمة أبيك، و الشجرة الطيبة لبنيك، لا تدفع مالك من فضلك، و لا يوضع في فرعك و أصلك، حكمك نافذ فيما ملكت بيدي، فهل ترى أن أخالف في ذلك أباك (صلى الله عليه و آله)؟
[فالت (عليها السلام): «سبحان الله ما كان أبي رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن كتاب الله صادقا
[صادقا: معرضا.] و لا لأحكامه مخالفا! بل كان يتبع أثره، و يقفو سورة، أنتجمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور، و هذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل

[الغوائل: المهالك.] في حياته، هذا كتاب الله حكما عدلا، و ناطقا فضلا يقول: (يرثني و يرث من آل يعقوب)
[مريم (19): 6.] و يقول: (وورث سليمان داود)

[النمل (27): 16] و بين عز و جل فيما وزع من الأفساط، و شرع من الفرائض و الميراث، و أياح من حظ الذكران و الإناث من أزاح به علة المبطلين، و أزال التنظي و الشبهات في الغابرين، كلا بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون .»

فقال أبو بكر: صدق الله و رسوله، و صدقت انبته، أنت معدن الحكمة، و موطن الهدى و الرحمة، و ركن الدين، و عين الحجة، لا أبعد صوابك، و لا انكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني و بينك، فلدوني ما تقلدت، و باتفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر و لا مستبدي و لا مستأثر و هم بذلك شهود .

و هذه أولى محاولة لأبي بكر استطاع فيها من إخماد عواطف المسلمين و حرف رأيهم عن مناصرة الزهراء (عليها السلام) من خلال التاضيل و التظاهر

بالصلاح و اتباع سنة النبي (صلى الله عليه و آله) .

ثم التفتت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس و ل قالت: «معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية
[المغضية: غض طرفه أي أطبقه، و المغضية أي المطبقة.] على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟
كلا بل ران علي قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم. فأخذ بسمعكم و أبصاركم و لبئس ما تأولتم، و ساء ما به أشرتكم، و شر ما منه اغتصمتم، لتجدن و الله محمله ثقيلًا، و غبه

[غبه: عاقبته.] وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء و بان ما وراءه

[أي: ظهر لكم الشيء الذي وراء الشدة.] الضراء، و بدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون (و خسر هنالك المبطلون)
[عافر (40): 78 .]

ثم عطفت علي قبر النبي (صلى الله عليه و آله) و قالت :

قد كان بعدك أبناء و هنيئة
[الهنيئة: الأمر الشديد .]

• لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب و اختل قومك فاشهدهم و لا تعب عند الإله على الأذنين مقرب ل ما مضيت و حالت دونك التراب لما فقدت و كل الأرض معتصب عليك ينزل من ذي العزة الكتب فقد فقدت و كل الخير محتجب فليت قبلك كان الموت صادقا

• إنا فقدناك فقد الأرض وابلها و كل أهل له قربي و منزلة أهدت رجالنا لنا نجوى صدورهم تجهمتنا رجالا و استخف بنا و كنت بدرأ و نورأ يستضاء به و كان جبريل بالآيات يؤنسنا فليت قبلك كان الموت صادقا فليت قبلك كان الموت صادقا
[الاحتجاج: 1 / 253 - 279 طبعة منظمة الأوقاف (انتشارات أسوة .)] .

أنهت الزهراء خطابها و قد أوضحت فيه الحق بأجلى صورة، و استجوت الخليفة و فضحت مخططاته بالأدلة و البراهين الساطعة المحكمة،

و ذكرت فضائل الخليفة الحقيقي في الإسلام و كمالاته المطلوبة، فتوتر الجو و انساق الرأي العام لصالح الزهراء (عليها السلام) و جعلت أبا بكر في زاوية حرجة و أمام طريق مسدود .

قال ابن أبي الحديد: سألت ابن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد، و قلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدكا و هي عنده صادقة؟ فتبسم ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا: لو أعطاهها اليوم فدكا لمجرد دعاؤها؛ ل جاءت إليه غدا و ادعت لزوجها الخلافة و زحزحته عن مقامه و لم يمكن الاعتذار و الموافقة، لأنه يكون قد سجل على نفسه أنها صادقة فيما تدعي كائنا ما كان من غير حاجة إلى بينة و شهود .

[شرح ابن أبي الحديد: 16 / 284 .]

رد فعل الخليفة على خطاب الزهراء :

اضطرب المجلس و تفرق الناس و ارتفعت الضجة و أصبحت خطبة الزهراء (عليها السلام) (حديث الناس فلجا أبو بكر إلى التهديد و الوعيد .

و روى أن أبا بكر لما شاهد أثر خطاب الزهراء على الناس قال لعمر، تربت يدك ما كان عليك لو تركتني، فربما مات الخرق و رقت الفتق، ألم يكن ذلك بنا أحق؟ فقال الرجل: قد كان في ذلك تضعيف سلطانك و توهين كافتك و ما أشققت إلا عليك. قال: ويلك ! فكيف بابنة محمد، و قد علم الناس ما تدعو اليه و ما نحن من الغدر عليه؟ فقال: هل هي إلا غمرة انجلت و ساعة انقضت؟ و كأن ما قد كان لم يكن. فضرب بيده على كتف عمر و قال: رب كربة فرجتها يا عمر، ثم نادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر و قال :

أيها الناس، ما هذه الرعة إلى كل قالة؟ أين كانت هذه الأمانى في عهد رسول الله؟ ألا من سمع فليقل و من شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة شهيد ذنبه، مرب لكل فتنة هو الذي يقول: كروها جذعة بعد ما هرمت يستعينون بالضعف و يستنصرون بالنساء، كأم طحال أحب أهلها إليها البغي، ألا إنني لو أشاء لقلت، و لو قلت لبحت، و إنني ساكت ما تركت .

ثم التفت إلى الأنصار فقال: يا معشر الأنصار قد بلغني مقالة سفهاتكم و أحق من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فأوتيم و نصرتم، ألا إنني لست باسطا يدا ولسانا على من لم يستحق منا ذلك، ثم نزل

[دلائل الإمامة، للطبري: ص 39 .]

قال ابن أبي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن أبي يحيى بن أبي زيد البصري و قلت له: بمن يعترض؟ فقال: بل يصرح، قلت: لو صرح لم أسألك، فضحك و قال: لعلى بن أبي طالب، قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بقول علي، فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم .
[شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 215 / 16].

دفاع أم سلمة عن حقّ الزهراء :

بعد خطبة الزهراء (عليها السلام) في المسجد و كلام أبي بكر قالت أم سلمة (رض) (حين ما سمعت ما جرى لفاطمة (عليها السلام): المثل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقال هذا القول؟ هي والله الحوراء بين الإنس، و النفس للنفس، ربيت في حجور الأتقياء، و تناولتها أيدي الملائكة، و نمت في حجور الطاهرت، و نشأت خيرة نشأة، و ربيت خير مربى، أتزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) حرم عليها ميراثه و لم يعلمها؟ و قد قال الله تعالى: (و أئذ عشيرتك الأقربين) أفأنزرها و خالفت مطلبه؟ و هي خيرة النسوان و أم سادة الشبان، و عديلة مريم، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر و القر، و يوسدها يمينه و يلحفها بشماله، و رويداً و رسول الله (صلى الله عليه و آله) بمرآى منكم، و على الله تردون واهأ لكم، فسوف تعلمون .
[دلائل الإمامة للطبري: 39].

شكواها إلى الإمام عليّ :

بعد ما أنهت الزهراء كلامها مع القوم بكت عند قبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى ابتل بدموعها، ثم انكأفت (عليها السلام) راجعة إلى الدار و أميرالمؤمنين عليه السلام) يتوقع رجوعها إليه و يتطلع طلوعها عليه، فلما استقرت بها الدار قالت لأيمرالمؤمنين (عليه السلام): «يا بن أبي طالب اشتملت شملة الجنين، و فعدت حجرة الطنين، نقضت فادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي فحافه بيتنزي نحلة أبي، و بلغة ابني، لقد أجهر في خصامي، و ألفيته الألد في كلامي حتى حيسنتي قبلة نصرها، و المهاجرة وصلها، و عضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع و لا مانع، خرجت كاظمة و عدت راعمة، أضرت خدك يوم أضعت خدك، افترسيت الذئاب، و افترشيت التراب، ما كفت فأنالاً، و لا أغنيت باطلاً، و لا خيار لي ليتني مت قبل هيبتي و دون ذلتي، عذيري الله منك عادياً و منك حامياً، و بلاي في كل شارق مات العمد و وهن العصد شكواي إلى أبي وعدواي إلى ربي، اللهم أنت أشد قوةً و حولاً، و أحد بأساً و تنكيلاً .
فقال أميرالمؤمنين (عليه السلام): «لا ويل عليّك، الويل لشانك، نهنهي عن وجدك يا بنت الصفة و بقية النبوة، فما ونيت عن ديني، و لا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدن البلغة فرزقك مضمون، و كفيك مأمون، و ما أعد لك خير مما قطع عنك، فاحتسبي الله»، فقالت (عليها السلام): «حسبي الله» و سكتت .

إعلان المقاطعة :

لم تتوقف الزهراء عند خطبتها، فقد استمرت في جهادها و اختارت الاعتصام عن الكلام مع أبي بكر هذه المرة، فأعلنت رسمياً أمام الملا: «والله لا أكلمك بكلمة ما حبيت» [كشف الغمة: 477 / 1].
و لم تكن فاطمة (عليها السلام) من سواد الناس، بحيث لو قاطعت الخليفة لم تؤثر عليه، و لم يكن الأمر غير ذي بال، ففاطمة عزيزة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و حبيته، و لم يخف اهتمامه (صلى الله عليه و آله) بها و حبه لها على أحد، و هي التي قال فيها :
«فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني .»
و انتشر الخبر رويداً رويداً: إن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله) ساخطة على أبي بكر و لم تكلمه، و سمع بذلك القاضي و الداني من داخل المدينة و خارجها فتساءل الناس، و ازدادوا نفوراً من الخليفة يوماً بعد يوم، و رغم محاولات الخليفة إعادة المياه إلى مجاريها و المصالحة مع الزهراء إلا أنها (عليها السلام) استمرت في جهادها و بقيت على صمودها حتى مضت إلى ربها شهيدة مظلومة .

المعنى الرمزي والسياسي لفدك :

إن الحركة التصحيحية التي قام بها الإمام علي و الزهراء (عليهما السلام) لإعادة الخلافة الإسلامية عن جادة الانحراف اكتسبت ألواناً و صيغاً متعددة، و تزعمت الزهراء الجبهة السياسية العلنية، و تنوعت أساليب المطالبة بحق خلافة الإمام علي (عليه السلام)، و منها المطالبة بفدك، و حتى هذه المطالبة تلونت بعدة ألوان .
و الباحث الموضوعي في دراسة خطوات الصراع و تطوراتها و الأشكال التي اتخذها لا يرى أن المسألة مسألة مطالبة بأرض، بل يتجلى له منها مفهوم أوسع من ذلك بنطوي على غرض طموح يبعث إلى الثورة، و يهدف إلى استرداد حق مغتصب و مجد عظيم، و تصحيح مسيرة أمة انقلبت على أعقابها، و قد أحس الحزب الحاكم بذلك، فتراه قد بذل قصارى جهده في التحدي و الثبات على موقفه .
و لو فحصنا أي نص من النصوص التاريخية المتعلقة بفدك فلا نجد فيها نزاعاً مادياً أو اختلافاً حول فدك بمعناها الضيق و واقعها المحدود، بل هي الثورة على أساس الحكم المنحرف و الصرخة التي أرادت لها الزهراء (عليها السلام) أن تصل إلى كل الأفاق، لتقتلع بها الحجر الأساسي الذي بني يوم السقيفة .
و يكفينا لإثبات ذلك أن لنقي نظرة فاحصة على خطبة الزهراء في المسجد أمام الخليفة و بين حشود المهاجرين و الأنصار، فإنها تناولت في أغلب جوانبها امتداح الإمام علي (عليه السلام) و الثناء على مواقفه الجهادية الخالصة لخدمة الإسلام، و تسجيل الحق

الشرعي لأهل البيت (عليهم السلام) الذين وصفتهم بأنهم الوسيلة إلى الله في خلقه و خاصته و محلّ قدسه و حجّته، و وراثته أنبيائه في الخلافة والحكم .

و حاولت الزهراء (عليها السلام) أن تنبه المسلمين إلى غفلتهم و سوء اختيارهم المرتجل و المتسرع و انقلابهم على أعقابهم بعد هدايتهم، و وردهم غير شربهم الصافي الذي كان يروي ظمأهم، و إسنادهم أمرهم إلى غير أهله، و الفتنة التي سقطوا فيها، و الدوافع التي دفعتهم إلى ترك كتاب الله و مخالفتهم فيما يحكم به في مسألة الخلافة و الإمامة .

فالمسألة إذن ليست مسألة تقسيم ميراث أو قبض نحلة إلا بالمقدار الذي يتصل بموضوع الهدف الأعلى، و ليست مطالبة بعقار أو دار، بل هي في نظر الزهراء قضية إسلام و كفر، و قضية إيمان و نفاق، و مسألة نص و شورى .

كذلك نجد هذا النفس السياسي الرفيع و الواضح في حديثها مع نساء المهاجرين و الأنصار حين زيارتهن لها، فقد أوضحت لهن أنّ أمر الخلافة انحراف عن مساره الشرعي بإقرار الحزب الحاكم على مسند الحكم، و لم تكن ردة فعل عاطفية و أحقاد مكنونة وجدت لها متنفساً، ولو أنهم وضعوا الأمر حيث أمر الله و رسوله و أعطوا زمام القيادة للإمام (عليه السلام)؛ لبلغوا رضا الله و سعادة الدنيا و الآخرة .

و أكبر الظنّ أن الصديقة الزهراء (عليها السلام) كانت تجد في شيعة الإمام (عليه السلام) و صفوة أصحابه الذين لم يكونوا يشكّون في صدقها أبداً من يؤيد بشهادته على شهادة الإمام علي (عليه السلام) و تكتمل البيعة التي طالب بها الخليفة لإثبات أن فدك للزهراء (عليها السلام) .

إن هذا خبر دليل على أن الهدف الأعلى للزهراء الذي كانوا يعرفونه جيداً ليس هو إثبات النحلة أو الميراث، بل القضاء على نتائج السقيفة، و هذا لا يحصل بإقامة البيعة في موضوع فدك، لأن الأمر سينحصر عند ذلك بقضية محدودة، بل بأن تقدم البيعة لدى الناس جميعاً على أنهم ضلوا و انحرفوا عن سواء السبيل، عسى أن يرتد إليهم رشدهم و يحسن اختيارهم و يصححوا مسيرتهم .

و تعلم أيضاً مقدار تخوف السلطة الحاكمة و إصرارها على موقفها و محاولتها الاستمرار في تضليل الجماهير حين نسمع رد الخليفة بعد أن انتهت الزهراء (عليها السلام) من خطبتها و خرجت من المسجد، و هذا يلقي الضوء على أساس منازعة الزهراء له، فإنه فهم أن احتجاج الزهراء لم يكن حول الميراث أو النحلة، و إنما كان حرباً سياسية و تظلماً لحق الإمام علي (عليه السلام) و إظهاراً لدوره العظيم في وجوده في الأمة، و الذي شاء الخليفة و أصحابه أن يبعده عن المقام الطبيعي له في دنيا الإسلام .

فوجد أن الخليفة هجم في رده على الإمام علي (عليه السلام) فوصفه بأنه ثغالة و أنه مرب لكل فتنة و أن فاطمة ذنبه التابع له، و لم يتطرق في رده على موضوع الميراث أو النحلة قليلاً أو كثيراً .

و إذا عرفنا أن الزهراء نازعت الخليفة في أمر الميراث بعد اغتصابه لفدك، لأن الناس لم يعتادوا أن يستأذنوا الخليفة في قبض موارثهم أو في تسليم الموارث إلى أهلها، فكانت تجرى معاملاتهم بينهم بيسر دون تكلف، فلم تكن فاطمة (عليها السلام) في حاجة إلى مراجعة الخليفة، و لم تكن لتأخذ رأيه و هو الظالم المنتزعي على الحكم في رأيها، فالمطالبة بالميراث لا بد أنها كانت ذات صدى لما قام به الخليفة من تعدى على حق الزهراء في التركة و الاستيلاء عليها .

و إذا عرفنا أيضاً أن الزهراء لم تطالب بحقوقها قبل أن تغتصب منها تجلّى بوضوح لدينا أن ظروف المطالبة كانت مشجعه كل التشجيع للمعارضين على أن يفتنوا مسألة الميراث مادة خصبة للانطلاق منها لمقاومة الخليفة غير الشرعي بأسلوب سلمى كانت تفرضه المصالح العليا للإسلام يومئذ، و من الممكن إتهامه بالغضب و التلاعب بقواعد الشريعة و الاستخفاف بكرامة القانون .

خيارات الإمام على تجاه الوضع الجديد :

إن الأحداث المتسارعة و المواقف المنحرفة و ظهور أطراف عديدة تعد للإسلام المكائد و تطرق أبواب الفتن و غياب الوعي الرسالي و الحرص على سلامة العقيدة أملت على الإمام علي (عليه السلام) أن يقف عند مفترق طرق ثلاثة، كل منها حرج :

الأول: أن يبايع أبابكر دون ممانعة، و يكون حاله مثل بقية المسلمين، بل يحظى بمكانة مرموقة لدى السلطة الجديدة و يحافظ على وجوده و كيانه و منفعه من دون إهتمام بمسيرة الدعوة الإسلامية، و هذا غير ممكن، لأنه يعني إمضاءه لبيعة مخالفة لأوامر رسول الله (صلى الله عليه و آله .)

الثاني: أن يسكت و في العين فدى و في الحق شجى، و يحاول أن يجد مسلماً معتدلاً وسط التناقضات التي ستحصل من جراء حكومة غير مؤهلة، ليحافظ على كيان الإسلام و بصون العقيدة الإسلامية من الإنهيار التام .

الثالث: أن يعيى الجماهير و يعدهم لإعلان الثورة المسلحة على خلافة أبي بكر .

قرار المواجهة السلمية و دور الزهراء (عليها السلام) :

انتهى الإمام إلى قرار حاسم و هو ترك الثورة و عدم التسلح بالصوص في وجه الحاكمين جهاراً و علانية إلا إذا اطمأن إلى قدرته على تجنيد الرأي العام

ضد أبي بكر و صاحبيه، و هذا ما أخذ يحاوله على في محنته آنذاك، فبدأ يطوف

أراجع شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: 6 / 13، الطبعة المحققة، أخرج عن أبي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام) أن علياً حمل فاطمة على حمار و سار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصر، و تسألهم فاطمة الانتصار له. [سرأ على زعماء المسلمين و رجالات المدينة، يعظهم و يذكرهم ببراهين الحق و آياته، و إلى جانبه قرينته تعزز موقفه و تشاركه في جهاده السري، و لم يكن يقصد بذلك التطواف إنشاء حزب يتهدى له القتال به، لأننا السري، و لم يكن يقصد بذلك التطواف إنشاء حزب يتهدى له القتال به، لأننا نعرف أن علياً كان له حزب من الأنصار هتف باسمه، و حاول الالتفاف حوله، و إنما أراد أن يمهّد بتلك المقابلات لإجماع الناس عليه .

و هنا تجيء مسألة فدك لتحتل الصدارة في السياسة العلوية الجديدة، فإنّ الدور الفاطمي الذي رسمه هارون النبوة خطوطه بإتقان كان متفقاً مع ذلك التطواف الليلي في فلسفته و جذراً بأن يقلب الموقف على الخليفة و ينهي خلافة الصديق كما تنهي القصة التمثيلية، لا كما يقوض حكم مركز على القوة و العدة .

و كان الدور الفاطمي يتلخص في أن تطالب الصديقة الزهراء (عليها السلام) أبابكر بما انتزعه منها من أموال، و تجعل هذه المطالبة وسيلةً للمناقشة في المسألة الأساسية و هي مسألة الخلافة، و إفهام الناس بأن اللحظة التي عدلوا فيها عن علي (عليه السلام) إلى أبي بكر لحظة هوس و شذوذ

[راجع بلاغات النساء: 23، قالت في هذا المعنى من خطبة لها (عليها السلام): «و أطلع رأسه من مغرزه، فوجدكم لدعائه مستجيبين، و للفرّة فيه ملاحظين، فاستهضكم فوجدكم خفافاً... فوسمتم غير إيلكم».]، و أنهم بذلك أخطأوا و خالفوا كتاب ربهم و وردوا غير شربهم .

[جاء في شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: 6 / 12: قال علي (عليه السلام) في محاوره مع القوم: «يا معشر المهاجرين الله الله، لا تخرجوا سلطان محمد عين داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم، و لا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم [...]» .

و لما اختمرت الفكرة في ذهن فاطمة، اندفعت لتصح أوضاع الساعة،

و تسمع عن الحكم الإسلامي- الذي وضعت قاعدته الأولى في السقيفة- الوحل الذي تلطخ به، عن طريق اتهام الخليفة الحاكم بالخيانة السافرة والعبث بكرامة القانون، و اتهام نتائج المعركة الانتخابية التي خرج منها أبو بكر خليفة بمخالفة الكتاب و الصواب . [أراجع الصواعق المحرقة: 36، طبعة مكتب ء القاهرة، قال الخليفة الثاني: « كانت بيعة أبي بكر فلتة وقي الله شرها فمن عاد لمثلها فاقبلوه...» و راجع أيضاً تاريخ الخلفاء: 67] .

و قد توفرت في المقابلة الفاطمية ناحيتان لاتتهيأتان للإمام فيما لو وقف موقف قريبته : إحداهما: إن الزهراء أقد من بظروف فجيعتها الخاصة و مكانتها من أبيها، على استثارة العواطف، و إيصال المسلمين بسلك من كهرماء الروح بأبيها العظيم صلوات الله عليه و أيامه الغراء، و تجنيد مشاعرهم لقضايا أهل البيت . و الأخرى: إنها مهما اتخذ لمنازعتها من أشكال فلن تكتسب لون الحرب المسلحة التي تتطلب زعيماً يهيمن عليها ما دامت امرأة، و ما دام هارون النبوة في بيته محتفظاً بالهدنة التي أعلنها حتى تجتمع الناس عليه، و مراقباً للموقف ليتدخل فيه متى شاء، متزعماً للثورة إذا بلغت حدها الأعلى أو مهدئاً للفتنة إذا لم يتهيأ له الطرف الذي يريده، فالجوراء فاطمة (عليها السلام) بمقاومتها إما أن تحقق انتقاصاً إجماعياً على الخليفة، و إما أن لا تخرج عن دائرة الجدال و النزاع و لا تجر إلى فتنة و انشقاق . إذن فقد أراد الإمام صلوات الله عليه أن يسمع الناس يومئذ صوته من فم الزهراء، و يبقى هو بعيداً عن ميدان المعركة ينتظر اللحظة المناسبة للاستفادة منها، و الفرصة التي تجعل منه رجل الموقف، و أراد أيضاً أن يقدم لأمة القرآن كلها في المقابلة الفاطمية برهاناً على بطلان الخلافة القائمة، و قد تم للإمام ما أراد حيث عبرت الزهراء صلوات الله عليها عن الحق العلوي تعبيراً واضحاً فيه ألوان من الجمال و النضال . و تلخص المعارضة الفاطمية في عدة مظاهر :

الأول: إرسالها من ينازع أبابكر في مسائل الميراث و يطالب بحقوقها [شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: 16 / 218- 219 عن أبي الطفيل قال: «أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه و آله) أم أهله؟ قال: بل أهله...»] . و هذه هي الخطوة الأولى التي انتهجتها الزهراء صلوات الله عليها تمهيداً لمباشرتها للعمل بنفسها .

الثاني: مواجهتها بنفسها له في اجتماع خاص [المصدر نفسه: 16 / 230] . و قد أرادت بتلك المقابلة أن تشدد في طلب حقوقها من الخمس و فدك و غيرهما، لتعرف مدى استعداد الخليفة للمقاومة .

الثالث: خطبتها في المسجد بعد عشرة أيام من وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) (كما في شرح النهج . [المصدر نفسه: 16 / 211 أخرج عن جماعة قال: «قالوا: لما بلغ فاطمة (عليها السلام) إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها و أقبلت في لمة من حفدتها و نساء قومها... حتى دخلت على أبي بكر و قد حشد الناس من المهاجرين و الأنصار...»] . الرابع: حديثها مع أبي بكر و عمر حينما زارها بقصد الاعتذار منها، و إعلانها غضبها عليهما، و أنهما أغضبا الله و رسوله (صلى الله عليه و آله) بذلك .

[راجع: الإمامة و السياسة/ ابن قتيبة: 31 و شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: 16 / 264. و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني»، أعلام النساء: 4 / 123 و كنز العمال: 12 / الحديث 34222 .] الخامس: خطابها الذي ألقته على نساء المهاجرين و الأنصار حين اجتماعهن عندها

[شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: 16 / 233] . السادس: وصيتها بأن لا يحضر تجهيزها و دفنها أحد من خصومها [المصدر نفسه: 6 / 281] . و كانت هذه الوصية الإعلان الأخير من الزهراء عن نقيتها على الخلافة القائمة . و قد انحسرت الحركة الفاطمية بمعنى و نجحت بمعنى آخر، انحسرت لأنها لم تطح بحكومة الخليفة في زحفها الأخير الخطير الذي قامت به في اليوم العاشر من وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) .

و لا نستطيع أن نتبين الأمور التي جعلت الزهراء تخسر المعركة، غير أن الأمر الذي لا ريب فيه أن شخصية الخليفة من أهم الأسباب التي أدت إلى فشلها، لأنه من أصحاب المواهب السياسية، و قد عالج الموقف بلباقة ملحوظة نجد لها مثلاً، فيما أجاب به الزهراء من كلام وجهه إلى الأنصار في خطاب بعد انتهائهما من خطبتها في المسجد .

فبينما هو يذوب رقة في جوابه للزهراء و إذا به يطوي نفسه على نار متأججة تندلع بعد خروج فاطمة من المسجد، في أكبر الظن، فيقول: ما هذه الرعة إلى كل قالة إنما هو نعاله شهيدته ذنبه [أراجع الخطبة في شرح نهج البلاغة: 16 / 214- 215] . و قد نقلنا الخطاب كاملاً فيما سبق- فإن هذا الانقلاب من اللين و الهدوء إلى الغضب الفائز يدلنا على مقدار ما أوتى من سيطرة على مشاعره و قدرته على مسابرة الظروف و تمثيل الدور المناسب في كل حين .

و نجحت معارضة الزهراء لأنها جهزت الحق بقوة قاهرة، و أضافت إلى طاقته على الخلود في ميدان النضال المذهبي طاقة جديدة، و قد سجلت هذا النجاح في حركتها كلها و في محاورتها مع الصديق و الفاروق عند زيارتهما لها بصورة خاصة، إذ قالت لهما: أرأيتمكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) (تعرفانه و تفعلان به؟ فقالا: نعم، فقالت: «نشدتكما الله، ألم تسمعنا من رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: «رضا فاطمة من رضي، و سخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة فقد أحبني، و من أرى فاطمة فقد أرى رضائي، و من أسخط فاطمة فقد أسخطني» [صححت عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) عباثر متعددة بهذا المعنى فقد جاء عنه في الصحيح أنه قال لفاطمة (رضي الله عنها): «إن الله يغضب لغضبك، و يرضى لرضاك...» و قال: «فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها و يؤذيني ما أذاها». [راجع: صحيح مسلم: 4 / 1902 حديث رقم: 93 / 2449 طبعة دار إحياء التراث، مستدرك الحاكم: 1583 /، ذخائر العقبى: 47، مسند الإمام أحمد بن حنبل: 4 / 323 و 332، جامع الترمذي: 6995 /، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الصواعق المحرقة/ ابن حجر: 190- طبعة القاهرة، كفاية الطالب: 365، دار إحياء تراث أهل البيت- طهران] .

قالا: نعم سمعنا من رسول الله (صلى الله عليه و آله)، قالت: «فإنني أشهد الله و ملائكته أنكما أسخطتماني و ما أرضيتماني و لنن لقيت النبي (صلى الله عليه و آله) لأشكونكما عنده» [تجد غضب فاطمة (عليها السلام) على أبي بكر في صحيح البخاري: 5 / 5 و صحيح مسلم 72 / 2 و مسند الإمام أحمد: 1 / 6، تاريخ الطبري: 4 / 27، كفاية الطالب: 266، سنن البيهقي: 6 / 300] .

و يصور لنا هذا الحديث مدى اهتمامها بتركيز الاعتراض علي خصمها و مجاهرتهما بغضبها و نقيتها، لتخرج من المنازعة بنتيجة هي الفوز المؤكد في حساب العقيدة والدين، و أعني بها أن الصديق قد استحق غضب الله و رسوله (صلى الله عليه و آله) بإغضابها، و أذاها بما أذاها لأنهما يغضبان لغضبها و يسخطان لسخطها بنص الحديث النبوي الصحيح، فلا يجوز أن يكون خليفة لله و رسوله

أراجع فدك في التاريخ: 112- 119] . و قد قال الله تبارك و تعالى :

(... و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله و لا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً)

[الأحزاب (33): 53] .

(إن الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا و الآخرة و أعد لهم عذاباً مهيباً .)

[الأحزاب (33): 57] .

(و الذين يؤذون رسول الله لهم عذابٌ أليمٌ)

[التوبة (9): 61] .

(يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم)

[المتحنة (60): 13] .

الهجوم على دار الزهراء :

رفض الإمام علي (عليه السلام) البيعة لأبي بكر، وأعلن سخطه على النظام الحاكم، ليتضح للعالم أنّ هذه الحكومة التي أعرض عنها الرجل الأول في الإسلام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا تمثل الخلافة الواقعية لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكذلك فعلت الزهراء فاطمة (عليها السلام) ليعلم الناس أن ابنة نبيهم ساخطة عليهم وهي تدينها فلا شرعية لهذا الحكم .
وبدأ الإمام علي (عليه السلام) من جانب آخر جهاداً سلبياً ضد الغاصبين للحق الشرعي، ووقف مع الإمام علي (عليه السلام) عدد من أجلة الصحابة من المهاجرين والأنصار وخيارهم وممن أشاد النبي (صلى الله عليه وآله) بفضلهم مع إدراكهم لحقائق الأمور مثل: العباس بن عبدالمطلب، وعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الغارسي، والمقداد بن الأسود، وخزيمة ذي الشهادتين، وعادة بن الصامت، وحذيفة بن اليمان، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم، من الذين لم تستطع أن تسيطر عليهم الغوغائية، ولم ترهبهم تهديدات الجماعة التي مسكت بزمام الخلافة وفي مقدمتهم عمر ابن الخطاب .

وقد قام عدد من الصحابة المعارضين لبيعة أبي بكر بالاحتجاج عليه، وجرت عدة محاورت عليه في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) وفي أماكن عديدة، ولم يهابوا من إرهاب السلطة مما ألهم مشاعر الكثيرين الذين أنجرفوا مع التيار، فعاد إلى بعضهم رشده وندموا على ما ظهر منهم من تسرعهم واندفاعهم لعقد البيعة بصورة ارتجالية لأبي بكر، بالإضافة إلى ما ظهر منهم من العداء للسافر تجاه أهل بيت النبوة .

وكانت هناك بعض العشائر المؤمنة المحيطة بالمدينة مثل: أسد، وفرارة، و بني حنيفة وغيرهم، ممن شاهدوا بيعة يوم الغدير «غدير خم» التي عقدها النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) بإمرة المؤمنين من بعده، ولم يطل بهم المقام حتى سمعوا بالتحاق النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الرفيق الأعلى والبيعة لأبي بكر وتربعت على منصة الخلافة، فاندثسوا لهذا الحادث ورفضوا البيعة لأبي بكر

[تاريخ الامم والملوك، للطبري: 4/ 61 ط. دارالفكر.] جملةً وتفصيلاً، وامتنعوا عن أداء الزكاة للحكومة الجديدة باعتبارها غير شرعية، حتى ينجلي ضباب الموقف، وكانوا على إسلامهم يقيمون الصلاة ويؤدون جميع الشعائر .

ولكن السلطة الحاكمة رأت أن من مصلحةها أن تجعل حداً لمثل هؤلاء الذين يشككون خطراً للحكم القائم، ما دامت معارضة الإمام علي (عليه السلام) وصاحبه تمثل خطراً داخلياً للدولة الإسلامية، عند ذلك أحسن أبو بكر وأنصاره بالخطر المحيط بهم وبحكمهم من خلال تصاعد المعارضة إن لم يبادروا فوراً إلى إيقاف هذا التيار المعارض، وذلك بإجبار رأس المعارضة (علي بن أبي طالب (عليه السلام)) على بيعة أبي بكر .
ذكر بعض المؤرخين

[الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 29-30]: أن عمر بن الخطاب أتى أبي بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ يا هذا لم تصنع شيئاً ما لم يبايعك علي! فابعت إليه حتى يبايعك، فبعث أبو بكر فنفاذاً، فقال فنفاذاً لأمير المؤمنين (عليه السلام): أحب خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما لم يبايعك علي! قال علي (عليه السلام): «لأسرع ما كذبت علي رسول الله (صلى الله عليه وآله)» فرجع فأبلغ الرسالة فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر ثانية: لا تمهل هذا المتخلف عندك بالبيعة، فقال أبو بكر لقفذ: عد إليه فقل له: خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعوك لتبايع، ففجأة فنفاذ، فأدى ما أمر به، فرجع علي (عليه السلام) صوته وقال: «سبحان الله! لقد إدعى ما ليس له» فرجع فنفاذاً الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر: قم إلى الرجل، فقال أبو بكر وعمر وعثمان و خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة .

وطقت فاطمة (عليها السلام) أنه لا يدخل بيتها أحد إلا بإذنها، فلما أتوا باب فاطمة (عليها السلام) ودقوا الباب وسمعت أصواتهم نادى بأعلى صوته: «يا أبت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، لآعهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) جنازة بأيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقاً .»

فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدع وأكبدهم تنفطر وبقي عمر ومعه قوم، ودعا عمر بالحطب و نادى بأعلى صوته: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة، فقال: وإن [الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 29-30].

فوقفت فاطمة (عليها السلام) خلف الباب و خاطبت القوم: «وبحك يا عمر ما هذه الجزأة على الله وعلى رسوله؟ تريد أن تقطع نسله من الدنيا وتغنيه وتطفئ نور الله؟ والله متم نوره». فركل عمر الباب برجله فاختبأت فاطمة (عليها السلام) بين الباب والحائط رعاية للحجاب، فدخل القوم إلى داخل الدار مما سبب عجزها سلام الله عليها وكان ذلك سبباً في إسقاط حنينها .
وتواتبوا على أمير المؤمنين وهو جالس على فراشه، واجتمعوا عليه حتى أخرجوه ملياً بثوبه يجرونه إلى السقيفة، فحالت فاطمة (عليها السلام) بينهم وبين بعلها وقالت: «والله لا أدعكم تجرون ابن عمي ظلاماً، ويلكم ما أسرع ما ختمت الله ورسوله، فينا أهل البيت، وقد أوصاكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) باتباعنا ومودتنا والتمسك بنا»، فأمر عمر فنفاذاً بضربها فضربها قنفاً بالسوط فصار بعضها مثل الدمليج .

[مرآة العقول: 5/ 320].
فأخرجوا الإمام (عليه السلام) يسحبونه إلى السقيفة حيث مجلس أبي بكر، وهو ينظر يميناً وشمالاً وينادي «واحمزناه ولا حمزة لي اليوم، واجعفره ولا جعفر لي اليوم!!» وقد مروا به على قبر أخيه وابن عمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنادى «يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني .»

وروى عن عدى بن حاتم أنه قال: والله ما رحمت أحداً قط رحمتي
علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين أتى به ملياً بثوبه، يقودونه إلى أبي بكر وقالوا له: بايع! قال: «فإن لم أفعلي فمَه؟» قال له عمر: إذن والله أضرب عنقك، قال علي: «إذن والله تقتلون عبد الله وأخا رسوله» فقال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسول الله فلا، فقال: «أتجحدون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخى بيني وبينه؟!» وجرى حوار شديد بين الإمام (عليه السلام) وبين الحزب الحاكم .

وعند ذلك وصلت السيدة فاطمة (عليها السلام) وقد أخذت بيد ولديها الحسن والحسين (عليهما السلام) وما بقيت هاشمية إلا و خرجت معها، يصحن ويولولن فقالت فاطمة (عليها السلام): «خلوا عن ابن عمي!! والله لا أكشفن رأسي ولاضعن قميص أبي على رأسي ولأدعون عليكم، فما نافة صالح بأكرم على الله منى، ولا فضيلها بأكرم على الله من ولدي»
[الاحتجاج للطبرسي: 1/ 222].

وجاء في رواية العياشي أنها قالت: يا أبا بكر، أتريد أن ترملني عن زوجي وتيتم أولادتي؟ والله لئن لم تكف عنه لأنشرن شعري ولأنشفن جيبتي ولأتين قبر أبي ولأصرخن إلى ربي» فأخذت بيد الحسن والحسين تريد قبر أبيها، عند ذلك تصايح الناس من هنا وهناك بأبي بكر: ما تريد إلى هذا؟ أتريد أن تنزل العذاب على هذه الأمة؟

وراحت الزهراء وهي تستقبل المئوي الطاهر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) تستنجد بهذا الغائب الحاضر: «يا أبت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟ فما تركت كلمتها إلا قلوباً صدعها الحزن و عيوناً جرت دموعاً»

[الغدیر: 3 / 104. راجع الإمامة والسياسة: 1 / 13، و تاريخ الطبري: 3 / 198، و العقد الفريد: 2 / 257، و تاريخ أبي الفداء: 1 / 165، و تاريخ ابن شحنة في حوادث سنة 11، و شرح ابن أبي الحديد: 2 / 19.]

المواجهة مع الزهراء :

ما كانت السيدة فاطمة الزهراء تنتظر أن ترى في حياتها يوماً كذلك اليوم و مأساة كئيبة المأساة و إن كان أبوها (صلى الله عليه و آله) قد أخبرها بذلك، ولكن السماع شيء و الرؤية شيء آخر، و تأثير المصيبة يختلف سماعاً و رؤية، إن كانت (عليها السلام) سمعت من أبيها أن الأمور تنقلب عليها و أن الأحقاد سوف تظهر بعد وفاته (صلى الله عليه و آله) فإنها قد شاهدت تلك الأحداث، فقد هجم القوم على عربنها ليخرجوا زوجها من ذلك البيت الذي ما كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يدخله إلا بعد الاستئذان من فاطمة (عليها السلام).

كانت الزهراء تتذكر كيف أن زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله) تجهزت للحوق بأبيها، و خرجت من مكة على بعير لها و هي في الهودج، فخرج في طلبها هبار بن الأسود فروعها بالرمح- و هي في الهودج- و كانت حاملاً، فلما رجعت طرحت ما في بطنها، فلذلك أباح رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم فتح مكة دم هبار بن الأسود .
ترى ماذا سيفعل رسول الله (صلى الله عليه و آله) حين يرى القوم لا يرعون حرمة و لا كرامة لدار حبيبتهم الزهراء؟ بل و لا هيبه و لا احتراماً لبعثته حين يتجرأ القوم فيضربونها و يروعونها فيكون ذلك علة لسقوط جنينها و مرضها ثم وفاتها؟ .
بالرغم من أن المواجهة التي حصلت في دار الزهراء (عليها السلام) كانت لفترة قصيرة و وقعت في مكان محدود غير أن صداها بقي لأجيال و أجيال إلى يومنا هذا تشعير المرء بمرارة التعدي والظلم الذي لحق بالرسول الله (صلى الله عليه و آله) و لما تنقض أيام معدودات على غياب الرسول الكريم (صلى الله عليه و آله) .
من هذه المواجهة نستطيع أن نلاحظ بعض الجوانب التي تدل على

شخصية الزهراء :

1- أن الزهراء (عليها السلام) هبت للدفاع عن الوصي، و وقفت خلف الباب بصلاة متناهية، و خاطبت القوم بالحجة البالغة عسى أن يرتدع الظالمون، و لم تلتزم الصمت لأنها صاحبة حق و المهاجمين غاصبون لحق الخلافة الشرعية .
2- حينما أخرجوا علياً (عليه السلام) راحت الزهراء (عليها السلام) تدافع في موقع آخر، فلحقت به لعلها تمنعهم عنه رغم كل الآلام التي تعرضت لها عند هجومهم على الدار، لأنه أصبح لديها حقان: حق الدفاع عن الوصي و المطالبة بالخلافة، و حق الظلامة التي جرت عليها من تعدي القوم على حرمتها و هي ابنة رسول الله (صلى الله عليه و آله) .

[فاطمة الزهراء، إبراهيم الأميني: 123] .
و حين أعيتها الحيل و السبل؛ انصرفت للدعاء عليهم صارخة مستغيثة بالله و رسوله (صلى الله عليه و آله) على رؤوس الأشهاد. إن موقف الزهراء (عليها السلام) سجل اعتراضاً صارخاً واضحاً لكل متابع للحق بأن الخلافة انحرفت عن مسارها الصحيح و أصحابها الشرعيين، و قد أدت دورها العظيم في محاولة إعادة حق الخلافة إلى صاحبها الشرعي الإمام علي (عليه السلام) أو على أقل تقدير أعادت التجربة الإسلامية إلى مجراها الحقيقي عبر استنهاض الأمة و بث الوعي فيها و فضح المغتصبين للخلافة، مع التأكيد على عدم أهليتهم لتحمل أعباء مسؤولية زعامة المسلمين و لم تزل الرسالة حديثة عهد بهم .

كلامها في حق الإمامة و ظلامة أهل البيت :

عن محمود بن لبيد قال: لما قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله) كانت فاطمة (عليها السلام) تكي هناك، تأتي قبور الشهداء و تأتي قبر حمزة و تكي هناك، فلما كان في بعض الأيام أتيت قبر حمزة فوجدتها (عليها السلام) تكي هناك، فأمهلتها حتى سكنت، فأتيتها و سلمت عليها و قلت: يا سيدة النسوان قد و الله قطعت أنباط قلبي من بكائك، فقالت: «يا أباعمر! لحق لي البكاء، فلقد أصبت بخير الآباء رسول الله (صلى الله عليه و آله) و واشوقاه إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله)»! ثم أنشأت تقول :

و ذكر أبي مذ مات و الله أكثر»
«إذا مات ميت قل ذكره

قلت: يا سيدتي إنني سألتك عن مسألة تتلجلج في صدري، قالت: «سل». قلت: هل نص رسول الله (صلى الله عليه و آله) قبيل وفاته على علي (عليه السلام) بالإمامة؟ قالت: «و أعجباه! أنسيتم يوم غدیر خم؟» قلت: قد كان ذلك ولكن أخبريني بما أسر إليك، قالت: «أشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: علي خير من أخلفه فيكم، و هو الإمام و الخليفة بعدي و سبطاي و تسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، لئن أتبعتموهم و جدتموهم هادين مهديين، ولئن خالفتموهم لكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة .» قلت: يا سيدتي فما باله فعد عن حقه؟ قالت: «يا أباعمر، لقد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): مثل الإمام مثل الكعبة إذ توتى و لا تأتي أو قالت مثل علي ثم قالت: أما والله لو تركوا الحق على أهله و أتبعوا عترته نبيه لما اختلف في الله اثنيان، و لورثها سلف عن سلف و خلف عن خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين، ولكن قدموا من آخره الله و آخروا من قدمه الله، حتى إذا الحدوا المبعوث و أودعوه الجحيم اختاروا بشهوتهم، و عملوا بأرائهم، تبا لهم، أو لم يسمعوا الله يقول: «و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة) بل سمعوا ولكنهم كما قال الله سبحانه: (فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) هيئات بسطوا في الدنيا أمالهم، و نسوا آجالهم، فتعسأ لهم و أضل أعمالهم، أعوذ بك يا رب من الحور بعد الكور»
[عوامل المعارف: 11 / 444 .

و قالت (عليها السلام) في جواب عائشة بنت طلحة :

«أتسأليني عن هبة حلق بها الطائر، و حفي بها السائر، رفعت إلي السماء أثراً، و رزنت في الأرض خيراً؟ إن فحيف تيم، و أحويل عدي جارياً بالحسن في السباق، حتى إذا تقربا في الخناق فأسرا له الشبان، و طويابه الإعلان، فلما خيا نور الدين و قبض النبي الأمين نطقا بفورهما، نفثا بسورهما، و أذالا فدكاً، فيألها كم من ملك ملك، إنها عطية الرب الأعلى للنبي الأوفى، و لقد تحلينا للصبية السواغب من نجله و نسلي، و إنها ليعلّم الله و شهادة أمينة، فإن انتزعا مني البلغة و منعاني المظلة فأحتسبها يوم الحشر، وليجدن أكلها ساعرة حميم في لظى جحيم»

[رياحين الشريعة: 2 / 41، و أمالي الطوسي: 204 مجلس 7 حديث 350 .]

السيدة فاطمة في أيامها الأخيرة

لم تبق الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها سوى شهر معدودٍ فضتها بالبكاء والنحيب والأبين حتى عدت من البكائين، و لم تر صاحكة قط

[طبقات ابن سعد ج 2 / القسم 2: 84 حلية الأولياء: 2 / 43].

و كان لبكائها أسباب و دوافع كثيرة، أهمها انحراف المسلمين عن الطريق المسقّيم و إنزلاقهم في مهاو تؤدي إلى الاختلاف و الفرقة و انهيار الأمة الإسلامية بالتدرّج .

و الزهراء (عليها السلام) التي عاشت انتشار الدعوة الإسلامية أيام أبيها (صلى الله عليه و آله) وضحت من أجلها بكل نفيس كانت تتوقع انتصار الإسلام و تشييد صرح العدل في ربوع الدنيا كلها، ولكن غصب الخلافة و الأحداث التي تلتها هدم صرح آمالها و أدخل الحزن على قلبها و روحها الطاهرة، فقد تحملت همّاً ثقيلاً فوق همها و حزنها على أبيها النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله .)

و ذات يوم دخلت أم سلمة على فاطمة (عليها السلام) فقالت لها: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله) و آله؟ قالت (عليها السلام): «أصبحت بين كمد و كرب، فقد النبي (صلى الله عليه و آله) و ظلم الوصي (عليه السلام)، هتك والله حجاب من أصبحت إمامته مقبضة على غير ما شرع الله في التنزيل أو سنّها النبي (صلى الله عليه و آله) في التأويل، ولكنها أحقاد بدرية و ترات أحدية»

[بحار الأنوار: 156 / 43].

و عين علي (عليه السلام) قال: «غسلت النبي (صلى الله عليه و آله) في قميصه، فكانت فاطمة تقول: أرنى القميص، فإذا شمته غشي عليا، فلما رأيت ذلك غيبته»

[المصدر: 157].

و روي أنه لما قبض النبي (صلى الله عليه و آله) امتنع بلال من الأذان قال: لا أؤدّن لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و إن فاطمة (عليها السلام) قالت ذات يوم: «إني أشتهي أن أسمع صوت مؤذن أبي (صلى الله عليه و آله)، و إن فاطمة (عليها السلام) قالت ذات يوم: «إني أشتهي أن أسمع صوت مؤذن أبي (صلى الله عليه و آله) بلال» فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان، فلما قال: الله أكبر الله أكبر، ذكرت أباه و أبيه فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ إلى قوله: أشهد أن محمداً رسول الله (صلى الله عليه و آله) شهقت فاطمة (عليها السلام) و سقطت لوجهها و غشي عليها، فقال الناس لبلال: امسك يا بلال، فقد فارقت ابنة رسول الله (صلى الله عليه و آله) الدنيا، و نطوا أنّها قد ماتت، فقطع أذانه و لم يتمه، فأفاقت فاطمة (عليها السلام) و سألته أن يتم الأذان فلم يفعل، و قال لها، يا سيدة النسوان، إني أخشى عليك مما تنزليه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته عن ذلك .

[بحار الأنوار: 157 / 43].

و أخذت فاطمة (عليها السلام) بالبكاء والوعول ليلها و نهارها، و لم ترقأ لها دمة حتى جزع لذلك جيرانها، فاجتمع شيوخ أهل المدينة و أقبلوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) و قالوا: يا أبا الحسن! إن فاطمة تكي الليل و النهار فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فراشنا و لا بالنهار لنا قرار على أشغالنا و طلب معايشنا، و إننا نخبرك أن تسألها إما أن تكي ليلاً أو نهاراً .

فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى دخل على فاطمة (عليها السلام) فقال لها: «يا بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله) إن شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إما أن تكي ليلاً أو نهاراً»، فقالت: «يا أبا الحسن، ما أقل مكثي بينهم، و ما أقرب مغيبتي من بين أظهرهم»، فاضطر أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى بناء بيت خلف البقيع خارج المدينة و سماه «بيت الأحرار» و كانت إذا أصبحت قدمت الحسن و الحسين عليهما السلام أمامها و خرجت إليه و هي تمر على البقيع باكياً، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) إليها و رافقها إلى منزلها

[بحار الأنوار: 177 / 43].

و عن أنس، قال: لما فرغنا من دفن النبي (صلى الله عليه و آله) أنبت إلى فاطمة (عليها السلام) فقالت: «كيف طاوعتكم أنفسكم على أن تهيلوا التراب على وجه رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟» ثم بكت

[أسد الغابة، لابن الأثير: 524 / 5، و طبقات ابن سعد: ج 2 / القسم 2: 83].

و قال الصادق (عليه السلام): «و حزنّت فاطمة (عليها السلام) حزناً شديداً أثر على صحتها، والمرة الوحيدة التي ابتسمت فيها بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه و آله) عندما نظرت إلى أسماء بنت عميس

و هي على فراش الموت و بعد أن لبست ملابس الموت، فابتسمت و نظرت إلى نعشها الذي عمل لها قبل وفاتها و قالت: سترتموني ستركم الله»

[أهل البيت لتوفيق أبو علم: 165].

مرض الزهراء و استشهادها

فاطمة على فراش المرض :

إنتشر خبر مرض السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في المدينة، و سمع الناس به، و لم تكن تشكو السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من داء عصال غير ما حدث لها بين الحائط و الباب من عصرها و كسر ضلعها و سقوط جنينها و لطمها على خدها . كل هذه الأمور ساهمت في انحراف صحتها و وقوعها عن ممارسة أعمالها، و كان زوجها العطوف هو الذي يتولى تمريضها، و تعينه على ذلك أسماء بنت عميس

[بحار الأنوار: 185 / 43]، جاءت نسوة من أهل المدينة لعيادتها، و خطبت فيهنّ تلك الخطبة- التي ستمر عليك- و أعادت النسوة كلامها على رجالهن، فجاء الرجال يعتذرون، فما قبلت اعتذارهم فقالت (عليها السلام): «إليكم عنّي لا عذر بعد تعذير و لا أمر بعد تقصير.»

لقد أنتشر خبر استياء السيدة فاطمة (عليها السلام) من السلطة و نقيمتها على الذين آزرها الحزب الحاكم بسكوتهم و صمتهم، و تائبوا كل النصوص التي نزلت في آل الرسول، و أعرضوا عن كل حديث سمعوه من شفّتي الرسول (صلى الله عليه و آله) في حق الزهراء (عليها السلام) و زوجها و ولديها، و أخيراً تولّد شيء من الوعي عند الناس، و عرفوا أنهم مخطئون في دعم السلطة الحاكمة التي لم تعترف بشرعية الزعامة لآل رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و لا تعير للحق اهتماماً و لا للمنطق موقفاً سوى القوة و حد السيف .

عبادة النساء للسيدة فاطمة :

لا نعلم بالضبط السبب الحقيقي و الدافع الأصلي الذي دعا بنساء المهاجرين و الأنصار لعبادة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، فهل كان ذلك بإيعاز من رجالهن؟ و ما الذي دعا أولئك الرجال لإرسال نسايتهم إلى دار السيدة فاطمة (عليها السلام)؟ و هل حصل الوعي عند النساء و شعرن بالتقصير بل الإذلال لبنت رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فانتشر هذا الشعور بين النساء فحضرن للعبادة و المجاملة أو إرضاء لضمائرهن المتألمة مما حدث و جرى على سيدة النساء؟ أو كانت هناك أسباب سياسية فرضت عليهن ذلك، فحضرن لتلطيف الجو و تخفيف التوتر للعلاقات بين بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله) و بين السلطة الحاكمة في ذلك اليوم؟ خاصة و إن الموقف الاعتزالي الذي اختارته السيدة فاطمة (عليها السلام) لنفسها و انسحابها عن ذلك المجتمع لم يكن خالياً عن التأثير، بل كان عاملاً مساعداً لانتباه الناس، و بالأخص حين حمل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) السيدة فاطمة (عليها السلام) (يطوف بها على بيوت الأنصار تستنجد بهم و تستنصهم فلم تجد منهم الإسعاف بل وجدت منهم التخادل

[الإمامة و السياسة لابن قتيبة: 29].

و على كل تقدير فلا يعلم أيضاً عدد النساء اللاتي حضرن عند الزهراء (عليها السلام) و هي طريحة الفراش، ولكن يبدو أن العدد لم يكن قليلاً بل كان مما يعبا به .

خطبتها الثانية :

قال سويد بن غفلة: لما مرضت سيدتنا فاطمة (عليها السلام) المرصّة التي توقّيت فيها؛ اجتمعت اليها نساء المهاجرين و الأنصار ليُعِدّنها، فقلّي لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علتك؟ فحمدت الله وصلت على أبيها (صلى الله عليه و آله) ثم قالت :

«أصبحت و الله عائقة»

[عائقة: أي كارهة.] لدنياكم، قالية

[القالية: المبيضة.] لرجالكم، لَقَطْتُهُمْ

[لفظت الشيء من فمي: أي رميته و طرحته.] بعد أن عجمتهم

[عجمتهم: جربتم.] و شينتهم

[شينتهم: أبغضتهم.] بعد أن سيرتهم

[سيرتهم: اختبرتهم، فعلى ما في أكثر الروايات المعنى: طرحتهم و أبغضتهم بعد امتحانهم و مشاهدة سيرتهم و أطوارهم.] فقيحاً

[قيحاً- بالضم:- مصدر حذف فعله، إما من قولهم: قيحه الله قيحاً، أو من قيح بالضم قياحة، فحرف الجر على الأول داخل على

المفعول، و على الثاني على الفاعل، و الفلول بالضم: جمع فلّ بالفتح، و هو الثلمة و الكسر في حد السيف، و حكى الخليل في

العين أنه يكون مصدرًا، و لعله أنسب بالمقام.] لفلول الحد

[و في الأمالي: «فقيحاً لأفون الرأي». قال الجزري: في حديث علي (عليه السلام): (يا بك و مشاورة النساء فإن رأيهنّ إلى أفن،

الأفون: النقص، و رجل أفن و مأفون أي ناقص العقل (النهاية: 51 / 57.) (واللعب بعد الحد

[اللعب بعد الحد: أي أخذتم دينكم باللعب و الباطل بعد أن كنتم مجدين فيه أخذين بالحجة .]

و قرع الصفاة

[و قرع الصفاة، الصفاة: الحجر الأملس أي جعلتم أنفسكم مقرعاً لخصامكم حتى قرعوا صفاتكم أيضاً .].

[من الاحتجاج.]، و خور

القناة

[الخور- بالفتح و بالتحرّك:- الضعف «وفي الاحتجاج: صدع: أي شقّ» و القناة: الرّمح.] و خَطَلَ الرَّأْيَ

[و الخطل- بالتحرّك:- المنطلق الفاسد المضطرب، و خطل الرأي: فساده و اضطرابه. و في الأمالي: «القول» و في الاحتجاج:

«الأراء».] (و زَلَّ الأَهْوَاءُ)

[من الاحتجاج.]

و ينس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون .

لا جرم

[لاجرم: كلمة تورّد لتحقيق الشيء . يعني: حقاً.] (والله)

[من الأمالي.] لقد قلدتهم ربقتها

أربقتها: الربقة في الأصل: عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، و يقال للحبل الذي تكون فيه الربقة، ربق، و

تجمع على ربق و رباق و أرباق، و الضمير في ربقتها راجع إلى الإخلاق المدلول عليها بالمقام، أو إلى فذك، أو حقوق أهل البيت

(عليهم السلام) أي جعلت إنهم لازمة لرقابهم كالقلائد.] (و حملتهم أوقتها)

[من الاحتجاج و حملتهم أوقتها: قال الجوهري: الأوق: الثقل، يقال: ألقى عليه أوقه، و قد أوقته تأويقاً أي حملته المشقة و

المكروه.] و شننت عليهم غارتها

[قولها: و شننت عليهم غارتها، الشين: رشّ الماء رشّاً متفرّقاً، و السنّ- بالمهملة:- الصبّ المتصل، و منه قولهم: سنّت عليهم الغارة

إذا فرقت عليهم من كل وجه.]، فيجدعاً

[الجدع: قطع الأنف أو الأذن أو الشفة، و هو بالأنف أخصّ، و يكون بمعنى الحيس .] و عقرأ

[و العقر بالفتح: الجرح، و يقال في الدعاء على الإنسان: عقرأ له و حلقأ. أي عقر الله جسده و أصابه بوجع في حلقه، واصل العقر:

ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف، ثم اتسع فيه فاستعمل في القتل و الهلاك.] و سحخأ

[و في الاحتجاج: بعداً.] للقوم الظالمين .

ويحهم

[ويح: كلمة تستعمل في الترحم و التوجع و التعجب.] أتى زحزحوها

[الزحزحة: التنحية و التبعيد. و في الاحتجاج: زعزعوها. و الزعزعة: التحريك.] عن رواسي

[الرواسي من الجبال: الثوابت الرواسخ.] الرسالة، و قواعد

[قواعد البيت: أساسه.] النبوة و الدلالة و مهبط الوحي الأمين، و الطبين

[الطيبين- هو بالطاء المهملة و الباء الموحدة:- الفطن الحاذق.] بامر الدنيا و الدين، ألا ذلك

هو الخسران المبين، و ما تقموا

[يقال: تقمّ على الرجل: أي عتبت عليه و كرهت شيئاً منه.] من أبي الحسن؟ ! تقموا و الله من نكير

[و النكير: إنكار سيفه فإنه (عليه السلام) كان لا يسئل سيفه إلا لتغيير المنكرات.] سيفه، (و قلة مبالته يحثفه) و شيدة و طأته

[الوطأة: الأخذة الشديدة و الضغطة.] و تكال

[النكال: العقوبة التي تنكل الناس.] و فعتة

[الوقفة: صدمة الحرب.] وتَمَرُّهُ
[نمير فلان: أي تغير و تنكر و أوعد، لأنّ النمر لا تلتاقه أبداً إلاّ متنكراً غضبان.] في ذات اللّهِ عزّوجلّ .
واللّهُ لو تكافؤا
[التكافؤ: تفاعل من الكفّ: و هو الدفع و الصرف.] عَيْنَ زَمَانٍ
[فيّ الأمالي زمام. والزمام ككتاب الخيط الذي يشدّ في البُرّة والخشاش ثمّ يشدّ في طرفه المقود، و قد يسمى المقود زماماً.]
نَبَذَهُ

[نبذ: أي طرّحه.] رسولُ اللّهِ (صلى اللّهُ عليه و آله) لأَعْتَلَقَهُ
[اعتلقه: أحبه.] ولَسَارِيهِمْ سَبِيْرًا سَجْحًا
[السجح- بضمّ السين:- اللين السهل.]
[وفي الاحتجاج بدل «واللّهُ لو تكافؤا» إلى قولها- لا عتلقه» و تالّهُ لو مالوا عن المحجة اللاتحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة
لردهم، و حملهم عليها.]، و لا يُكَلِّمُ
[الكلم: الجرح.] خَشَاشَهُ
[الخِشْيَاش- بكسر الخاء المعجمة- ما يجعل في أنف البعير من خشب و يشدّ به الزمام ليكون أسرع لانقياده.] (و لا يكلّ سائره) و
لا يتعتق

[وتعتت الرجل: أي أفلقته و أزعجته.] رَاكِبُهُ، و لأوردهم مَنَهَلًا نميرًا
[المنهل: المورد، و هو عين ماء ترده الإبل في المراعي، ماء قاله الجوهريّ، و قال: ماء نمير: أي ناجع، عذباً كان أو غيره، و قال
الصدوق نقلًا عن الحسن بن عبد اللّهِ بن سعيد العسكريّ: النمير: الماء النامي في الجسد، و ذكر في الأمالي بدل كلمة نميرًا،
روبًا، والرّوي: سحابة عظيمة القطر، شديدة الوقع.] فُضْفَاضًا
[الفضفاض: الواسع، يقال: ثوب فضفاض، و عيش فضفاض، و درع فضفاضة.] تَطَفُّحُ ضِفَّتَاهُ
[ضفّتا النهر- بالكسر و قيل و بالفتح أيضًا:- جانباه، و تطفح: أي تمتلئ حتى تفيض.] (و لا يترقّ
جانيه)

[ترنق: كدر، و صار الماء رونقة: غلب الطين على الماء و الترنوق: الطين الذي في الأنهار و المسيل، والمراد أنّه لا ينقص الماء حتى
يظهر الطين و الحمأ من جانبي النهر و يتكدر الماء بذلك.] و لا صَدْرَهُمُ يَطَانًا
[يطنّ كعلم: عظم يطنه من الشّيع، و منه الحديث: «تغدو خماصاً و تروح بطاناً»، والمراد عظم بطنهم من الشّرب.] (و نصح لهم
سرّاً و إعلاناً) قد تحير بهم الرّي
[تحير الماء: أي اجتمع و دار كالمتحير، يرجع أقصاه إلى أدناه، و يقال: تحيرت الأرض بالماء إذا امتلأت، و لعلّ الباء بالمعنى «في»
أي تحير فيهم الرّي، أو للتعدية: أي صاروا حيارى لكثرة الرّي، و الرّي- بالكسر و الفتح- ضد العطش. و في رواية الشيخ يدلّ قولها
«قد تحير» قد ختر بالخاء المعجمة و التاء المثلثة، أي أنقلهم من قولك: أصبح فلان خائر النفس، أي ثقيل النفس غير طيب و لا
نشط، و جلي منه بخير كرضي: أي أصاب خيراً.] غير متحلّ منه بطائل
[غير متحلّ منه بطائل: قال الجوهريّ: قولهم: لم يحلّ منها بطائل أي لم يستفد منها كثير فائدة. و التحلي: التزيّن، و الطائل:
الغنى و المزية والسعة والفضل.] (و لا يحظى من الدنيا بنائل)
[النائل: العطية.] إلاّ يغمّر

[التغمّر: هو الشرب دون الرّي، مأخوذ من الغمر- بضم الغين المعجمة و فتح الميم:- و هو القدح الصغير، و في الاحتجاج: غير رّي
الناهل. و الناهل: العطشان.] الماء وردعه
[الردع: الكف و الدفع، و الردعة: الدفعة.] شَرَّ السَّاعِبِ

[وفي الأمالي: سورة سغب و سورة الشبيء- بالفتح:- حدّته و شدّته، والسّغب: الجوع. و في الاحتجاج بدل قولها «وردعه شرر
السّاعب» «و شعبة الكافل»: قال الفيروز آبادي: الكافل: العائل، والذي لا يأكل أو يصل الصيام، والضامن، انتهى. أقول: يمكن أن
يكون هنا بكلّ من المعنيين الأولين، و يحتمل أن يكون بمعنى كافل التيمم، فإنه لا يحلّ له الأكل إلاّ بقدر البلغة، و حاصل المعنى:
أنه لو منع كل منهم الآخرين عن الزمام الذي نبذه رسول اللّهِ (صلى اللّهُ عليه و آله) و هو تولّي أمر الأمة، لتعلّق به أمير المؤمنين
(عليه السلام) أو أخذ محباً له و يسلك بهم طريق الحقّ من غير أن يترك شيئاً من أوامر اللّهِ أو يتعدى حدّاً من حدوده، و من غير أن
يشقّ على الأمة، و يكلفهم فوق طاقتهم و وسعهم، و يغاروا بالعيش الرغيد في الدنيا و الآخرة، و لم يكن ينتفع من دنياهم و ما
يتولى من أمرهم إلاّ بقدر البلغة و سيّد الخلة.] (و لَبَّاتْ لَهُمُ الرَّاهِدُ مِنَ الرَّايِبِ و الصادق من الكاذب)
[من الاحتجاج.] ولَقِيَتْ عَلَيْهِمُ بَرَكَاتٌ مِنَ السَّمَاءِ و الأَرْضِ، و سَبَّأْهُمْ اللّهُ بما كانوا يكسبون
[و في الاحتجاج أضاف قوله تعالى: (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا و ما هم بمعجزين) الزمر (39): 51.]
ألا هلّم فاسمع

[و في رواية ابن أبي الحديد: ألا هلّمّن فاسمعن، و ما عشتنّ أراكنّ الدهر عجياً .
قولها: و ما عشتن: أي أراكنّ الدهر شيئاً عجيباً لا يذهب عجيبه و غرابته مدة حياتكن، أو يتجدّد لكنّ كلّ يوم أمر عجيب متفرّع على
هذا الحادث الغريب.]، و ما عشتنّ أراكنّ الدهر العجب، و إن تعجب فقد أعجبك الحادث (ليت شعري)

[ليت شعري: أي ليتني علمت.] إلى أي سيناد
[السناد: ما يستند إليه.] استندوا (و على أي عماد اعتمدوا) و بآية عروّة تمسّكوا، (و على آية ذريّة أقدموا واحتنكوا)؟
[قال الجوهري: احتنك الجراد الأرض: أي أكل ما عليها وأتى على نبتها و قوله تعالى حاكياً عن إبليس: «و لأحتنكن ذريته» (الاسراء
17): 64] (قال الفراء: يريد: لأستولين عليهم، والمراد بالذرية ذرية الرسول (صلى اللّهُ عليه و آله).] (لبنس المولى و لبئس
العشير، و بنس للظالمين بدلاً)

[المولى: الناصر و المحب، و العشير: صاحب المخالط المعاشر، و بنس للظالمين بدلاً: أي بنس البذل من اختاروه على إمام العدل
و هو أمير المؤمنين (عليه السلام).]
استبدلوا الذنابي

[الذنابي بالضم: ذنب الطائر ومنبت الذنب، و الذنابي في الطائر أربع ذنابي بعد الخوافي و هي مادون الريشات العشر من مقدّم
الجناح التي تسمى قودام، الذنابي من الناس: السفلة و الأتباع. والعجز كالعضد: مؤخر الشبيء، يؤنث و يذكر، و هو للرجل و المرأة
جميعاً، و الكاهل: الحارك، و هو ما بين الكتفين، و كاهل القوم: عمدتهم في المهمات، و عمدتهم للشدائد و الملمات، و رغباً، مصدر
رغم أنه أي لصق بالرغام بالفتح، و هو التراب، و رغم الأنف يستعمل في الذلّ، و العجز عن الانتصار، و الانقياد على كره، و
إمعاطس جمع معطس- بالكسبر و الفتح- و هو الأنيب.] واللّهُ بالقوادير و العجز بالكاهل، فرغباً لمعاطس قوم يحسبون أنهم
يحسبون صنعا، إلاّ إنهم هم المفسدون وليكن لا يشعرون .
(ويجهم) أقمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمن لا يهدي

[قرئ في الآية «يهدي» بفتح الهاء و كسرهما و تسديد الدال فأصله يهتدي، و بتخفيف الدال و سكون الهاء.] إلاّ أنّ يهدي فما لكم
كيف تحكمون

[يونسى (10): 35].

أما لعمري لقد لَوَّحَتْ قَنَظَرَةٌ رَيْثَمَا تُنْبِجُ
[وفي بعض نسخ ابن أبي الحديد : أما لعمر اللّهِ، و في بعضها: أما لعمر الهكّن، والعمر- بالفتح والضم- بمعنى العيش الطويل، و لا
يستعمل في القسم إلاّ العَمَر- بالفتح-، و معنى عمر اللّهُ بقاؤه و دوامه، ولقحت كعلمت أي حملت، و الفاعل فعالتهم، أو فعالهم،
أو الفتنة، أو الأزمنة، أو الأزمنة، والنظرة بفتح النون و كسر الطاء :-التأخير، و اسم يقوم مقام الانظار، أي انتظروا (أو انظروا) نظرة
قليلة، و ريثما تنتج: أي قدر ما تنتج، يقال: نتجت الناقة على ما لم يسم فاعله: نتجت نتاجاً و قد نتجها أهلها نتجاً و أنتجت الفرس
إذا حان نتاجها.] ثم احتلبوا طلاع القعب

[القعب: فِدْح من خشب يروي الرجل، أو فِدْح ضخم، واحتلاب طلاع القعب: هو أن يمتلئ من اللبن حتى يطلع عنه ويسيل. في الاحتجاج: ملء العقب.] دَمًا عَيْبًا [العيب: الطري.]، و دَعَا فَا مَمْفَرًا [الدُّعَا، كغراب: يَكْسِر القاف-: الصبر- و ربما يَسْكِنُ، وأمقر أي صار مرًا. في الأمالي: دَعَا فَا مَمْفَرًا. وفي الاحتجاج: دَعَا فَا مَيْدًا. والميد: المهلك، وأمضه الجرح: أوجعه.]، هُنَالِكَ يَخْسِر المَبْطُلُونَ، و يعرف التالون غِب [غِب كل شيء: عاقبته.] ماسن [في الأمالي: ما أسكن، و في الاحتجاج: ما أسس.] الألوّن . ثم طيبوا (بعد ذلك) عن أنفسكم [في الاحتجاج: عن دنياكم.] أنفسًا [في الأمالي: لنتنها. و طاب نفس فلان بكذا: أي رضي به من دون أن يكرهه عليه أحد، و طابت نفسه عن كذا أي رضي ببدله.] وَ طَامَنُوا لِلْفِتْنَةِ جَاشًا [في الأمالي: ثم اطمئنوا و في الاحتجاج: و اطمئنوا. و في كتاب ناظر عَيْن الغريبين: طأمتته: سكتته فاطمأن، و الجأش- مهموزًا:- النفس و القلب أي اجعلوا قلوبكم مطمئنة لنزول الفتنة.]، و ابشروا يسييف صارم [السيف الصارم: القاطع.] (وسطوة معتدغاشيم) [الغشم: الظلم.] و هَرَجَ شامل [الهرج: الفتنة و الاختلاط. و في الأمالي: هرج دائم شامل. و في رواية ابن أبي الحديد: و قرح شامل، فالمراد بشمول القرح، إمَّا للأفراد أو للأعضاء.]، و استبداد [الاستبداد بالنبي: التفرد به.] مِنَ الظالمين، يَدْعُ قَيْتَكُمْ زَهِيدًا [والفيء: الغنيمة والخراج و ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب، و الزهيد: القليل.]، و زَرَعَكُمْ حَصِيدًا [و الحصيد: المحصود، و على رواية: زرعكم، كناية عن أخذ أموالهم بغير حق، و على رواية، جمعكم يحتمل ذلك، و أن يكون كناية عن قتلهم و استئصالهم. و في الأمالي و الاحتجاج: جمعكم حصيدًا.]، قِيَا حَسْرَتِي لَكُمْ، و أُنِي [و أنى بكم: أي و أنى تلحق الهداية بكم، و عميت عليكم- بالتخفيف:- أي خفيف و التيسر، و بالتشديد على صيغة المجهول أي لبست.] يَكْم و قد عميت [و أنى بكم: أي و أنى تلحق الهداية بكم، و عميت عليكم- بالتخفيف:- أي خفيف و التيسر، و بالتشديد على صيغة المجهول أي لبست.] عليكم أنلزمكموها و أنتم لها كارهون .» قال سويد بن غفلة: فأعدت النساء قولها (عليها السلام) على رجالهن فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين و الأنصار معتذرين، و قالوا: يا سيّدة النساء لو كان أبو الجبين ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد و نحكم العقد؛ لما عدلنا إلى غيره، فقالت: «إليكم عنّي؛ فلا عذر بعد تعذيركم و لا أمر بعد تقصيركم» [مصادر الخطبة: معاني الأخبار لابن بابويه، و الاحتجاج للطبرسي، و الأمالي للشيخ الطوسي، و دلائل الإمامة للطبري، و بلاغات النساء لأبي الفضل بن أبي طاهر، و كشف الغمة للاربلي، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .]

عبادة أبي بكر و عمر بن الخطاب للزهراء :

كان الصحابة رجالاً و نساءً يعودون فاطمة (عليها السلام) بين الحين و الحين إلّا عمر و أبي بكر لم يعوداها لأنّها فاطعتهم و رفضتُهما و لم تأذن لهما بعبادتها، ولما نزل عليها المرض و فاريتها الوفاة لم يجدا بدأ من عبادتها لئلا تموت بضعة المصطفى (صلى الله عليه و آله) و هي ساخطة عليهما على رؤوس الأشهاد، فتبقى وصمة عار تلاحق الخليفة و جهازه الحاكم إلى يوم الدين، و أرادوا تغطية انحرافهم باسترضاء الزهراء (عليها السلام) و عند ذلك ينتهي كل شيء، و تكون مأساة فعلتهم منسية بالتدرج . و روي أن عمر قال لأبي بكر: إنطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها، فانطلقا فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها، فلما فعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها، فلم ترد عليهما السلام، فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و الله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي و إنك لأحب إلي من عائشة بنتي، و لوددت يوم مات أبوك أني مت و لا أبقى بعده، أفتراي أعرافك و أعرف فضلك و شرافك، و أمتعك حقلك و ميراثك من رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟ إلا أنى سمعت أباك رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: «لا نورث، ما تركناه صدقه.» فقالت (عليها السلام): «أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) تعرفانه و تفعلان به؟» فقالا: نعم، فقالت: «نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: رضا فاطمة من رضي، و سخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة إبتني فقد أحبني و من أرضي فاطمة فقد أرضاني، و من أسخط فاطمة فقد أسخطني؟.» قالوا: نعم، و سماعنا من رسول الله (صلى الله عليه و آله) . قالت: «فإني أشهد الله و ملائكته أنكما أسخطتماني و ما أرضيتماني و لئن لقيت النبي (صلى الله عليه و آله) لأشكوكما إليه»، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه و من سخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر بيكي، حتى كادت نفسه أن ترهق و فاطمة تقول: «والله لأدعون عليكما في كل صلاة أصليها، ثم خرج باكياً «فاجتمع الناس إليه فقال لهم: بييت كل رجل معانقاً حليته مسروراً بأهلها، و تركتموني و ما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أفيلونى بيعتي [الإمامة و السياسة: 1/ 31].»

الساعات الأخيرة قبل الرحيل :

كانت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في ذلك اليوم الذي توفيت فيه طريحة الفراش، و قد أخذ منها الهزال كلّ مأخذ، و ما بقي منها سوى الهيكل العظمي فقط، لقد رأت أباهي في المنام و هو يقول لها: «هلمني إلى يا نبيّة فإني اليك مشتاق» ثم قال لها: «أنت الليلة عندي . انتبهت من غفوتها و استعدت للرحيل إلى الآخرة، فقد سمعت من أبيها الصادق المصدّق الذي قال: «من رأني فقد رأني.» سمعت منه نبأ ارتجالها فلا مجال للشك و التردد في صدق الخبر . فتحت عينها و استعادت نشاطها ولعلّها كانت في صحوة الموت و قامت لاتخاذ التدابير اللازمة، و اعتنمت تلك الساعات الأخيرة من حياتها، أقبلت الزهراء تزحف أو تمشي متكئة على الجدار نحو الموضوع الذي فيه الماء من بيتها، و شرعت تغسل ثياب أطفالها

بيديها المرتعشتين، ثم دعت أطفالها وطفقت تغسل رؤوسهم، و دخل الإمام عليّ (عليه السلام) البيت و إذا به يرى عزيزته قد غادرت فراش العلة و هي تمارس أعمالها المنزلية .
رق لها قلب الإمام حين نظر إليها و قد عادت إلى أعمالها المتعبة التي كانت تجدها أيام صحتها، فلا عجب إذا سألتها عن سبب قيامها بتلك الأعمال بالرغم من انحراف صحتها، أجابته بكل صراحة لأن هذا اليوم هو آخر يوم من أيام حياتي، فممت لأغسل رؤوس أطفالي و ثيابهم لأنهم سيصبحون يتامى بلا أم، سألتها الإمام عن مصدر هذا النبأ فأخبرته بالرؤيا، فهي بذلك قد نعت نفسها إلى زوجها بما لا يقبل الشك .

وصية الزهراء للإمام عليّ :

و في الساعات الأخيرة من حياتها حان لها أن تكاشف زوجها بما أضمرته في صدرها) طيلة هذه المدّة) من الوصايا التي يجب تنفيذها .
فَقَالَتْ (عليها السلام) لعلّي (عليه السلام): «يا بن عمّ إنّ قد نُعيت إليّ نفسي و إنّني لا أرى ما بي إلّا أنّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، و أنا وصيك بأشياء في قلبي» قال لها عليّ (عليه السلام): «أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله)». فجلس عند رأسها، و أخرج من كان في البيت ثم قالت: «يا بن عم ما عهدتني كاذبة و لا خائنة و لا خالفتك منذ عاشرتني؟»
فقال عليّ (عليه السلام): «معاذ الله أنت أعلم بالله، و أبرو أتقي و أكرم و أشدّ خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتي و قد عزّ عليّ مفارقتك و فقدك إلّا أنّه أمر لا بد منه، والله لقد جددت عليّ مصيبة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و قد عظمت و فاتك و فقدك فإنّ الله و إنّ الله راجعون من مصيبة ما أفجعها و ألمها و أمضها و أحزنها!! هذه مصيبة لا عزاء منها، و رزية لا خلف لها .»
ثم بكيا جميعاً ساعة، و أخذ الإمام رأسها و ضمها إلى صدره ثم قال: «أوصيني بما شئت فإنّك تجدينني و فيّ أمضي كلما أمرتني به، و اختار أمرك على أمرّي». فقالت (عليها السلام): «جزاك الله عني خير الجزاء، يا بن عم أوصيك أولاً :
أن تتزوج بعدي... فإن الرجال لا بدّ لهم من النساء» ثم قالت (عليها السلام): (أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني فإنهم عدوي و عدو رسول الله، و لا تترك أن يصلي عليّ أحد منهم و لا من أتباعهم، و ادفني في الليل إذا هدأت العيون و نامت الأبصار .»

[روضة الواعظين: 1/ 151، و في رواية: إذا هدأت الأصوات و نامت العيون .]
ثم قالت (عليها السلام): «يا بن العم إذا قضيت نحبي فاغيبيني و لا تكشف عني، فإنني طاهرة مطهرة، و حنطني بفاضل حنوط أبي رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وصل عليّ، و ليصل معك الأذنّي فالأذنّي من أهل بيتي، و ادفني ليلاً لا نهاراً، و سرّاً لا جهاراً، و عف موضع قبري، و لا تشهد جنازتي أحداً ممن ظلمني، يا بن العم أنا أعلم أنك لا تقدر على عدم التزويج من بعدي فإن أنت تزوجت امرأة اجعل لها يوماً وليلة، واجعل لأولادي يوماً وليلة، يا أباالحسن! و لا تصح في وجوههما فيصحا يتيمين غريبين منكسرين، فإنهما بالأمس فقدما جدهما واليوم يفقدان أمهما »
[بحار الأنوار: 43 / 178 و 192 .]

و روى ابن عباس وصية مكتوبة لها (عليها السلام) جاء فيها :
«هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله) أوصت و هي تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً عبده و رسوله، و أنّ الجنة حق، و النار حق، و أنّ الساعة أتية لا ريب فيها، و أنّ الله يبعث من في القبور، يا عليّ أنا فاطمة بنت محمد، زوجني الله منك لأكون لك في الدنيا و الآخرة، أنت أولى بي من غيري، حنطني و غسلني و كفني بالليل، وصل عليّ و ادفني بالليل، و لا تعلم أحداً، و أستودعك الله، و أقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيامة »
[بحار الأنوار: 43 / 214 .]

أول نعش أحدث في الإسلام :

روى عن أسماء بنت عميس أنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت لأسماء: إنّني قد استقيحت ما يصنع بالنساء، إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفا لمن رأى، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله أنا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجريدة رطبة فحسنتها، ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة (عليها السلام): «ما أحسن هذا و أجمله، لا تعرف به المرأة من الرجل »
[كشف الغمة: 1 / 503، و بحار الأنوار: 43 / 213، و تهذيب الأحكام: 1 / 469 .]
و عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): «أول نعش أحدث في الإسلام نعش فاطمة، إنّها اشتكت شكاتها التي قبضت فيها، و قالت لأسماء: إنّني نحلّت فذهب لحمي، ألا تجعلين لي شيئاً يسترنني؟ فقالت أسماء: إنّني إذ كنت بأرض الحبشة رأيتهم يصنعون شيئاً أفلا أصنع لك مثله؟ فإن أعجبك صنعت لك، قالت (عليها السلام): نعم، فدعت بسرير، فأكبته لوجهه، ثم دعت بجرائد- نخل- فشدته على قوائمها، ثم جللته ثوباً فقالت أسماء: هكذا رأيتهم يصنعون، فقالت (عليها السلام): اصنعي لي مثله، أسترنيني سترك الله من النار .»

لحظات عمرها الأخيرة :

انتقلت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى فراشها المفروش وسط البيت، واضطجعت مستقبلة القبلة .
و قيل: إنّها أرسلت بنتها زينب و أم كلثوم إلى بيوت بعض الهاشميات لئلاّ تشاهدا موت أمهما، كل ذلك من باب الشفقة و الرأفة و التحفظ عليهما من صدمة مشاهدة المصيبة .
كان الإمام عليّ و الحسن و الحسين (عليهم السلام) خارج البيت في تلك الساعة و لعل خروجهم كان لأسباب قاهرة و ظروف معينة .
و جاء عن أسماء أنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) لما حضرته الوفاة قالت لأسماء: إنّ جبرئيل أتني النبي- لما حضرته الوفاة- بكافور من الجنة فقسمة أثلاثاً، ثلثاً لنفسه، و ثلثاً لعلّي، و ثلثاً، لي و كان أربعين درهماً فقالت: يا أسماء اتنني ببقية حنوط والدي من موضع كذا و كذا، و ضعيه عند رأسي، فوضعتني ثم قالت لأسماء حين توضع و وضوعها للصلاة: هاتي طيب الذي أتطيب به، و هاتي ثيابي التي أصلي فيها فتوضأت» ثم تسجّت بثوبها ثم قالت: «انتظريني هنيئاً و ادعيني فإن أحببتك و إلّا فاعلمي أنّي قدمت على أبي فأرسلني إلى عليّ .»

و حين حانت ساعة الاحتضار وانكشف الغطاء نظرت السيِّدة فاطمة (عليها السلام) نظره حادة ثم قالت: «السلام على جبرئيل، والسلام على رسول الله، اللهم مع رسولك، اللهم في رضوانك و جوارك و دارك دار السلام، ثم قالت: هذه مواكب أهل السماوات و هذا جبرئيل و هذا رسول الله يقول: يا بنية أقدمي فما أمامك خير لك» و فتحت عينيها ثم قالت: «و عليك السلام يا قابض الأرواح عجل بي و لا تعذبني» ثم قالت: «إليك ربي لا إلى النار» ثم غمضت عينيها و مدت يديها و رجليها . فنادتها أسماء فلم تجبها، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الحياة، فوَقعت عليها تقبلها و هي تقول: يا فاطمة إذا قدمت على أبيك رسول الله فافرتيه عن أسماء بنت عميس السلام، و دخل الحسن و الحسين فوجدوا أمهما مسجاةً فقالا، يا أسماء ما نبيم أمنا في هذه الساعة؟ قالت: يا ابني رسول الله ليست أمكما نائمة، قد فارقت الدنيا . فألقى الحسن نفسه عليها يقبلها مرَّةً و يقول: «يا أماه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني»، و أقبل الحسين يقبل رجلها و يقول: «أنا ابنك الحسين كلميني قبل أن يتصدع قلبي فأموت .» فقالت لهما أسماء: يا ابني رسول الله، إنطلقا إلى أبيكما عليّ فأخبراه بموت أمكما، فخرجا حتي إذا كانا قرب المسجد رفا أصواتهما بالبكاء فابتدر إليهما جمع من الصحابة و سألوهما عن سبب بكاتهما فقالا: «قد ماتت أمنا فاطمة (عليها السلام)». (فوقع الإمام علي (عليه السلام) على وجهه يقول: «بمن العزاء يا بنت محمد » [بحار الأنوار: 186 /43] .

مراسم التشيع و الدفن :

وارتفعت أصوات البكاء من بيت علي (عليه السلام) فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال و النساء، و دهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، واجتمعت نساء بني هاشم في دار فاطمة (عليها السلام) فصرخن و بكين، و أقبل الناس إلى علي (عليه السلام) و هو جالس و الحسن و الحسين بين يديه يبكيان، و خرجت أم كلثوم و هي تقول: يا أبتاه يا رسول الله! الآن حقاً فقدناك فقداً لالقاء بعده أبداً [بحار الأنوار: 192 /43] .

واجتمع الناس فجلسوا و هم يصجون، و ينتظرون خروج الجنازة ليصلوا عليها، و خرج أبوذر و قال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد أخرجها في العشي، و أقبل أبو بكر و عمر يعزيان علياً (عليه السلام) و يقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله (صلى الله عليه و آله) [المصدر نفسه: 199] .

و هكذا تفرق الناس، و هم يظنون أن الجنازة تشيع صباح غد (و روي أن وفاتها كانت بعد صلاة العصر أو أوائل الليل .) ولكن الإمام علياً (عليه السلام) غسلها و كفنها هو و أسماء في تلك الليلة، ثم نادى: يا حسن يا حسين يا زينب يا أم كلثوم هلموا فتزودوا من أمكم فهذا الفراق و اللقاء الجنة، و بعد قليل نجاهم أمير المؤمنين (عليه السلام) عنها [المصدر نفسه: 179] .

ثم صلى عليّ على الجنازة و رفع يديه إلى السماء فنادى «اللهم هذه بنت نبيك فاطمة أخرجتها من الظلمات إلى النور، فأضاءت ميلاً في ميل .»

فلما هدأت الأصوات و نامت العيون و مضى شطر من الليل تقدّم أمير المؤمنين و العباس و الفضل بن العباس و رابع يحملون ذلك الجسد النحيف، و شيعها الحسن و الحسين و عقيل و سلمان و أبوذر و المقداد و بريدة و عمارة [المصدر نفسه: 193] .

و نزل علي (عليه السلام) إلى القبر، و استلم بضعة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أضجعها في لحدّها و قال: «يا أرض أستودعك وديعتي، هذه بنت رسول الله، يسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله و بالله و على ملة رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله)، سلمتِك أيتها الصديقة إلى من هو أولى بك مني، و رضيت لك بما رضي الله تعالى لك»، ثم قرأ (منها) خلقناكم

و فيها نعبدكم و منها نخرجكم تارة أخرى)، ثم خرج من القبر، و تقدم الحاضرون و أهالوا التراب على تلك الدرة النبوية، و سوى عليّ (عليه السلام) قبرها .

تأبين الإمام عليّ للزهراء :

انتهت مراسم الدفن بسرعة خوفاً من انكشاف أمرهم و هجوم القوم عليهم، فلما نفّض الإمام يده من تراب القبر هاج به الحزن لفقد بضعة الرسول و زوجته الودود التي عاشت معه الصفاء و الطهارة و التضحية و الإيثار، و تحملت من أجله الأهوال و الصعاب، فأرسل دموعه على خديه، و حول وجهه إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم قال : «إسلام عليك يا رسول الله عني، و السلام عليك عن ابنتك و حبيبتك و قرّة عينك و زانرتك و البائنة في الثرى ببقعتك، و المختار الله لها سرعة اللحاق بك، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري، و عفى عن سيّدة نساء العالمين تجلدي، إلا أن في التأسّي لي بسنتك في فرقتك موضع تعزي، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك بعد أن فاضت نفسك بين نحري و صدري، و غمضتك بيدي، و توليت أمرك بنفسي .

بلى، وفي كتاب الله لي أنعم القبول، إنا لله و إنا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة، و أخذت الرهينة، و اختلست الزهراء فما أقيح الخضراء و الغبراء يا رسول الله !

أما حزني فسرمد، و أما ليلي فميسهد، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله دارك التي أنت فيها مقيم، كمّدّ مقيح، و هم مهيج، سرعان ما فرق الله بيننا و إلى الله أشكو، و ستبينك ابنتك بتضافر أمّتك علي، و على هضمها حقها فأحفظها السؤال، و استخبرها الحال، فكّم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بنه سبيلاً، و سيتقول و يحكم الله و هو خير الحاكمين، و السلام عليكمما يا رسول الله سلام مودع لاسئم و لا قالي، فإن أنصرف فلا عن ملالة، و إن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين، و الصبر أيمن و أجمل . و لو لا غلبة المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاماً، و التلّبت عنده عكوفاً،

و لأعولت إعوالم الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً، و يهضم حقها قهراً، و يمنع إرثها جهراً و لم يطل منك العهد، و لم يخلق منك الذكر، فإلى الله- يا رسول الله- المشتكى، و فيك- يا رسول الله- أجمل العزاء، فصلوات الله عليها و عليك و رحمة الله و بركاته »

[بحار الأنوار: 193 /43] .

محاولة نبش القبر :

أصبح الصباح من تلك الليلة فأقبل الناس ليشيعوا جنازة الزهراء (عليها السلام) (فبلغهم الخبر أنّ عزيزة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد دفنت ليلاً و سرّاً .

و كان الإمام علي (عليه السلام) قد سوّى في البقيع صور قبور سبعة أو أكثر، و حيث إن البقيع كان في ذلك اليوم و إلى يومنا هذا مقبرة أهل المدينة و لهذا أقبل الناس إلى البقيع يبحثون عن قبر فاطمة (عليها السلام) فأشكّل عليهم الأمر و لم يعرفوا القبر الحقيقي لسيدة نساء العالمين، فضج الناس، و لام بعضهم بعضاً و قالوا: لن يخلف نبيكم إلا بنتاً واحدة، تموت و تدفن و لم تحضروا وفاتها و الصلاة عليها و لا تعرفون قبرها، فقال بعضهم: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نخرجها فنصلي عليها .

و روي أن أبابكر و عمر أقبلا و الناس يريدون الصلاة على فاطمة (عليها السلام) .
فقال المقداد: قد دفنا فاطمة (عليها السلام) البارحة، فالتفت عمر إلى أبي بكر فقال: ألم أقل لك إنهم سيفعلون؟ قال العباس: إنّها أوصت أن لا تصلي عليها، فقال عمر: لا تتركون- يا بني هاشم- حسيدكم القديم لنا أبداً، إن هذه الضغائن التي في صدوركم لن تذهب، و الله لقد هممت أن أنبش قبرها فأصلي عليها
[بحار الأنوار: 199 /43] .

وصل خبر محاولات القوم لنبش القبر إلى الإمام علي (عليه السلام) فلبس القباء الأصفر الذي كان يلبسه في الحروب، و حمل سيفه ذا الفقار و قد احمرت عيناه و درت أوداجه من شدة الغضب، و قصد نحو البقيع .
سبقت الأخبار علياً إلى البقيع، و نادى مناديهم: هذا علي بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه، يقسم بالله لئن حول من هذه القبور حجر ليطعن السيف في رقاب الأمرين، فقال رجل: ما لك يا أبا الحسن و الله لننبش قبرها و لنصلي عليها؟ فضرب علي (عليه السلام) بيده إلى جوامع ثوب الرجل وهزه ثم ضرب به الأرض، و قال له: «يا بن السواد! أما حتى فقد تركته مخافة أن يرتد الناس عن دينهم، و أما قبر فاطمة فولذي نفسي علي بيده لئن رميت و أصحابك شيئاً من ذلك لأسقين الأرض من دمانكم .»
فقال أبوبكر: يا أبا الحسن بحق رسول الله و بحق فاطمة إلا خليت عنه، فإنّا غير فاعلين شيئاً نكرهه. فخلّى عنه و تفرق الناس [دلائل الإمامة للطبري: 46-47] .

تاريخ شهادتها :

لاشك أن وفاة الزهراء (عليها السلام) كانت في السنة الحادية عشرة من الهجرة، لأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) حجّ حجّة الوداع في السنة العاشرة، و توفي في أوائل السنة الحادية عشرة، واتفق المؤرخون على أن السيدة فاطمة (عليها السلام) قد عاشت بعد أبيها أقل من سنة، علماً بأنها كانت في ريعان شبابها كما كانت في أتم الصحة في حياة أبيها، نعم اختلفوا في يوم و شهر وفاتها اختلافاً شديداً .
فقد روى أنها عاشت بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ستة أشهر. و قيل: خمسة و تسعين يوماً. و قيل: خمسة و سبعين يوماً أو أقل من ذلك .

فعن الإمام الصادق (عليه السلام): «أنها قبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنة إحدى عشرة من الهجرة» [دلائل الإمامة، للطبري: ص 45 و كشف الغمة: 1 / 53] .
و عن الإمام الباقر (عليه السلام): «و توفيت ولها ثماني عشرة سنة و خمسة و سبعون يوماً .»
و عن جابر بن عبدالله الأنصاري: و قبض النبي و لها يومئذ ثماني عشرة سنة و سبعة أشهر
[مناقب آل أبي طالب: 2 / 357] .

قال أبوالفرج الإصفهاني: و كانت وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بمدة يختلف في مبلغها، فالمكثر يقول ستة أشهر، و المقل يقول أربعين يوماً، إلا أن الثابت في ذلك ما روى عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنها توفيت بعد النبي بثلاثة أشهر .
[راجع كشف الغمة: 128] .

وهكذا انتهت حياتها الزاخرة بالفضائل و المناقب و المواقف المبدئية المشرفة ، فالسلام عليها يوم ولدت و يوم استشهدت و يوم تبعث حية و رحمة الله و بركانه .

تراث الزهراء

«لقد أحصى المسلمون الأوائل على الرسول جميع أقواله و أفعاله و من هؤلاء انتقلت سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الطبقة الثانية و غيرها من الطبقات»
[سيرة الأئمة الاثني عشر: 1 / 96] .
و لا شك «أن أكثرهم وعياً لأقواله و أفعاله من الطبقة الأولى أولئك الذين كانوا على صلة به في أكثر الأوقات و في مختلف المناسبات» .
[سيرة الأئمة الاثني عشر: 1 / 96] .

و على هذا الأساس لابد و أن يكون للصحابة الأوائل دور في هذه الناحية أبرز من أولئك الذين دخلوا الإسلام في السنين الأخيرة من حياته كأبي هريرة و غيره ممن امتلأت مجاميع الحديث بمروياتهم و أصبحوا من أوسع المصادر لها في حين أن صلاتهم بالرسول (صلى الله عليه وآله) كانت محدودة للغاية ...

لذلك كان موقف الباحثين من مروياتهم مشوباً بالحذر، وفي الوقت ذاته لا يستبعد أحد على الذين لازموا منذ بعثته إلى أن اختاره الله إليه أن يرووا عنه آلاف الروايات و خاصة إذا كانوا من المقربين إليه كعلي (عليه السلام) و غيره من الصحابة الأبرار في حين أن مجاميع السنة لم ترو عنهم إلا القليل القليل بالقياس لما روت عن غيرهم في السنين الثلاث الأخيرة من حياته .

[سيرة الأئمة الاثني عشر: 1 / 96] .
«كما يجب أن لا نستبعد ما ترويه المصادر الشيعية عن مصحف فاطمة، ذلك الكتاب الذي ورد ذكره على لسان الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)»

[و هم أدري بما في البيت.] لأنّ الزهراء لم تفارق أبابها طيلة حياتها، و كانت ترعاه و تتولى خدمته و تسمع أحاديثه و أخباره و خطبه بنحو لم يتوفر لغيرها من الناس إذا استثنينا ابن عمها علياً (عليه السلام)»
[سيرة الأئمة الاثني عشر: 1 / 96] .

و بعد هذا ألا تستغرب حينما تسمع ما يقوله الحافظ السيوطي من أن جميع ما روته فاطمة رضی اللہ عنہا من الحديث لا يبلغ عشرة أحاديث، و ما يقوله الحافظ البديخشاني من أن كل ما روى عنها ثمانية عشر حديثاً [عن الثغور الباسمة في حياة سيدتنا فاطمة، للسيوطي: 52]. ؟!

مع أنا نعلم أن المروي عن عائشة ما يفوق الألفين و هي لم تعاشر رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلا بعد الهجرة بما يقل عن عشر سنوات، بينما عاشت الزهراء مع أبيها على أقل الروايات ثمانية عشر عاماً و على أكثرها ثمانية و عشرين عاماً !

و قال الأستاذ توفيق أبوعلم عن هذه النقطة بالذات: «أخذت الزهراء عن أبيها الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه أو ما كان يأمر بكتابتها لها، و قد أخذ عنها ابنها الحسن و الحسين و أبوهمما على و حفيدتها فاطمة بنت الحسين مرسلًا و عائشة و أم سلمة و أنس بن مالك و سلمى أم رافع رضي الله عنهم، و قد ساعدها على ذلك أنها ألّمت بكثير من علوم القرآن و إحاطتها بأمور من الشرائع السابقة، و كانت تعرف القراءة و الكتابة، و لقد فطمها الله بالعلم، و كان أبوها رسول الله (صلى الله عليه و آله) يستكتب لها الصحف التي تسترشد بها في أمر دينها و تبصرها بأمور دنياها، فالسيدة فاطمة من أهل بيت اتقوا الله و علمهم الله » [ولنعم هذا الاقتباس من قوله تعالى: (و اتقوا الله و يعلمكم الله) راجع (أهل البيت) لتوفيق أبوعلم: ص 128-129 .]

مصحف فاطمة

لقد كانت الزهراء ربيبة العلم و التقى و كان حظها منهما و فبراً، و يدلنا على شيء من ذلك بعض ما أُرث عنها من الأحاديث التي روتها عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) بالباشرة في الأحكام و الآداب و الأخلاق و فضائل أهل البيت (عليهم السلام) (و قد جمع في ما سمي ب«مسند فاطمة الزهراء» لعدة مؤلفين، أولهم السيوطي المتوفى عام (911 هـ)، و الثاني للسيد حسين شيخ الإسلام التويسركاني، و قد جمع فيه (260) حديثاً مما نقل عن الزهراء عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أو مما يرتبط بها صلوات الله عليها مع رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و الثالث للشيخ عزيز الله العطاردي، و الرابع للشيخ أحمد الرحمانى الهمداني حيث جمع في كتابه «فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى» حوالي (84) حديثاً مما نقل عنها في كتب الخاصة و العامة . و من هنا نعود إلى ما كتبه السيد هاشم معروف الحسيني عن مصحف فاطمة الذي تشير الروايات اليه و تفصح فيها عن سعة علوم الزهراء و فضلها عند الله و رسوله و أهل بيته، قال رضوان الله عليه: «فليس بغريب- و الحال هذه- أن تكون السيدة فاطمة (عليها السلام) قد جمعت قسماً مما سمعته منه و من زوجها في التشريع و الأخلاق و الآداب و ما سيحدث في مستقبل الزمان من الأحداث و التقلبات، و قد ورت الأئمة من أبنائها في جملة ما ورتوه عنها هذا الكتاب واحداً بعد واحد » [أسيرة الأئمة الإثني عشر: 96-97 /1].

نماذج مختارة من مسند فاطمة

اهتمامها بالعلم و تدوين السنة :

1-قال أبو محمد العسكري (عليه السلام): حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فقالت: إن لي والدة ضعيفة و قد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، و قد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة (عليها السلام) عن ذلك ففتت فأجابت، ثم ثلثت إلى أن عشت، فأجابت، ثم خجلت من الكثرة فقالت لا أشق عليك يا ابنة رسول الله، قالت فاطمة: هاتي وسلبي عما بدا لك، أرايت من اكثري يوماً يصعد إلى سطح يحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار، يتقل عليه؟ فقالت: لا، فقالت: اكثريت أنا لكل مسألة بأكثر من ميل ء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحري أن لا يتقل علي، سمعت أبي (صلى الله عليه و آله) يقول :

إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم و جدهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف حلة من نور، ثم ينادي منادي ربنا عزو جل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد (صلى الله عليه و آله) (الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم و الأيتام الذين كفلتموهم و نعشيتموهم، فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحدٍ من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم حتى إن فيهم- يعني في الأيتام- من يخلع عليه مائة ألف خلعة، و كذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين لأيتام حتى تتموا لهم خلعهم و تضعفوها لهم حتى تتموا لهم خلعهم و تضعفوها لهم، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، و يضاعف لهم، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم و تضعفوها لهم، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، و يضاعف لهم، وكذلك من يليهم ممن خلع علي من يليهم .

و قالت فاطمة (عليها السلام): يا أمة الله إن سلكة من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف مرة و ما فضل فإنّه مشوب بالتنغيص و الكدر [بحار الأنوار: 3/ 2. و نعشه: رفعه .]

2-عن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى فاطمة (عليها السلام) فقال: يا ابنة رسول الله هل ترك رسول الله عندك شيئاً تطرفينه؟ فقالت: «يا جارية هات تلك الحريرة»، فطبتها فلم تجدها، فقالت: «ويحك أطلبيها فإنها تعدل عندي حسناً و حسيناً»، فطبتها فإذا هي قد قممتها في قماتها [القمامة- بالضم:- الكناسة.]، فإذا فيها: قال محمد النبي: «ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يؤذي جاره، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت، إن الله يحب الخير الحليم المتعفف، و يبغض الفاحش الضنين السئال الملحف، إن الحياء من الإيمان، و الإيمان في الجنة، و إن الفحش من البذاء، و البذاء في النار » [دلائل الإمامة: 1].

التعريف بأهل البيت :

1-و عنها سلام الله عليها: أنّ رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال لها: أما ترضين أنّي زوجتك أوّل المسلمين إسلاماً، و أعظمهم علماً؟ فإنك سيدة نساء العالمين كما سادت مريم نساء قومها

«[أسنى المطالب» للعلامة الوصافي البمني، مخطوط .]

2-عن يزيد عن عبد الملك النفلبي، عن أبيه، عن جده قال: دخلت على فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: فبدأتني بالسلام، قال: وقالت: قال

أبي وهو ذاهب: من سلم عليّ و عليك ثلاثة أيام فله الجنة. قلت لها: ذا في حياته و حياتك أو بعد موته و موتك؟ قالت: في حياتنا و بعد وفاتنا

«[المنافق» لابن المغازلي الشافعي: ص 364، ومثله في «المنافق» لابن شهر آشوب: 3 / 365]

3-[عن فاطمة رضي الله عنها قالت: أتيت النبي (صلى الله عليه وآله) فقلت: السلام عليك يا أبة، فقال: و عليك السلام يا بنيّة، فقلت: و الله ما أصبح يا نبي الله في بيت علي حبة طعام، و لا دخل بين شفثيه طعام منذ خمس، و لا أصبحت له ثاغية و لا راغية، و لا أصبح في بيته سفة و لا هفة

[الثاغية: الشاة. و الراغية: البعير. و السفة: المأكول. و الهفة: المشروب .]

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): ادنى منى، فدنوت، فقال: أدخل يدك بين ظهري و ثوبي، فإذا حجر بين كتفي النبي (صلى الله عليه وآله) مربوط إلى صدره، فصاحت فاطمة صيحة شديدة، فقال لها: ما أوقدت في بيوت آل محمد نار منذ شهر .

ثم قال (صلى الله عليه وآله) و رفع باب خبير و هو ابن نيف و عشرين، و كان لا يرفعه خمسون رجلاً .

فأشرف وجه فاطمة، ثم أتت علياً فإذا البيت قد أثار بنور وجهها، فقال لها: يا ابنة محمد! لقد خرجت من عندي و وجهك على غير هذا الحال؟ فقالت: إن النبي (صلى الله عليه وآله) حدثني بفضلك، فما تمالكت حتى جئتك [أهل البيت (عليهم السلام) لتوفيق أبو علم: 130].

4-عن أسماء بنت عميس، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتانا يوماً فقال: أين ابناي- يعني حسناً و حسيناً؟ قالت: قلت: أصبحنا و ليس في بيتنا شيء ع ينوقه ذائق، و إننا لنحمد الله تعالى، فقال علي: أذهب بهما فإنني أتخوف أن يبكيا عليك و ليس عندك شيء ع فذهب بهما إلى اليهودي. فتوجه إليه

رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوجهما يلعبان في مشربة بين أيديهما فضل من تمر، فقال: يا علي ألا تغلب ابني- أي ترجعهما- قبل أن يشتد الحرّ عليهما؟ قال: فقال علي: قد أصبحنا فليس في بيتنا شيء ع، فلو جلست يا رسول الله حتى أجمع لفاطمة تمرات، فجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله) و هو ينزع لليهودي كل دلو بتمر، حتى اجتمع له شيء ع من تمر، و حملة رسول الله و علي

[أهل البيت لتوفيق أبو علم: 135].

أخذت السيدة الزهراء عن أبيها الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه، أو ما كان يأمر بكتابته لها، و قد أخذ عنها إبانها الحسن و الحسين، و أبوهما علي، و حفيدتها فاطمة بنت الحسين مرسلأ، و عائشة و أم سلمة و أنس بن مالك و سلمى أم رافع رضي

الله عنهم .

[المصدر السابق: 128].

5-عنها سلام الله عليها في حديث طويل: قالت: يا رسول الله! إن سلمان تعجّب من لباسي، فوالذي بعثك بالحق ما لي و لعلني منذ خمس سنين إلا مسك كبش نعلف عليها بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، و إن مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): يا سلمان إن ابنتي لفي الخيل السوابق

[عوامل المعارف: 11/ 130، والمسك بالفتح فالسكون: الجلد، الأدم أيضاً: الجلد. و المرفقة: المتكأة والمخدة .]

6-عن زينب ابنة علي، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلني (عليه السلام)، أما إنك يا علي وشيعتك في الجنة

[دلائل الإمامة: 2 و 3، و مثله في احقاق الحق: 7/ 307، و بنايع المودّة: 257].

7-عن فاطمة بنت رسول الله أنها دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فبسط ثوباً و قال لها: اجلسي عليه، ثم دخل الحسن فقال له: اجلس معها، ثم دخل الحسين فقال له: اجلس معهم، ثم دخل علي فقال له: اجلس معهم، ثم أخذ بمجامع

الثوب فضمه عليها

ثم قال: اللهم هم مني و أنا منهم، اللهم ارض عنهم كما أتى عنهم راض

[دلائل الإمامة: 2 و 3، و ح 34 قد تقدم في الفصل السابق تحت الرقم 16 من طريق العامّة .]

8-عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألا أبشرك؟ إذا أراد الله أن يتحف زوجة وليه في الجنة بعث إليك تبعثين إليها من حليك

[دلائل الإمامة: 2 و 3 و ح 34 قد تقدم في الفصل السابق تحت الرقم 16 من طريق العامّة .]

9-عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: من كنت

وليه فعلي وليه، و من كنت إمامه فعلي إمامه

[مسند الإمام الرضا: 1/ 133].

10-روى السيد محمد الغماري الشافعي في كتابه: عن فاطمة بنت الحسين الرضوي، عن فاطمة بنت محمد الرضوي، عن فاطمة بنت إبراهيم الرضوي، عن فاطمة بنت الحسن الرضوي، عن فاطمة بنت محمد الموسوي، عن فاطمة بنت عبد الله العلوي، عن فاطمة بنت الحسن الحسيني، عن فاطمة بنت أبي هاشم الحسيني، عن فاطمة بنت محمد بن أحمد بن موسى المبرقع، عن فاطمة بنت أحمد بن موسى المبرقع، عن فاطمة بنت أبي الحسن الرضا (عليه السلام)،

عن فاطمة بنت موسى بن جعفر (عليهما السلام)، عن فاطمة بنت الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام)، عن فاطمة بنت الباقر محمد بن علي (عليهما السلام)، عن فاطمة بنت أبي عبد الله الحسين، عن زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام)، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قالت:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ألا من مات على حب آل محمد مات شهيداً»

[عوامل المعارف و مستدركاتنا: 21/ 354-355، نقلاً عن «اللؤلؤة المنيّة» للشيخ محمد بن محمد بن أحمد الجنتي الداغستاني: 217، طبع مصر، سنة 1306].

11-عن حارثة بن قدامة قال: حدثني سلمان قال: حدثني عمار و قال: أخبرك عجيباً؟ قلت: حدثني يا عمار، قال: نعم: شهدت عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) و قد ولج على فاطمة (عليها السلام)، فلما أبصرت به نادت: أدن لأحدك بما كان و بما هو كائن و بما لم يكن إلي يوم القيامة حين تقوم الساعة. قال عمار: فرأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) يرجع القهقري فرجعته يرجوعه إذ دخل

على النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال له: أدن يا أبا الحسن، فدنا فلما اطمان به المجلس قال له: تحبني أم أحذرك؟ قال: الحديث منك أحسن يا رسول الله، فقال: كآتي بك و قد دخلت على فاطمة و قالت لك كيت وكيت، فرجعت، فقال علي (عليه السلام): نور فاطمة من نورنا؟ فقال: (عليه السلام): أو لا تعلم؟ فسجد علي شكراً لله تعالى .

قال عمار: فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) و خرجت بخروجه، فولج على فاطمة (عليها السلام) و وليت معه، فقالت: كأنك رجعت إلى أبي (صلى الله عليه وآله) فأخبرته بما قلته لك؟ قال: كان كذلك يا فاطمة، فقالت: اعلم يا أبا الحسن أن الله تعالى خلق نوري، و كان يسبح الله جل جلاله، ثم أودعه شجرة من شجر الجنة فأضأت فلما دخل أبي الجنة أوحى الله تعالى إليه

إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة و أدرها في الهواتك؛ ففعل، فأودعني الله سبحانه صلّب أبي (صلى الله عليه وآله)، ثم أودعني خديجة بنت خويلد فوضعتني، و أنا من ذلك النور، أعلم ما كان و ما يكون و ما لم يكن. يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله

تعالى

[عوامل المعارف: 11/ 706].

12-عن أبي الطفيل، عن أبي ذر (رضي الله عنه)، قال: سمعت فاطمة (عليها السلام) (

تقول: «سألت أبي (صلى الله عليه وآله) عن قول الله تبارك و تعالى (و على الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم)

[الأعراف (7): 46]. قال: هم الأئمة بعدي: عليّ وسيطاي وتسيعة من صلب الحسين، هم رجال الأعراف، لا يدخل الجنة إلا من يعرفهم ويعرفونه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وينكروته، لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتهم. »
13- عن سعد الساعدي، عن أبيه قال: سألت فاطمة صلوات الله عليها عن الأئمة فقالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: الأئمة بعدي عدد نبياء بني إسرائيل [كفاية الأثر: 193- 200].

14- عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أبي (عليه السلام) (لجابر بن عبد الله الأنصاري: إن لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك فاسألك عنها؟ فقال له جابر: في أي الأوقات شئت، فخلا به أبو جعفر (عليه السلام)، قال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما أخبرتك به أنه في ذلك اللوح مكتوباً. فقال جابر: أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة (عليها السلام) في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهنتها بولادة الحسين (عليه السلام) فرأيت في يدها لوحاً أخضر طننت أنه من زمرد، ورأيت فيه كتابة بيضاء شبيهة بنور الشمس، فقلت لها: بأبي أنت و أمي يا بنت رسول الله ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا اللوح أهده الله عزوجل إلى رسوله (صلى الله عليه وآله) فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني وأسماء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه أبي ليسرني بذلك.

قال جابر: فأعطتني أمك فاطمة (عليها السلام) فقرأته وانتسخته. فقال له أبي (صلى الله عليه وآله): فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ؟ فقال: نعم، فمشى معه أبي (صلى الله عليه وآله) حتى انتهى إلى منزل جابر فأخرج إلى أبي صحيفة من رق، فقال: يا جابر انظر أنت في كتابك لأقرأه أنا عليك، فنظر جابر في نسخته

[إنما كانت ملافة جابر مع أبي جعفر (عليه السلام) بعد زيارة الأربعين في المدينة قطعاً وقد قيل إنه في زيارة الأربعين مكفوف البصر فكيف يمكن معه قراءة النسخة؟ ويمكن أن نقول: إنما يكون عماء في آخر أيام حياته فاشتبه على بعض من ترجمه فتوهم عماء في الأربعين، سنة 61، وهو خلاف ما نصحوا عليه من أنه كف بصره آخر عمره. وما في «بشارة المصطفى» في خير زيارته في الأربعين من قوله عطية «قال: فألمسني، فألمسته فخر على القبر» لا يدل على العمى، ولعل من شدة الحزن وكثرة البكاء ابضت عيناه، أو غمرتهما العبرة في ذلك اليوم. ويؤيده ما في هذا الخبر «ثم جال بصره حول القبر وقال: السلام عليكم...»].
فقرأه عليه أبي (صلى الله عليه وآله) فو الله ما خالف حرف حرفاً، قال جابر: فإني أشهد بالله أنني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً. بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين، عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي، ولا تجحد الآتي، إني أنا الله لا إله إلا أنا، قاصم الجبارين (و مبير المتكبرين) ومذك الظالمين وديان يوم الدين، إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي، أو خاف غير عدلي، عذبتة عذاباً لا أعذب به أحداً من العالمين، فأبأي فاعبد و علي فتوكل .

إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصياً، وني فضلتك على الأنبياء وفضلت وصيك على الأوصياء، وأكرمتك بشيبيك بعده و بسببليك الحسن والحسين، وجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه، وجعلت حسينا خازن حبي، و أكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهاد و أرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه، والحجة البالغة عنده، بعترته أئيب وأعاقب، أولهم علي سيد العابدين، وزين أوليائي الماضين؛ وابنه سمي جده محمود، محمد الباقر لعلمي والمعدن

لحكمتي؛ سيهلك المرتابون في جعفر، الرأى عليه كالراد عليّ، حق القول مني لأكرمن متوي جعفر، ولأسرته في أوليائه وأشيعاه و أنصاره؛ وانتحيت بعد موسى فتنة عمياء جنديس
[انتحب: تنفس شديداً. والحدس: الشد يد الظلمة.] لأنّ خط فرضي لا ينقطع، وحتي لا تخفي، و أنّ أوليائي لا يشقون أبداً؛ ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي، ومن غير آية من كتابي فقد افترى عليّ .
وويل للمفتزين الجاحدين عند انقضاء مدة عبدي موسى و حبيبي و خيرتي، (ألا إن المكذب بالثامن مكذب بكل أوليائي، و عليّ وليي و ناصري، و من أضع عليه أعباء النبوة و أمتحنه بالأضلاع، يقتله عفريت مستكبر، يدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح ذوالقرنين إلى جنب شر خلقي، حق القول مني لأقرن عينه بمحمد ابنه و خليفته من بعده، فهو وارث علمي و معدن حكمتي و موضع سرري و حجتني على خلقي جعلت الجنة مثواه، شفعتني في سبعين من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار، و أختم بالسعادة لابنه علي وليي و ناصري والشاهد في خلقي و أميني على و حبيي أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن ...
[كمال الدين و تمام النعمة: 308- 311 ط طهران- الأخوندي].

15- قالت (عليها السلام): أبوا هذه الأمة محمد و علي يقيمان أودهم و ينقدانهم من العذاب الدائم إن أطاعوهما و يبيحانهم النعيم الدائم إن وافقوهما
[بحار الأنوار: 225 /96].

16- عن فاطمة، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أيما رجل صنع إلى رجل من ولدي صنعة فلم يكافئه عليها، فانا المكافئ له عليها
[المصدر نفسه].

17- حدثنا أحمد بن يحيى الأودي، حدثنا أبو نعيم ضرار بن صرد، حدثنا عبد الكريم أبو يعفور، حدثنا جابر، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة، قالت: حدثتني فاطمة، قالت: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): زوجك أعلم الناس علماً و أولهم سلماً، و أفضلهم حليماً .

18- قالت (عليها السلام): «وإحمدوا الذي لعظمته و نوره يتنغي من في السماوات و الأرض إليه الوسيلة، و نحن وسيلته في خلقه، و نحن خاصته و محل قدسه، و نحن حجته في غيبه، و نحن ورثة أنبيائه »
[شرح نهج البلاغة: 211 /16].

19- عن محمد بن عمر الكناسي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي ابن الحسين عن فاطمة الصغرى عن الحسين بن علي عن فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) قالت: «خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إن الله عز و جل باهي بكم، فغفر لكم عامة، و غفر لعلي خاصة، و إني رسول الله إليكم غير هائب لقومي و محاب لقرابتي، هذا جبرئيل (عليه السلام) يخبرني: أن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياتي و بعد وفاتي »
«أسنى المطالب» لشمس الدين الجزري: 70].

20- عن زينب بنت أبي رافع عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) (أنت رسول الله بالحسن و الحسين في مرضه الذي توفي فيه، فقالت: «يا رسول الله إن هذين لم تورثهما شيئاً» فقال: «أما الحسن فله هيبتي و سؤددي، و أما الحسين فله جرأتي و جودي »

[أسد الغابة: 467 /5، و مناقب ابن شهر آشوب: 396 /3].

21- عن علي عن فاطمة (عليها السلام) قالت: «قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة من صلى عليك غفر الله له و ألحقه بي حيث كنت من الجنة »
[كشف الغمة: 472 /1].

22- عن زيد بن علي بن الحسين عن عمته زينب بنت علي (عليه السلام) عن فاطمة (عليها السلام) قالت: «كان دخل إلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند ولادتي الحسين (عليه السلام)، فنالته إياه في خرقة صفراء، فرمى بها و أخذ خرقة بيضاء ولفه فيها ثم قال: خذيه يا فاطمة، فإنه إمام ابن إمام أبو الأئمة التسعة، من صلبه أئمة أبرار، و التاسع قائمهم .»

23- عن سهل بن سعد الأنصاري قال: سألت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الأئمة فقالت: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي (عليه السلام): يا علي! أنت الإمام و الخليفة بعدي، و أنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا

«تفسير الإمام»: 354، و المراد من الفقرة الثانية مداراة النواصب تقيّة منهم .
5- عن زيد بن علي، عن أبائه، عن فاطمة ابنة النبي (صلى الله عليه وآله) قالت: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: إنَّ في الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عز و جل فيها خيراً إلا أعطاه. قالت: فقلت: يا رسول الله أي ساعة هي؟ قال: إذا تدلّى نصف عين الشّمس للغروب. قال: و كانت فاطمة تقول لسلامها: اسعد على السطح، فإن رأيت نصف عين الشمس قد تدلّى للغروب فأعلمني حتى أدعو
[دلائل الإمامة 5].

6- قال ابن حمّاد الأنصاريّ الدولابيّ المتوفى 310: حدّثنا أبو جعفر محمّد بن عوف بن سفيان الطائفيّ الحمصيّ، حدّثنا موسى بن أيوب النصيبيّ، حدّثنا محمد بن شعيب، عن صدقة مولى عبدالرحمن بن الوليد، عن محمد ابن علي بن حسين، قال: خرجت أمشي مع جدي حسين بن علي إلى أرضه، فأدركنا النعمان بن بشير علي بغلة له فنزل عنها، و قال لحسين: أركب أبا عبد الله، فأبى، فلم يزل يفسم عليه حتى قال: أما إنك قد كلّفتني ما أكره، ولكن أحييتك حديثاً حدّثتني أمي فاطمة: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «الرجل أحقّ بصر دابته و فراشه والصلاة في بيته، إلا إماماً يجمع الناس». فأركب أنت على صدر الدابة و (أردفتي خلفك).

فقال النعمان: صدقت فاطمة، حدّثني أبي- و ها هو ذا حيّ بالمدينة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: إلا أن يأذن، فلمّا حدّثه النعمان بهذا الحديث ركب حسين السرج، و ركب النعمان خلفه
[فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: 301 رواه عن الدولابي ...]

7- حدّثنا أحمد بن يحيى الأوديّ، حدّثنا جبارة بن مغلس، حدّثنا عبيد بن الوسيم، عن حسين بن الحسين، عن أمه فاطمة بن حسن، عن أبيها، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا يلو من إلا نفسه من يات و في يده عمّر
[الغمي: الدسم].

8- حدّثنا أحمد بن يحيى الصوفيّ، حدّثنا عبدالرحمن بن ديبس، حدّثنا بشير بن زياد، عن عبد الله بن حسين، عن أمه، عن فاطمة الكبرى (عليها السلام)، قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما التقى جندان ظالمان إلا تخلّى الله منهما، فلم يبال أيّهما غلب، و ما التقى جندان ظالمان إلا كانت الدائرة على أعتاهما .
9- و قالت (عليها السلام) في وصف ما هو خير للنساء: «خير لهنّ ألا يرين الرجال و لا يرونهنّ»

[حلية الأولياء: 40 / 2].
10- عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه محمد بن علي عن أبيه الحسين بن علي عن أمه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت: «لما نزلت على النبي (صلى الله عليه وآله) (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) [النور (24): 63].

قالت فاطمة: «تهنّيت النبي (صلى الله عليه وآله) أن أقول له: يا أبا، فجعلت أقول له: يا رسول الله، فأقبل عليّ فقال لي: يا بنية لم تنزل فيك و لا أهلك من قبل، أنت مني و أنا منك، و إنما نزلت في أهل الجفاء و البذخ و الكبر، قولي: يا أبا، فإنّه أحب للقلب و أرضى للربّ ثم قبل النبي (صلى الله عليه وآله) جبّهتي، مسحني بريقه، فما احتجت إلى طيب بعده»
[المناقب لابن شهر آشوب: 320 / 3].

11- و قالت فاطمة (عليها السلام): «من أصدد إلى الله خالص عبادته؛ أهبط الله إليه أفضل مصلحته»
[بحار الأنوار: 184 / 71].

12- عن ليث بن أبي سليم عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن أبيها عن أمه فاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت: «خياركم أئبكم مناكب، و أكرمهم لسائهم»
[فاطمة الزهراء عليها السلام بهجة قلب المصطفى: 1 / 273، إلا أنّ في بعض المصادر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) .].
13- سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه عن المرأة ما هي؟ قالوا: عورة، قال: فمتى تكون أدنى من ربيها؟ فلم يدروا، فلما سمعت فاطمة (عليها السلام) ذلك قالت: «أدنى ما تكون من ربيها أن تلزم قعر بيتها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن فاطمة بضعة مني»
[بحار الأنوار: 92 / 43].

14- و عنها سلام الله عليها في حديث طويل، قالت: «يا رسول الله! إنّ سلمان تعجّب من لباسي، فوالذي بعثك بالحقّ ما لي و لعلي منذ خمسين سنين إلا مسك كيش نعلف عليه بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، وإنّ مرفقتنا لمن آدم حشوها ليف، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): يا سلمان إن ابنتي لفي الخيل السوابق»
[عوامل المعارف: 11 / 130، المسك بالفتح والسكون: الجلد، الأدم أيضاً: الجلد، و المرفقة: المتكأة و المخدّة].

15- عن علي بن الحسين بن علي (عليهما السلام): «أن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) استأذن عليها أعمى فحجّيته، فقال لها النبي (صلى الله عليه وآله): لم حجّيته و هو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله إن لم يكن يراني فأنا أراه، و هو يشم الريح، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): أشهد أنك بضعة مني»
[ملحقات إحقاق الحق: 10 / 258].